الثورة الاسلامية

في إيران

[وقائع وأحداث]

جعفر حسين نزار

الثورة الاسلامية في إيران

[وقائع وأحداث]



الطبعة الاولى
١٩٧٩ م - ١٣٩٩ هـ

[لقد علّمنا القرآن الكريم والإسلام ، كما أكّدت لنا التجارب الكثيرة للأمم الأخرى ، أن أمّة ما عندما تناضل وهي مؤمنة ولديها التصميم الكافي لتحقيق الأهداف الصحيحة والحقيقية ، فإنّ أيّة قوّة لا تستطيع وقفها أو وضع عراقيل في طريقها] .

[واليوم ، يجب على عامة المسلمين ، وخاصة العلماء والأعلام والمثقفين الواعين والجامعيين ، أن يستفيدوا من الفرصة ليقولوا الحقائق ويكتبوها وينشروها إلى كافة الأمم والمجتمعات البشرية وذلك من أجل الدفاع عن الإسلام العزيز والمحافظة على أحكامه العظيمة التي هي اليوم مشرفة على السقوط] .

[ينبغي .. ومن أجل توعية الأجيال القادمة والوقوف أمام الكتابات المنحرفة من قبل المغرضين ، أن يبادر الكتّاب الملتزمون ، بدقّة كاملة ، إلى التدوين الدقيق لتاريخ هذه الحركة الإسلامية ، وأن يسجّلوا انتفاضات ومظاهرات مسلمي إيران في مختلف المدن ، مع الدوافع الحقيقية لها ، حتّى تتحول المسائل الإسلامية ، وحركة علماء الدين إلى دروس للمجتمعات والأجيال القادمة ...] .

الخميني القائد

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

وبعد .. فجدير بنا في مقدمة هذا الكتاب أن نلفت إنتباه القارئ الكريم إلى النقاط التالية :

١ ـ ليس الكتاب سرداً تاريخياً ، إذ لم نتبنَّ منهج التدوين التاريخي التقليدي المتعارف عليه .. إنَّما الكتاب عبارة عن دراسات مفصَّلة مبوَّبة عن الثورة المعاصرة.

٢ ـ مصادرنا البسيطة من صحيفة أو مجلة أو كتاب ، يجب أن لا توحي للقاريء بتبنّي الكاتب لكل ما في المصدر من آراء كما يجب إدراك أن الكاتب لهذه الفصول ليس منتمياً لأيّ إتّجاه سياسي متطرف أو معتدل خارج ضوء الإسلام ونور القرآن ، فلا يهمّنا انتماء أو تبعيّة أي صحيفة أو قلم يكتب ، إنَّما نهتم بما يقوله ممايناسب منهجنا وموضوعنا ..

٣ ـ ثمة صحف أجنبية قد استفدنا منها وانتقينا بعض ما أوردته من سلب أو إيجاب وهي مترجمة ببعض الصحف العربية .

٤ ـ لا نشير إلى مكان صدور المجلة أو الصحيفة إلا في الهوامش الأولى لذكرها

٥ ـ ليس كل صحيفة أو مجلة اعتمدناها نملك متابعة أعدادها متسلسلة كلها.

٦ ـ كل الصحف والمجلات المعتمدة قد صدرت في الأسابيع الأخيرة لسنة ١٩٧٨م/١٣٩٨هـ ، والأسابيع الأولى لسنة ١٩٧٩م/١٣٩٩هـ ، حتّى يوم الإنتصار المجيد ..ولربما توجد مقتطفات من صحف ما بعد الإنتصار.. وهذا نادر وقليل ..

ولا يخفى ما في تلك المصادر من غثّ وسمين ، وعليه فلا يخفى مدى العناء الحاصل من جرّاء أمانة الإنتقاء وملاحظة زيف أو صحّة الأخبار مع ما ينسب

للشخصيات القيادية من كلام ، لاسيما سماحة السيد روح الله الموسوي الخميني دام ظلّه .. ناهيك عمّا تحتويه الصفحات وما تتضمّنه المقالات من تشويهات وشبهات ومحاولات تستهدف الإساءة للحقيقة والحق تمليهاطبيعة النفوس الوضيعة..

وبعد .. فإن الأنظمة المنحرفة ألمشبوهة الزاعمة بأن الأحداث الإيرانية إنّما هي مجرّد أحداث داخلية تخصّ الإيرانيين أنفسهم ، إنما تؤكّد حقيقة عمالتها ، وتكشف هويتها في ظروف هي أشد حاجة فيها لسترعيوبها وعوراتها السياسيه المخجلة ..

ولسوف يثبت لها ولساداتها الأجانب أن ثورة إيران العملاقة هي ثورة الإسلام الصادق ، ومطلب الأمة الإسلامية ، فلو كانت مجرد ثورة داخلية خاصّة بالإيرانيين داخل حدودهم لما شغلتنا وشغلت المسلمين في العالم ، وحتّى الإنسانيين.. بل لما شغلت العملاء بتكرار مزاعمهم بكونها داخلية فلو كانت كذلك لما كانت لأقاويلهم حاجة .. بيد أنها ثورة أممية إسلامية تستقطب عقول الجميع وعواطفهم ، ولهذا زعم أولئك بإقليميّتها كيما يصرفوا الأذهان عنها ، في حين استأثرت باهتمام الشعوب قاطبة ... إنها ثورتنا ، وليست أحداثاً إيرانية ، بل ثورة إيرانية وثورة المسلمين التي تسنّى لشعبنا الإيراني أن يعبّر عنها ، فهي لا تخصّهم وحدهم بل تخصّنا وتخصّ الأمة وكل المخلصين وإن لم تخصّ العملاء في الأنظمة المشبوهة ..

وأخيراً ..فإنّ نفوسنا شيباً وشباناً تتصل بايران وشعبها وتتعلّق بأهلنا هناك ، متطلّعة إلى الإسلام النقيّ .. كلّنا يترقّب ويتابع حيث أضحت إيران حديث الساعة وأضحى الإسلام علاج العصر المريض..

والله أسأل أن يتقبّل هذه الجهود المتواضعة .

﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة ، أنا ومن اتّبعني . ﴾

الدكتور جعفر نزار

[٢٠ صفر ١٣٩٩ هـ]

توطئة

الأمة الاسلامية بما فيها الشعوب العربية مدعوّة اليوم لفتح ملفّات جديدة وتاريخ جديد يمليه منهاج الوعي الجديد الذي يفرض نفسه نتيجة تجدّد المواقف الإستعمارية إزاءنا كأمة ذات شعوب كبيرة ، نحن مدعوون لليقظة والفطنة من الموجات التي ستوجّه إلينا من الإستعمار كرد فعل للمتغيرات العظيمة في المنطقة ، كرد فعل للموقف البطولي الاسلامي الايراني الذي بلغ نصاب النصر وسيمسك ناصية الحكم قريباً إن شاء الله . .

نحن شيباً وشبّاناً وكهولاً ، ونساءاً وفتيات خارج الحدود الايرانية بحاجة الى الوقوف بما يتناسب وصيانة وجودنا وكياننا ، فقد يئس العدو الإستعماري من ممارسة أدواره ومهامه داخل الحدود الايرانية إذ طرده الشعب الاسلامي وهزمه هزيمة منكرة لا عود بعدها ، وعليه فإنّه ، كعدوّ لدود جُبل على ما عَمِل ، سوف يصبّ جهوده خارج الحدود الايرانية لإحباط أيّ مبادرة تحرّرية اسلامية .. لقد كان شعب الاسلام في ايران واعياً يقظاً مدركاً بالقدر الذي مكّنه من نسف القواعد الحكومية الأمبراطورية البهلوية الأمريكية وكل الجدران الإستعمارية القائمة على الحديد والنار .. إن شعب الاسلام الايراني صاحب ملكة وعي مكّنته من تجاوز الصعوبات واجتياز كل العقبات وعبور أكثر تلك الخنادق التي صنعها الكفار المعاصرون ، وكان جديراً بمواصلة جهاد لا هوادة فيه الى أمد طويل وبمواقع متعدّدة .

وحاجتنا اليوم هي حاجة شعبنا العظيم في ايران قبل سنوات وقد نال وسدّ حاجته فأدّى مهمته وبالتالي حقّق نجاح قضيته العادلة . . .

* * *

صحيح أن مؤتمر قمّة (غواديلوب)[1] قد تناول الوضع في ايران بيد أنّه من الخطأ أن نعتقد بإقتصار الحديث عن ايران على الوضع المعاش ، وإنما مستقبل هذا الوضع ، ولم يتناولوه كموقع إستراتيجي وكإقليم واحد وشعب واحد فقط . . .

لقد تناول المؤتمر هذه الثورة الايرانية ، على أنها ثورة الإسلام ، على أنها يقظة المسلمين ، وأنها وعي الأمة بالكامل ، وتفطّن الأجيال الحاضرة الذي سيعني تعاظم وعي الأجيال المقبلة بهدي الاسلام كعقيدة عملاقة ، ومبادئ خلاّقة . تطرّقوا لثورة ايران الجماهيرية من حيث رسالتها الأممية العالمية ، لا من حيث ايران كبلاد جغرافية وإقليم على الخارطة ، ولا من حيث شعب تعداده ٤٠ مليوناً ـ يقلّ أو يكثر ـ إنما تطرّقوا للثورة بما لها من رسالية خطيرة ، رسالية شاملة تسع بلداناً وأقاليم ، تضم ملايين وتحوي عشرات الملايين ، حيث إستوعبت مئات الملايين من مختلف شعوب العالم في كل بقاع الأرض . . .

أبعاد رسالة ثورة الاسلام في ايران ، مما لا تخفى على الساسة لا سيما أصحاب الأطماع ، إذ يدركون ذلك ويرون أبعاد الثورة ، وأبعاد الاسلام الثائر المنطلق مجدّداً من قمّ المقدّسة قلب ايران الحبيبة .

وعليه فليس بعد هذا البيان أن نستصعب تفسير الإضطرابات التي عمّت قاعات المستعمرين .. لا سيما قاعات أمريكا التي راح جيمي كارتر ينادي فيها وكالات الإستخبارات الموزّعة في البلدان الأخرى اسلامية وعربية لتعدّ له دراسات واسعة وتقارير وافية « حول تأثير الدين الاسلامي على الأوضاع السياسية في العالم » .

وقام مستشار كارتر لشؤون الأمن القومي « بريجنسكي » بإبلاغ لجنة العلاقات الخارجية بطلب كارتر هذا ، فيما وصف بعض المسؤولين هذه الخطوة بأنها « بالغة الحساسية وذلك لتزايد تأثير الدين الاسلامي على الأوضاع

---

(١) عقد مؤتمر قمة غواديلوب بين كل من اميركا ، المانيا ، فرنسا ، وبريطانيا بتمثيل ، كارتر ، شميت ، ديستان ، كلهان .

السياسية في كثير من دول العالم »[1]. وأكدت المصادر بأن بريجنسكي قرّر الإهتمام بموضوع الدين الإسلامي ، بمعنى أنّه سيهتم بالإساءة للإسلام والمسلمين كيما يحدث فصلاً بينهما حسبما يأمل ويأملون .

ولا نقول سراً عند تأكيدنا لحقيقة قِدم الجهود الإستعمارية المبذولة لإحباط النهضات الإسلامية ، فمنذ عشرات العقود من السنين كانت مطارق الأعداء تضرب الشعوب الاسلامية بما فيها العربية ، وكانت الدعوات والنداءات تتكرّر لتحطيم الاسلام ورفع دين كبديل له وهو النصرانية ؛ كانت المطارق يمثّلها الصليب ، وكان يرنّ فيما يصرخ حامله وينادي « إن إرتقاء الاسلام يتهدّد نمو مستعمراتنا بخطر عظيم ، ولذلك فإن المؤتمر الإستعماري[2] ينصح للحكومة زيادة الإشراف والمراقبة على أدوار هذه الحركة » ، إنها بالضبط نفس مطالب كارتر ونداءاته ، لا فرق إلاّ بالزمان والمكان « .. على الذين في أيديهم زمام المستعمرات أن يقاوموا كل عمل من شأنه توسيع نطاق الاسلام وأن يزيلوا العراقيل من طريق إنتشار النصرانية ، وأن ينتفعوا من أعمال إرساليات التبشير التي تبث مبادئ المدنية خصوصاً بخدماتهم التهذيبية والطبيّة »[1] .

نداءات وطلبات لُبِّيَتْ ونُفِّذَتْ ، وتم إكتساح المفاهيم الدينية وإزالتها ، وتضعضعت مواقع المسلمين نتيجة الغزو الكاسح والغارات القاسية ، جهود متضافرة ولجان تبشيرية تدعمها كبريات الدول الاستعمارية عملت الشيء الكثير واعتدت على الكيان الاسلامي بما يندى له الجبين ، إذ خدعت الشعوب وزيّفت الأمور بكل إقليم فيه شعب مسلم قلّ أو كثر . .

وبالرغم من ذلك ، فقد فشلوا ولم ينجحوا ، خسروا ولم ينتصروا ، بل لقد أعلنوا أنهم لم يبلغوا الأهداف القصوى ، ولمسوا حركة الاسلام منذ مطلع

---

(١) صحيفة « واشنطن بوست » ترجمة صحيفة الرأي العام الصادرة في الكويت ـ عدد ٥٤٦١ ص ٢٠ .

(٢) أنه مؤتمر تبشيري عقدوه سنة ١٩١٠ تقريباً ..

(٣) كتاب (الغارة على العالم الاسلامي) بقلم أ . ل شاتليه ، ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي ، الطبعة الثانية ص ١٣٧ .

هذا القرن حركة ملحوظة حتى في الهند التي صرّح المسؤول التبشيري عنها في مؤتمر (لكنو عام ١٩١١) فقال: «إن الاسلام آخذ في الازدياد، وإن تكن المجهودات التي تبذل في سبيل إنتشاره تكاد في حكم العدم»[١].

هذا ما كان بالهند فقط وفي عام ١٩١١ وما قبله وما بعده كذلك، أما فيما يخصّ بلاد فارس فقد بدأ عهد التبشير فيها - عام ١٨١١ -، أما سنة ١٨٣٤ فتاريخ إبتداء التبشير الأمريكي .. حيث كانت البداية «بين النسطوريين ثم بين المسلمين»[٢]

حيث لاقى المسلمون في إيران طوال قرنين تقريباً ألواناً من التعسّف وأنواعاً من الإستهتار. فمنذ ١٨١١ حتى ١٩٠٦ إنتقالاً إلى ١٩٦٣ وهم اليوم في عامهم ١٩٧٨، ١٣٩٨ وكذلك ١٣٩٩، عهد الثورة العملاقة وعهد التحرّر الحاسم، مازالوا بمواقفهم المصيرية العظمى..

وليست إيران وحدها التي عانت صنوف أساليب الاستعمار من تبشير الى نفوذ عدواني عسكري مباشر، الى نفوذ غير مباشر، فإستبداد ديكتاتوري فثمة بلداناً وشعوباً إسلامية أخرى يتفاوت وعيها للدين والمباديء، ويتفاوت ثقل الكابوس الجاثم عليها..

إلاّ أنها رغم التفاوت، تكاد تكون مجمعة على إعادة النظر في واقعها المأساوي، فقد راح شبابها اليقظ الواعي يتطلّع الى الاسلام بالذات، لا الى المسلمين الذين جلبوا على دينهم وأنفسهم شتّى السلبيات حتى إستطاع الأعداء تقديم شبهات وتشويهات للإسلام مستمدّة من واقع المسلمين، الواقع الذي ليس من الاسلام في شيء.. هذا ما إكتشفه الشباب ليعيدوا النظر بكل شيء على ضوئه.. إنهم يسعون لبلوغ أهداف سبقهم إليها شباب إيران الحبيبة، ولا بدّ - بتوفر الإيمان بالله والجد والمثابرة - من نيل الحرية وضرب العبودية

---

(١) الغارة على العالم الإسلامي ص ١٩٣. (٢) - نفس المصدر ص ٢٢٣.

« إن الغرب يواجه خطر دفع الثمن باهظاً عن كبريائه السابق » [1] ، كما ختمت إحدى المقالات الأجنبية موضوعها حول نهضة العالم الاسلامي ويقظته الكبيرة التي ستدفع ايران وستصنع من الوعي والإدراك ما لا يمكن للعدو تداركه . والأعداء يعترفون بهذا المعنى وبه يصرخون .

« فالمسلمون يكرهون الغرب لأن نهوض هذا الغرب توافق مع أفول الاسلام ، ولأن الغربيين غزوا العالم الاسلامي ، وفرضوا عليه جميع ألوان الإذلال وسائر التقاليد المناقضة لتقاليده » .

وبعد فلا عجب من إرتباك الرئيس الأميركي ، كارتر وسرعة دعوته بالتعجيل لتقديم تقارير عن الثورات والتحرّكات الاسلامية المرتقبة في البلدان الإسلامية ، بحيث تعيَّن على فروع وكالات الإستخبارات الموزعة أن تجمع جهودها عند وكالة السي آي إي . وكالة المخابرات المركزية الأميركية ..

إنطلاقاً من هذا الفهم والمعرفة الجزئية بما يبيِّته الأعداء من مواجهات لإجهاض ثورات الشعوب المسلمة [2] ، إنطلاقاً من هذا الوعي فإن على الشبيبة مسؤوليات جسيمة وثقيلة يجدر أن تتهيأ لتحمل عبئها وشدّة وطأتها الشبيبة المتدينة والقوى المؤمنة ، وحتى الفصائل الوطنية في كل الشعوب المسلمة ، عليها أن تتضافر وتتحد لدعم الحركات الاسلامية التحرّرية الصادقة في هدفها ، تتضافر وتتحد لدحر أي مبادرة تسعى لإفشال ثورة إسلامية جديدة في العالم . فشبابنا والحمد لله ، كثير سواء من كان في داخل بلدانهم أو في خارجها ..

---

(١) التايمز البريطانية ، مقال يعبر عن المخاوف الغربية ويكشف النقاب عن خشية الغرب من مداهمة القوة الاسلامية الكبرى . ترجمة صحيفة السفير عدد ١٦٦٣ ص ٩ وترجمة مجلة الوطن العربي بلفظ آخر عدد ٩٤ ص ٥٢ .

(٢) لا يفوتن شبيبة شعوبنا وامتنا الواسعة حقيقة كون المعسكر الشيوعي الشرقي ، هو الشريك الشرعي للمعسكر الرأسمالي في معاداتنا ومناهضة مواقفنا وقضايانا العادلة المشروعة .
خذ لذلك مثالاً يتجسد بمواقف فيدل كاسترو ربيب النزعة الماركسية الشيوعية والسائر بخطها والدائر بفلك معسكرها .. يستهين كاسترو بالمقاومة الفلسطينية استهانة بالغة ، ثم أنه يحذر وبشدة من خطورة تسلّح المقاومة والثورة الفلسطينية بسلاح القرآن وتدرّعها بدرع الاسلام ، ان الاسلام ـ كما عبر كاسترو ـ قدير على تدمير الماركسية ذاتها ، وقد ورد نص كلامه بكتاب (معركة الاسلام) .
وعليه فلنا من قابلية الوعي واليقظة ما لا تخفي علينا موقف الشرق الشيوعي العدائي المتستر .

كن جلياً واضحاً ، حقيقة أن العدوان الإستعماري الكافر إنما يستهدف منابع الحرية ومكمن العزّ وموئل السعادة والتقدم ، ذلك هو الفكر الاسلامي الخلاّق . .

ألا فسيروا الىٰ الأمام وطوبىٰ لمن يعدّ متاع الطريق الطويل والدرب الذي لا بد من سلوكه . . لتحطم الأعداء وأصدقائهم في الداخل ، وأوصيائهم وعملائهم من ملوك أو رؤساء أذلّاء . طوبىٰ لكم جميعاً . ولكم من إشراق شمس قمّ نور دائم ، ولكم من مصابيح مشهد ضوء لا يخفت ولكم من مشاعل تبريز وكل ايران وسائل مقدّسة توضح الطريق وتكشف عنه بل تسهّله وتختصره والسلام على من إتّبع الهدىٰ . .

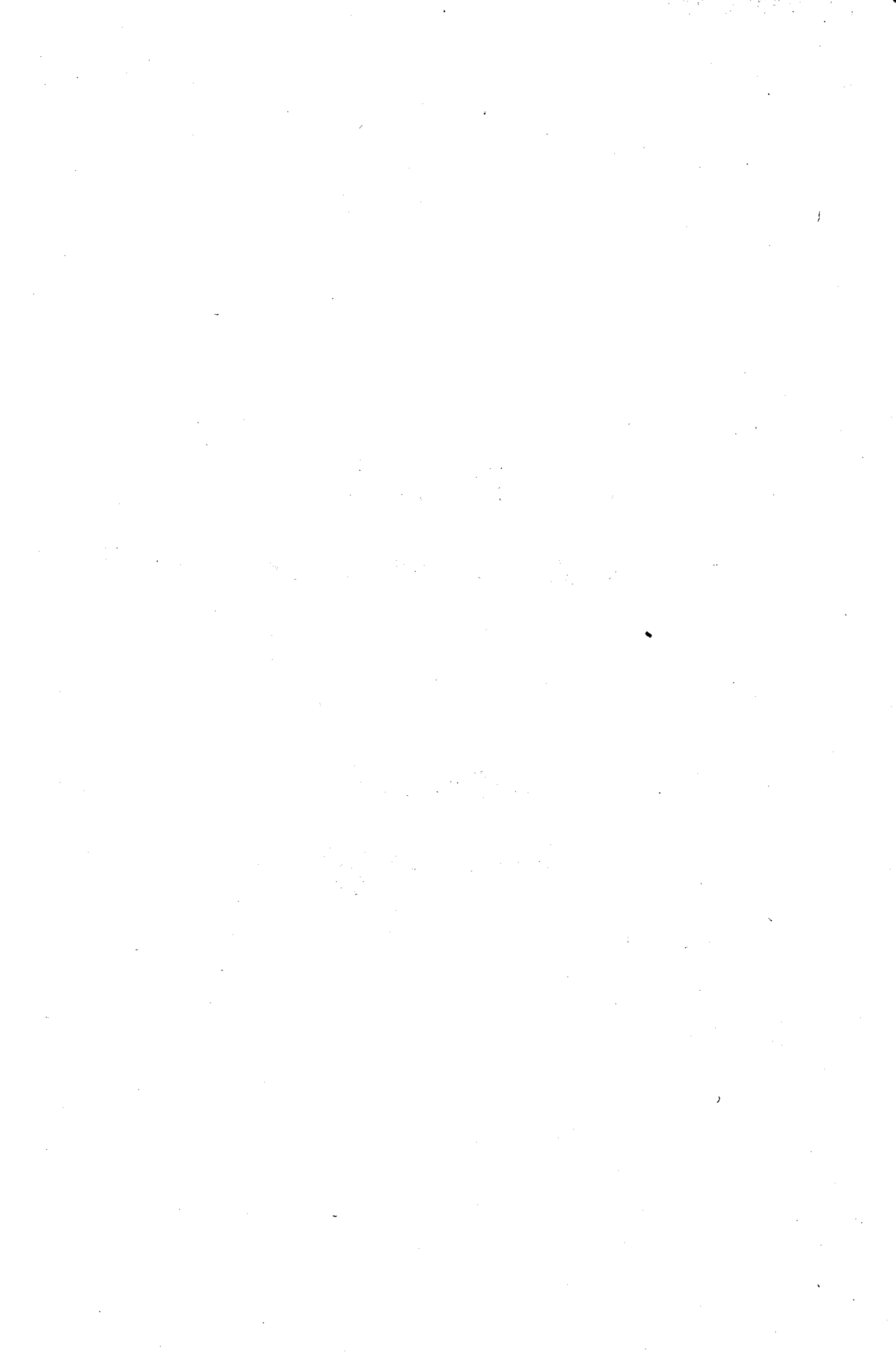
﴿ أذن للذين يقاتلون بأنّهم ظُلِموا ، وان الله على نصرهم لقدير ﴾ .
قرآن كريم . .

القسم الاول

اجماع الجماهير ... كما ونوعا

الفصل الاول

تطلع الشعب وترقبه



سبق لشعبنا الإيراني أن تطلّع للإسلام ، تطلّع لمن يجسّد حقيقة هذا الدين والنظام من العلماء الأعلام .. ترتّب على ذلك أن تربّص بالكفر والكفار ـ الشاه وأسياده ـ ، فما أن يحدث خطأ أو إفراط في السياسة الداخلية والخارجية حتى يضيف الشعب المتربّص أرقاماً الى قائمة الحسابات ، ويزداد تطلّعاً الى وجوه العلماء .

أساساً يقف الإسلام في المقدمة ، ويحتلّ من القلوب مكاناً خطيراً.
أما القول بأن تدهور الإقتصاد هو الذي حرّك الشعب ، أو تداعي الإجتماع . أو سرعة تحديث الشاه للبلاد وعصرنتها ، أو فساد الإصلاح الزراعي ، أو مشروع تحرير المرأة .. وغيره مما سنذكره في مكان آخر .. كل هذه السياسة الداخلية لعبت دور المهيء وليس المسبّب الأصيل ، وإلاّ فاندلاع نار الثورة بهذا الشكل وبهذا النَفَس الطويل لا يمكن تفسيره بشيء إلاّ بما للوقود العقائدي من مسبّب ودفع دائم ودور فعّال .. كذلك السياسة الخارجية مع إسرائيل وجنوب أفريقيا وعلاقة الحب الكبيرة مع أميركا ، إنما هيّأت ظروف الثورة القائمة على أساس متين من فكر الدين الحنيف وأرضية خصبة للشرع الاسلامي .

على أيّ حال فالأسف شديد على الصحفي والمثقف العربي الذي يصرّ على فهم أوروبي للأحداث الايرانية الاسلامية .. ومن المؤسف أن لا يفرّق الاعلام الأوروبي والغربي ـ ثم يتابعه الاعلام العربي ـ ، بين العامل الأساسي والمحرّك الرئيسي وبين العوامل المساعدة والمهيّئة .

وإذا كان للأجنبي عذره لمهمته المتمثلة بالتشويه وتقليل أهمية قضية الاسلام الايرانية والعالمية ، فلا نأسف عليه ، فما بال العربي الذي عاش سنيناً يلغو ويلهج ظاهراً بذكر فلسطين ليلاً نهاراً ، وأوشك أن يعبدها فما باله يرمي الى تسميم عقول الناس بعدم إذاعة الحقائق وإشاعة المبرّرات الضيقة الصغيرة للثورة الواسعة الكبيرة . .

ثمة جهل في تاريخ ايران ، وتاريخ عاصمة الفكر الاسلامي فيها ، حيث مدينة قمّ المقدّسة ، ولكنّ جهلهم لا يكفي لعذرهم . .

ذلك الجهل البسيط ، يدعمه جهل معقّد ـ إن صحّ التعبير ـ وجهل مفرط مؤكّد بمستقبل قمّ وعموم ايران ، المستقبل على ضوئين ، أولهما ضوء العمل الدائب والجهاد المتعب المتواصل للعودة الى الحق والحقيقة الى حيث الاسلام على حقيقته .. ثانيهما : ضوء التنبؤات التي صدرت من أهل البيت سلام الله عليهم عن جدّهم رسول الله الأعظم صلىّ الله عليه وآله وسلّم ، والتي تفاءلت لمدينة قمّ بمستقبل عظيم يعيد الاسلام الى حيويته وحقيقته ، تنبؤات مضى على تدوينها أكثر من ألف سنة ، مدوّنة في كتبنا التراثية الثمينة التي حرصت على حفظ كنوز الأخبار وفرائد الأحاديث الشريفة . .

ولسوف نسجّل بعضاً مما عثرنا عليه من تلك الأخبار الرسالية التي عمل لها شعب الاسلام في ايران لكي يحققها فنهض عدّة مرّات بنهضات وثّابة أسفرت عنها جداول من الدماء ومقابر إزدحمت بها الأشلاء . وهاهي اليوم وثبة المصير ، وثبة القوّة المعبأة التي شحنت معنويات وروحيات من كلمات القادة الكبار ، وكلمات أهل البيت الأطهار ، ولربما يقرأ المرء هذه الكلمة فلا يدرك معناها سابقاً لكنّهاليوم وحاضراً يعطي لها بعداً ، وأبعاداً واسعة . حيث قال الامام جعفر الصادق سلام الله عليه ، مما قال . :

« قمّ بلدنا وبلد شيعتنا ، مطهّرة مقدّسة ، قبلت ولايتنا أهل البيت ، لا يريدهم أحد بسوء إلاّ عجّلت عقوبته ، ما لم يخونوا إخوانهم فإذا فعلوا

ذلك سلّط الله عليهم جبابرة سوء .. أما إنهم أنصار قائمنا ودعاة حقّنا ، ثم رفع رأسه الى السماء وقال : اللهم اعصمهم من كل فتنة ونجّهم من كل هلكة . . »[1] .

ومداليل غير هذا الحديث أوضح وأجلى كما سنرى . .

٢ ـ وقامت قم ـ ولن تقعد : ـ

وثَبَتْ ونهضتْ وقامت قمّ بعد تضلّع بمهمتها وتأصّل قضيتها وبعد إعداد لتحمل أعباء رسالتها ذات الوطأة الشديدة الثقيلة ،الرسالة الأممية ذات الأصالة، . . قامت بعد طول تطلّع لها وتربّص بأعدائها . وسوف لن تقعد تلك المدينة ، كما لا ولن تقف عند حدودها وحدود إقليمها ايران .

فقد كانت أسيرة الأغلال التي كبّلتها ، فقامت وهي جريحة تحمل آلام القرون ، لتذبّ عن نظيراتها ممن عشن الأسر الطويل .

ولا بد أن الجميع يعرف شيئاً عن تاريخها الممجّد في مقارعة الكفّار ومن لم يعرف فإن عليه أن يضيف ذلك الى معلوماته ومعارفه وثقافته ، فلها ولكل ايران بمجمل كبريات مدنها الشامخة الباسلة تاريخ جهاد حافل بالمجد ، يضم الفصول الرائعة المضامين ، مما لم ولن يستطيع الأعداء تجاهله وإنكاره ، لا سيما روسيا القيصرية ، وبريطانيا التي كانت عظمى ، واليوم أميركا المتحضرة بالتوحش الحديث والتعسّف المعاصر . فضلاً عن القوى الأخرى التي سبق وأن شهدت وستشهد التحرّك العملاق لقمّ وأخواتها من المدن الايرانية والعربية المنتظرة . .

لقد لعبت القيادة الاسلامية دوراً مابرح الإستعمار يخشاه خشية جدّية يملأها الفزع والرعب والهلع .. وسار الشعب وراء قيادته المحنّكة الحكيمة

---

(١) كتاب ـ بحار الأنوار ـ ج

مقتدياً بها على هدى الاسلام وبنور نظام الدين الحنيف ، يحث الخطى غير ناكص أو ناكل ولا متنصّل .

دارت عجلة الزمن ، وعلماؤنا الأعلام في نفس الموقف الصلب ، من داخل نفس المواقع المحصنة بالشعب الأعزل . ،الشعب الذي ظلّ في نفس نفس الطريق الطويل ، ونفس خط المسير . .

أما السلطة الحاكمة فقد لاذت بأميركا لتقيها الخوف والخطر ، فاطمأن الشاه بتسربله رداء الأجانب وأحدث الأزياء والموضات ، وأحاط نفسه ببحر من الرصاص والقنابل وبمراكب وسفن حديدية فتّاكة ، ...ّ حوله مئة ألف فنّي وعسكري أميركي فضلاً عما يقرب من نصف مليون عسكري ايراني ، وعلى كل حال فإن ترسانة السلاح البهلوي لا نظير لها إلاّ عند كبريات الدول الاستعمارية . . ونفس الكلام ينسحب على جهاز المخابرات والشرطة السرّية المسماة بالسافاك فهي مبنية على أسس أميركية واسرائيلية ومطعّمة بخبرات وخبراء منهما . .

بيد أن الجمهور كان وراء قيادة . . قاعدة وقيادة عزلاء لا تملك من السلاح ما يكفي لفتح قمّ وحدها على الأقل . . أجل كان هناك سلاح قد دجّج به رجال الجهاد ، إنه يتمثّل بالإيمان . . وكفى بالله وكيلا . .

الإيمان . . هذا السلاح المرعب الذي فاق جميع أنواع الأسلحة الفتّاكة التي تحويها الترسانة البهلوية . الايمان الذي لا توقفه قنابل الغاز المسيّلة للدموع ولا المسيّلة للدماء ، .

فبين فترة وأخرى تمتليء شوارع قمّ وكل شوارع ايران بجثث الضحايا بينما تزدحم السجون البهلوية بزوارها الأبطال ، فيما تكتظّ المستشفيات بالجرحى البواسل فمنهم من ينجو ليعيد الكرّة تلو الكرّة ومنهم من يمضي على ما مضى عليه الأتقياء والعقائديون . كالسجناء الذين منهم من يمضي تحت صنوف التعذيب ، ومنهم من يبقى حتى أجل آخر . .

﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً ﴾[1].

هذا .. وعوائل الاسلام تعود الى ديارها ، لا لتبكي فقط بل لتعد الحكم القذر بجولة وجولات لا مفرّ له منها .. هكذا عاشت الأسرة المسلمة الايرانية ، ترثي شبابها ورجالها ونساءها وأطفالها ، ولكنها تستمد من التاريخ المقدّس حيث جهاد الرسول وأهل بيته ، صبراً وعزاءً وتفاؤلاً ، فلهم في أقطاب الاسلام أسوة حسنة ، ولهم في ذكرى الحسين العظيم في بطحاء كربلاء دمعة شرف ، ولوعة عزّ ملؤها أمل بالنصر مهما طال الصبر .. هذه هي ديار المؤمنين المجاهدين ديار العلماء المستشهدين ، وديار جنودهم من كل الجماهير ، عبر سنوات مثقلة بالجهاد والدمع والدماء ..

بالمقابل كان الشاه وبتربية أميركية ، متحضّرة « جداً » ، متقدمة متطورة تناسب العصر الحديث ، عصر الأطماع وعصر الخداع ، كان يسعى حثيثاً نحو التقدّم « المزدهر » والتطور الشكلي الظاهري [2] ، فيرصّع العاصمة طهران بأضخم البنايات ، متوهماً أنه سينطح السماء ، راغباً بتجاوز تقليده ناطحات السحاب ، يؤسس الدوائر ويشيد كل ما يوهمه بنيل رضى الشعب المثكول ، الذي حدّد له تعامله مع المفاهيم الاسلامية وضيّق لقاءاته بعلماء الاسلام .. وعمل على فتح أبواب المشاريع اللاأخلاقية ، التي أشرفت عليها الفئات اليهودية والإسرائيلية والبهائية ، فعمّ الفساد وانتشر الجنس الرخيص حتى فتحت بطهران حمّامات للجنسين ـ لربما ـ تحقيقاً للمساواة بين الجنسين وما يدريك بفلسفة المساواة هذه ؟ ! .

---

(١) القرآن الكريم ـ سورة الأحزاب ٣٣ ـ آية ٢٣ .

(٢) بنفس الوقت يأخذ بتشويه الاسلام في الداخل والخارج فقام باظهار « الاسلام بمظهر الدين الرجعي غير المتقبّل لروح العصر ، ودأب الشاه على الضرب على هذه النغمة في جميع تصريحاته للصحافة الأجنبية لكسب عطفها واظهار نفسه بمظهر « المصلح الديمقراطي العصري » ـ مجلة الوطن العربي ـ عدد ٨٠ ص ٤٠ الصادرة من باريس ..

أجل . . قامت قمّ . . ولن تقعد . .

٣ ـ المهيئات الأخيرة : ـ

جدير بكل مثقف واعٍ أن لا يسمح لنفاذ الآراء الضيّقة الى ذهنه بخصوص السبب الأساسي والعامل الرئيسي الفعّال لنهضة شعبنا الاسلامي الايراني ، فتصميم القيادة وعزم القاعدة على تطبيق الاسلام وتحكيمه في الشؤون السياسية والإجتماعية والإقتصادية ، داخل وخارج حدود ايران هو الباعث لحثّ الخطى نحو صنع الأحداث الكبرى لإسقاط الشاه وكل متعلقات امبراطوريته البهلوية .

وكل ماعدا هذا الباعث يشكل رقماً يدرج في قائمة المهيئات التي بلورت الواقع وصعّدت من نضال الجماهير الباسلة . .

وقائمة المهيئات طويلة لا يسعنا إدراجها الآن .. نختصر فنذكر آخر هذه المهيئات التي أشعلت فتيل الثورة المصيرية الحاسمة هذه . ويقف على رأسها نفي المجاهد العنيد الصارم سماحة السيد روح الله بن مصطفى الخميني ـ دام ظله الشريف على الأرض ـ . . ولا ريب أن عملية النفي جاءت حصيلة موقف جهادي أتعب العدو وأرهقه فاضطر لأن يتخلّص منه بهذه الطريقة وهذا الأسلوب العاجز . .

تطلّع جند الامام إليه ، وترقبوا عودته ، وطالبوا السلطة بفتح طريق رجوعه إليهم ، واشتد الطلب وتحوّل الى إحتجاج قبيل بدء التحرّك . .

في هذه الأثناء شن الأجلاف من أذناب نظام الحكم حملة شعواء على النساء والفتيات المؤمنات والمسلمات المحجّبات ، فكانت تمارس عملية إنتهاك الحرمات الشخصية ، فضلاً عن إنتهاك حرمات التشريع القاضية بإلتزام الحجاب حفاظاً على الشباب والشابات وتقديراً للمرأة وإجلالاً لها كي لا تتحول في الشوارع الى عارضة أزياء رخيصة السلعة مبتذلة الشخصية .. ولم أنسَ لقاءاً

تمَّ مع أحد الأخوة الايرانيين في ضريح الامام أمير المؤمنين عليه السلام ، حيث سألته عن جهله التام بالتكلّم باللغة العربية ، فأجاب : أن الشاه قد منع هذه اللغة في المدارس الرسمية ـ كما ترجم أحد الشباب الحاضرين ـ وسألته عن الوضع في ايران كما شاهده ، باعتباره قادماً قبل أيام قليلة من بدء الحركة .. فترجم الأخ الثاني ، بما معناه أن الشابات المؤمنات في جامعة طهران يتعرّضن لرمي الأصباغ والحبر على حجابهن ويُعتدى عليهن من قبل الحزبيين ـ حزب راستاخيز الشاهنشاهي ـ فهل يسكت القادة ويلوذ الشعب بالصمت .

خرجت من المكتبة ، دخلت الصحن الشريف ، واذا بالمئذنة تعلن خبر وفاة المجاهد الكبير نجل الامام الخميني .. آه توفي السيد مصطفى الخميني بهذه السرعة ، كيف ، ولماذا؟ وهل ثمة محاولة مبيتة بليل ؟ ؟ ! وتسرّب النبأ المفجع بين الشبيبة المؤمنة في داخل مدينة النجف الأشرف ثم انتشر في أنحاء العراق كله ..

فيما بلغ قمّ المجاهدة ، لينتشر في أرجاء ايران التي ترتقب البلاغات والإنذارات . فأدرجوا الحادث في ملفات السافاك السوداء ، واعتملت الحادثة في نفوس رجال الجهاد ، وكانت خشية ومخافة على قائدهم الأكبر وزعيمهم الأجلّ والد مصطفى ، وأضمر الأبطال أمراً كان مفعولاً ..

رأينا سماحة الامام يحضر جامع الأنصاري المسمى بالترك في سوق الحويش ، ليصلي كالعادة ، ولم يتأخر لموت ولده ، شاهده الشباب يحضر ـ وكالعادة ـ مرقد أمير المؤمنين عليه السلام في نفس الوقت المعتاد الساعة العاشرة ليلاً من كل يوم .. وكأن لم يك شيئاً .. حقاً إنّه رجل المواقف الاسلامية ، إذ لم تؤثّر فيه الحادثة ، بل صرّح بأنها حادثة بسيطة ازاء ما تعانيه الأمة الاسلامية ولم يشغل باله إلاّ بالإسلام والمسلمين ، وهذا ما تؤكده الرسائل الجوابية التي بعثها رداً للمعزّين والمواسين له بوفاة ولده السيد المجاهد مصطفى ـ طاب ثراه[1] ـ .

---

(١) فمما جاء برسالة بعث بها إلى ياسر عرفات رداً على رسالته المعزية . قال مثلاً « أشكركم على كتابكم =

كان إغتياله خطّة تستهدف إرباك والده وإضعاف معنوياته وتصديع مواقفه الصارمة ، كما إستهدف إرهاب الشعب الايراني العنيد ، ولكن النتائج كما يعلم الجميع جاءت عكسية تماماً .. وإن كانت المخابرات الأميركية والسافاك أرادتا التخلّص منه باعتباره شخصاً كبيراً « تنتظره أدوار ضخمة في المستقبل ، كما كان يمارس الدور الأهمّ في الحاضر الى جانب والده » . فقد خسرت ، إذ أن هذا الدور تحوّل بعد مقتله الى نمط آخر من التأدية ، وبشكل آخر من التأثير ، وبنجاح كبير ، فقد حلّقت روحه الشريفة على قمّ ، وراحت تجوب فضاء ايران لتصرخ عالياً ، لتنادي وتلهب الحماس وتثير الهمم ، حلّقت على قصر الشاه لتصم أسماع الأجلاف وتصك صماخ الشاه ..

٤ ـ الخمينيُّ القائد يفسِّر الحدث البسيط

والواقع أن هذه الحادثة قد ألهبت الحرارة في النفوس حتى لقد ظُنَّ بأن السيد مصطفى نفسه لو ذهب الى ايران ليستثيرها بنفسه لما لعب هذا الدور الذي لعبته شهادته ، ولربما جاء إستشهاده في وقته المناسب جداً .. وبالتأكيد فإن الامام الخميني حينما لا تؤثر فيه الحادثة فليس لإنشغاله بالإسلام وأبنائه

= الذي يعرب عن عواطفكم النبيلة ولعلنا متفقون على أن ما حلّ بنا يهون ازاء ما يعانيه الاسلام والمسلمون ان الاسلام الذي يمثّل مدرسة النضال الإلهية الوحيدة يعاني منذ قرون طويلة من الانحرافات وسوء الفهم والتفسير ، بفعل النشاط الاستعماري . وقد استطاعت الدعاية الأجنبية اظهاره بصورة تناقض واقعه .... » .

ومضى هكذا بنفس القضية يعرضها متجاهلاً المناسبة والتعزية والمواساة كذلك الحال حينما بعث برسالة جوابية الى الطلاب المسلمين المقيمين في أوروبا وأميركا وباقي الدول ، فقال مثلاً « .. وأتقدم بالشكر الى جميع السادة الذين أبدوا محبتهم ومواساتهم في هذه الحادثة ، التي هي جزء يسير من الحوادث التي تحلّ بأبناء الاسلام ، وادعوا الله عند قبر مولى المتقين عليّ (ع) لجميع الذين أجبروا على مغادرة وطنهم العزيز بسبب المصائب والقمع البوليسي .... » ..

التاريخ في ٤ ذي الحجة سنة ١٣٩٧ هجرية ... دروس ... ص ٢٢٥ .

ثم عطف ليحدثهم عن الاسلام والقرآن ، والرسالة والرسول وأوضاع ايران فقلب الحادثة البسيطة ـ على حد تعبيره ـ فأضحت قضية يغتنم الفرص من خلالها لعرض معضلات المسلمين .. راجع الكتاب المطبوع حديثاً (دروس في الجهاد والرفض) ص ٢٢٥ ، الذي هو عبارة عن موسوعة واسعة تضمّ خطبه وبعض بياناته ورسائله التاريخية المباركة ...

عموماً فحسب ، بل ليقينه بأنها حادثة معطاءة ولها ثمر جنيّ ، يعوّض عن عطاء وثمر ولده القتيل لو كان حياً .. إن سيدنا القائد ينعتها بأنها من الألطاف الإلٓهية الخفية ، فقد يجهل الناس أبواب لطف الله تعالىٰ ، فينبهنا السيد القائد إليه .. ففي إحدى الخطب التاريخية تعقيباً على الحادث بالنجف الأشرف قال الزعيم مثلاً :

« إن هذه الحادثة ومثيلاتها ، والتي يمكن أن يتعرّض لها كثير من الناس وليست لها أهمية بالغة ، فلله ـ عادة ـ ألطافٌ خفية ، وأخرىٰ ظاهرة .. الألطاف الخفية لا يتم التعرف عليها والتحسّس بها بسهولة » [1].

بمعنى أن هناك حكمة ربانية وسراً إلٓهياً ، ولربما أسراراً متعددة ، منها ولعله أهمها تهيئة أسباب وأمور الثورة .. فإن كان لاغتيال المجاهد السيد مصطفى الخميني ، ألطافٌ إلٓهية خفية ، فإن هذا التفسير يصلح لتفسير الظواهر التعسفية البهلوية الأخرىٰ لا سيما الإعتداء على أخواتنا الفتيات وأعراضنا في المدن والجامعات ونفس التفسير ينسحب على ظاهرة الهجوم الوحشي القذر بواسطة الصحافة على كرامة شخص آية الله الخميني .

فقد نشرت صحيفة « اطلاعات » الناطقة الرسمية بلسان النظام الحاكم ، مقالاً من البشاعة بحيث وصفته الصحف والمجلاّت العربية بأنه « يسيء الى سمعة آية الله الخميني ويتهجّم عليه تهجّماً وحشياً » [2] ، وهذا مما هيّأ أيضاً وأعدّ النفوس التوّاقة للإسلام مع الإنتقام من الأعداء ، الأجلاف .. ولم تكن الإساءة والشتم والإعتداء على السيد القائد هي الأولىٰ ، ولعلها الأولىٰ من نوعها ومضمونها الوحشي ..

فمنذ سنوات شتموه وأساءوا إليه وهو في قمّ ، حتى أنه خطب في سنة ١٣٨٢ هجرية . فمما قاله للشعب :

---

(١) أنظر كتاب (دروس في الجهاد والرفض) .

(٢) مجلة الوطن العربي ـ عدد ٦٦ ص ٢٠

« .. فإن شتموني أو سبّوني ! فسأصبر ولن أتزعزع ، فلنا في رسول الله أسوة حسنة ، ولنا في علي أمير المؤمنين أسوة حسنة ... فالرسول ابتليَ بمشركي قريش حيث شتموه وسبّوه .. وعلي بن أبي طالب ابتلي بمعاوية بن أبي سفيان الذي أوجب سبّه من على المنابر .. فصبر النبي وصبر الامام علي الى أن حان الوقت واندلعت الثورة وجاء الحق وزهق الباطل » [1] .

هذا ما قاله سنة ١٣٨٢ هـ ، ولا تغيّر موقفه السنون ، فهو يصبر أيضاً على المقال الذي نشرته صحيفة اطلاعات ، ولكن من ذا الذي يضمن سكوت علماء قمّ وأهلها ؟، ومن ذا الذي يتحكم بالجماهير التي تدين النظام بديون لا يمكن سدّها ودفعها إلاّ بتبديل الأرض وتغيير الواقع وحرق الملكية و نسف الامبراطورية ونصب الاسلام حاكماً نافذ الكلمة بغير منافس ..

وهكذا إنتفض الشعب إنتفاضته المشهودة ..

وهكذا نقول بأن الإساءة البهلوية للكرامة الخمينية ، والتهجّم الوحشي والإعتداء البشع على الامام ، إنما هو لطف إلّهي خفي ، وهو من الألطاف الإلّهية الخفيّة ، بمعنى أن التفسير السابق يشمل نفس هذه الحادثة التي لا شك أنها بسيطة عادية بنظر السيد القائد ...

وفي البداية ، وقبل التحرّك الإحتجاجي الكبير ، بادر علماء قمّ الأعلام فندّدوا بالمقال المذكور وطالبوا نظام الحكم أن يفتح لهم باب الردّ عليه وملاحقة كاتبه ملاحقة قضائية ، فتجاهلت الحكومة مطالب العلماء ـ وهذا لطف إلّهي لا ينكر ـ إذ سمع الشباب وكل قطاعات الشعب بتجاهل الحكم ، فانفجرت ومن قلب قمّ المقدّسة أوّل تظاهرة أسفرت عن مجزرة لا تنسى ..

٥ ـ واستفزوا تبريز الباسلة : ـ

وجاء اليوم الذي تكررت فيه التظاهرة حيث يوم أربعين ضحايا قمّ

---

(٢) كتاب ـ دروس في الجهاد والرفض ص ٣٦ .

ضحايا التظاهرة الأولى ، فأسفرت عن ذكراهم ضحايا وشهداء آخرين .. وبنفس الوقت عاشت مدينة تبريز نفس ذكرى الأربعين لتسفر الأحداث عن هزيمة الشرطة ، فأفلت زمام الامر من يد الحكم ، مما أدّى الى إنزال الجيش ليقمع الجماهير ويحصد الشعب برصاص الرشاشات والمدرعات ، فمضى العشرات والمئات من الشهداء ..

« في مذبحة لا يمكن أن تنساها تبريز المدينة الباسلة التي تعد مليون نسمة ، والتي قد ترقد على تخوم صحراء ترتدي رمالها المتوهجة في عديد من ساعات النهار اللون الأحمر القاني الذي يجعلها تبدو بحراً من الدماء » . مجلة الوطن العربي عدد ٦٦ ص ٢٠ .

« .. وسقط على أثر هذه المواجهة المئات من المدنيين العزّل في الشوارع ويقال : ان أعداداً كثيرة من الناس إنهارت عليها المنازل التي دكتها المدافع والقنابل » . ــ مجلة الدستور الصادرة بلندن عدد ٣٨١ ص ١٥ .

« لقد إختار النظام أن يجعل تبريز عبرة لمن يعتبر . . » .

« كانت الدبابات تسحق المتظاهرين وهي تخترق صفوفهم بينما كان البوليس يطاردهم في كل مكان بالرصاص .. فلما كان المساء كان عدد القتلى قد بلغ المئات وعدد الجرحى الألوف . . » .

« إن هناك كثيراً من السوابق التاريخية التي تجعل تبريز بارومتراً للأحداث والتطورات السياسية في ايران »[1] .

ولقد تؤكد تجارب التاريخ أن قمّ هي مرصد التطورات ومنطلق الأحداث إن كانت « تبريز بارومتراً للأحداث » كما عبرّت المجلة .

تبريز العملاقة وقمّ تتبادلان الفداء والمساندة في بداية المحنة .. تبريز التي لعبت دوراً عظيماً في الحركة الدستورية ، التي بدأت بالتحرك الجهادي

---

(١) مجلة الوطن العربي ــ عدد ٦٦ ص ٢٠ .

من مدينة النجف الأشرف ، فتحرّك علماء قمّ ، لتتحرك تبريز التي ناضلت ولبّت نداء الاسلام ، ثم منيت بعد ذلك بالإستيلاء السوفييـتي حيث قاد الحزب الشيوعي حركة مضادة ، عرفت بالإنفصالية والتمرد يسندها الجيش الروسي الأحمر .. والتي من طريف ما يحكي عنها « ڤرنو » هو أن « الأرمني دانيشيان الذي لا يحسن أيّة كلمة فارسية ، قد أصبح قائداً « لجيش الشعب » الجديد . . » [1] فيها .

وكان حزب تودة الشيوعي بزعامة بيشاواري الذي أصبح رئيساً للجمهورية الإنفصالية في أذربيجان التي جعلوا تبريز عاصمة لها ، هذا الحزب هو قائد الإنفصال وسيد التفرقة ـ مدعوماً بجيش الإحتلال السوفياتي سنة ١٩٤٦ م ـ أما نصيب هذه الجمهورية ورجالها والجيش الذي دعمها فهو نصيب كل خائن ودخيل ، ونهايتهم كانت على أيدي أبطال تبريز الباسلة الذين تعرّف عليهم الإستعمار العالمي ، بما فيه الإستعمار الروسي ـ القيصري ، والسوفياتي . الشيوعي معاً ، ومن طريف ماتذكر الصحافة عن أهالي تبريز خلال الثورة الأخيرة الحاسمة ، هو :

« يقول التبريزيون : إننا وطنيون ومتدينون ، وعندما طردنا الحكومة الإنفصالية طردنا معها كذلك زعماء تودة الشيوعي الذين رحلوا مع القوات السوفياتية . »[2] ، ويقولون أيضاً :

« إن كونهم مجاورين للحدود السوفياتية قد جعلهم يسكتون سكوتاً وطنياً كريماً عمّا حلّ بمقاطعتهم من جرّاء الفساد الإداري .. ولكنه لم يعد بوسعهم الإستمرار في السكوت . »

« لقد إختنقنا .. لقد تعبنا .. لقد انهار كل شيء بما في ذلك إقتصادنا الزراعي . . . »إلى آخر كلامهم للصحفيين .

---

(١) كتاب ـ يقظة العالم الاسلامي ـ تأليف ف . و . ڤرنو ، ترجمة بهيج شعبان الجزء الثاني ص ٣٢ .

(٢) مجلة الوطن العربي عدد ٦٦ ـ ص ٢١ .

هذا الإندفاع القوي لدى جماهير تبريز وغيرها ماكان لأي قوّة كانت أن تصدّه أو تحدّ منه فضلاً عن أن تحبطه ، وقد أثّر موقف أهالي تبريز على نائبهم في مجلس البرلمان ، الذي صرّح وبجرأة أن مسؤولية المجزرة والضحايا تقع على عاتق الحكم ، مما أدّى بعشاق الشاه في البرلمان الى أن يصرخوا به : إخرس .. إخرس أيها الخائن ، وقضت الجلسة في هرج ومرج ، بعد أن حاولوا الإعتداء عليه ، ورغم خروج نائب تبريز من مبنى مجلس البرلمان بسلامة فإنه لم يسلم من إعتداء البوليس الذي هاجمه ليختطفه ، لكنه « نجا بأعجوبة » ولم يكن بيد الشاه إلاّ تأميم بستان النائب الذي يملكه في تبريز ... هذا كله دليل الحرية التي يتمتع بها البرلمان ونوابه طبعاً ..

* * *

واصلت تبريز تفجير إنتفاضتها مع قمّ حتى شملت الحركة المباركة مدناً كبيرة أخرى ، متبعة أسلوب الإحتجاج على كل مجزرة يقيمها العدو الحاكم ، ومستثمرة مناسبات أربعينيات الشهداء السابقين حتى إذا ما أصرّ الوحش البهلوي على القمع الدموي ، إنقلبت التظاهرات من إحتجاج وإستنكار الى مطالبة علنية ملحّة وصارمة بإسقاط الشاه وقتله أو نفيه الى خارج البلاد ، وقيل بأن أول هتاف بسقوط الشاه ونظامه ، انطلق من تبريز نفسها ..

ولم تكن القيادة المتمثلة بالمراجع الرشيدة وعلى رأسها سيدنا روح الله الخميني ، لتفتر عن دعوة الشعب الشجاع لنسف معاقل الملكية ورؤوسها الفاسدة الجرثومية ، وكان الشعب لا يتأخر عن تلبية أي دعوة أو نداء صادر من قمّ حيث مجمع العلماء الأعلام ، أو من النجف الأشرف حيث سماحة السيد الخميني القائد .. فتبادل الثقة بين القيادة والقاعدة أمر كان يتجلّى بأروع الممارسات الثورية وأسمى الآيات الجهادية ، وإن كان هذا الأمر منذ عقود من السنين المنصرمة إلا أنه في هذه السنة المصيرية قد بلغ الذروة والأوج .. إنه المجتمع الذي أدرك ووعى أكثر فأكثر ، إنه الجمهور الذي نال شرف اليقظة منذ القدم ، مما دعى « فرنو » للقول عنهم بأنهم : « لا يستطيعون البقاء كمية مهملة على هامش النزاع الكبير

بين الشرق والغرب ، حتى لو ترك الإنكليز آخر موقع كبير للنفوذ الأجنبي في الأراضي الايرانية . »[1] .

قال ذلك قبل سنوات ، أيام النفوذ الإنكليزي ، كما يفيد النص ، ولكن بريطانيا ولّت ورحلت فحلّت أميركا مكانها .. وتنبوء فرنو لم يسقط . أجل .. لقد إستمد فرنو موقفه واستند في قراره الصائب على أسبقيات وتاريخ ساهم بصنعه القادة والقاعدة الذين ناضلوا وجاهدوا في سبيل ربهم ورسالة نبيهم .. لم يكن تنبوء فرنو هو الدافع والمشجع المعنوي للمجاهدين ، وإنما تنبوء القرآن الكريم ووعد الله سبحانه لكل من يجاهد صادقاً في سبيل تطبيق مقررات القرآن وتشريعات الاسلام الحنيف ، إنه وعد الله وعهد الرحمن :

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدّلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً . ﴾[2] ..

---

(١) كتاب ـ يقظة العالم الاسلامي ـ ج ٢ ص ٥١ .
(٢) القرآن الكريم ـ سورة النور ٢٤ ـ آية ٥٥

الفصل الثاني

كل الشعب بشتى القطاعات



١ - من هو رمز الجماعة والوحدة -

« .. إنني أمد يدي ، بكل تواضع ، الى كل الشعب الايراني الأبي . الى علماء الدين الأجلاء ، والخطباء العظام ، الى كل شباب الجامعات الدينية وطلبة المعاهد العلمية ، الى التجار المحترمين . والعمال والفلاحين . الى كل فئات الشعب داخل الوطن وخارجه أيّدهم الله تعالى . . . » [١] .

كل فئات شعب ايران المسلم .. كيف ولماذا كلهم دونما إستثناء ؟ ! لا بد من تفسير هذه الظاهرة الفريدة إنها فلتة تاريخية . إذ أنه ينادي الجميع والجميع يلبّون . ويوجب على الكل والكل يجيبون :

« يجب أن تحافظوا على وحدة كلمتكم ، التي حصلتم عليها بكل جدية . وترصّوا صفوفكم تحت راية الاسلام . وعلى كل الأطراف التي تعمل بنشاط من أجل الاسلام التحرري ، أن تتوحد وتردّد معاً شعاراً واحداً هو شعار الاسلام والقرآن .. ويجب أن تسود الوحدة طلبة علوم الدين في المدارس . والطلاب في الجامعات ، والتجار في الأسواق ، والعمال في المعامل ، والفلاحين الكادحين في السهول الواسعة . ومن المتاريس حتى محاريب المساجد والنوادي للأحزاب

(١) من بيان سماحة السيد القائد من النجف الاشرف في ١١ صفر ١٣٩٨ . عقب مجزرة قم - أنظر كتاب - دروس في الجهاد والرفض - ص ٢٥٥ .

السياسية ، وفئات المثقفين والدكاترة والمهندسين ، وكل الأطراف العسكرية والمدنية المحترمين ، عليهم أن يعملوا يداً واحدة ببطولة وبصوت واحد ، من أجل نجاة هذة السفينة التي تجِدُّ شياطين الخارج والداخل لإغراقها . »[1] .

وفعلاً خرج الجميع وتكتلوا كلهم ، فهدرت بهم الشوارع الواسعة الطويلة العريضة ، هرعوا بلا تأخير أو تأجيل ولا تبعيض ، فأجمعوا ـ وليس بعضهم ـ على أن يحرقوا معالم الكفر ويحطموا الأصنام الحديثة ، بتصميم قاهر لا يتقهقر لمحاربة قلاع الجاهلية المستحدثة المعاصرة ، ودك حصون خيبر التي نقل اليهود أحجارها الى ايران وفلسطين . الجماهير التي ستلاحق آخر الحصون وأكبرها في تل أبيب سيلاحقها أبطال ايران الاسلامية بعد نصرهم المؤزّر وبعد أن تحين المناسبة ، ومعهم أبطال أقاليم أخرى . .

هكذا أجمعوا ، وسيبقون على إجماعهم الجماهيري القاهر ، ذي العنفوان المدهش في عالم ذليل خانع يسوده الإستعباد وسياسة الاستعمار « الديمقراطي » « التقدمي » « الحضاري » .

كيف ولماذا كلهم دونما استثناء ؟

لا تسل ، ولا تعجب .. فأمر الله في دينه الحنيف يكفيك مؤونة العبرة والتفكير ، إرجع الى الاسلام ، لا نشترط التبحّر والتضلّع ، عد الى مصدر الثورة ومرتكزاتها الراقية ، الى رسالتها وسلاحها ، الى وسيلتها وأهدافها ، تأمل في مفاهيم الاسلام ، ومعالم الفكر الديني الخطير ، مضامين القرآن الكريم ومحتويات السنّة الشريفة ، والمسيرة التاريخية التي قطعها الرسول وأهل بيته صلى الله عليهم أجمعين ، . . .

بعدئذ لا حاجة لصعوبة الفهم ، وغموض الأمر على أي امرئ كان . .

---

١) من بيان للسيد القائد أرسله من النجف الأشرف في ١٤ ربيع الثاني ١٣٩٨ بمناسبة أربعين شهداء تبريز نفس المصدر السابق ص ٢٩٧ .

فطبيعة الاسلام ومكامن القوة فيه ، هي التي أملت على مسلمي ايران أن يكونوا أقوياء وأشداء قساة على العدو يغلظون له ، رحماء فيما بينهم . .

إن من أبرز معالم مفاهيم ديننا العظيم ، هو الإتحاد والتكاتف ، من أخص خصائص الاسلام : الوحدة والجماعة ، ومن خصوصياته محاربة الفرقة والتمزق والتشتت ، ولا وجود لكيان المسلمين ولا بقاء للفكر الاسلامي لولا التضامن والتلاحم الذي نال فيه أهل الاسلام درجة الإمتياز بلا منافس في صدر عصر الرسالة .. بنفس الوقت ، فإنما سقطت الأمة المسلمة وأقصيَ الاسلام عنها فلأنها أقصت أهم مرتكز لوجودها وهو الوحدة ، الوحدة داخل الأمة بين الشعوب المسلمة ككل ، والوحدة داخل الشعب الواحد بين فئاته ككل . . فانطلق العدو يخترق الصفوف الواهية ويزيدها تمزيقاً وتفريقاً ويعمّق فجواتها ، وهو سعيد جداً ، بينما الآهات والحسرات من نصيب علمائنا الأعلام والمفكرين والشباب المؤمن الواعي « وقليلٌ ما هم » . .

واليوم حيث شعبنا الاسلامي الباسل يهز عروش الطغاة وكراسي الإستبداد ويؤرق نوم المقيمين في الكونغرس والكنيست والكرملن وغيرها ، متّحداً منصهراً « كزبر الحديد » هذا اليوم المقدّس يعود فضله الى وعي شعبنا الايراني العظيم وشدّة تعلّقه بمقتضيات الاسلام وخطوطه ومرتكزاته ، إنه اليوم ينال شرف الإمتياز وحده ليوزعه فيما بعد ، بفخر وإعتزاز ، لكل من عاش الفرقة والشتات والضياع والتسيب ، من الشعوب التي عليها أن تعيد النظر فيما حولها على ضوء النور المتوهج من قمّ . . المشعّ من إقليم ايران الحبيبة . .

﴿ إذا أراد الله بقوم خيراً جمع كلمتهم . . ﴾ [١] .

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا . . ﴾ [٢] .

﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات . . ﴾ [٣]

﴿ وأطيعوا الله ورسوله ــ ولا تنازعوا فتفشلوا ، وتذهب ريحكم . . إن الله مع الصابرين . . ﴾ [٤] .

---

(١) الرسول الأعظم صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

(٢ـ٣) القرآن الكريم ــ سورة آل عمران ٣ ــ آية ١٠٣ وآية ١٠٥ .

(٤) القرآن الكريم ــ سورة الأنفال ٨ ــ آية ٤٦ .

٢ ـ شتىٰ القطاعات : ـ

أ ـ قطاع العمال : ـ لنستهل بذكرهم هنا بادئ ذي بدء .. أولئك الذين خُدعوا على الصعيد العالمي تحت بريق «حكم دكتاتورية البروليتاريا» ضمن الدعوة الشيوعية المعروفة ، ولم ينج شعبنا الايراني من تغلغل الشيوعية الملحدة في أوساطه ، كما لم يسلم العمال من تيار البروليتاريا الأجنبي ، بيد أن النجاة والسلامة تمَّت على يد العلماء الأعلام ورجال الفكر وشباب الايمان الذين كان تواجدهم بين صفوف العمال وبين أجهزة المصانع ، وماكينات المعامل أكثف من أي تواجد ما وأشد أثراً ، لما للرسالة الدينية الاسلامية من سرعة في اللقاء مع الفطرة ، فطرة العمال وجميع الفئات وقطاعات الشعب الإسلامي ..

وقفت المصانع فجأة ، وتوقف الإنتاج ، كما جف نهر النفط ولم يعد يجري لأي بلد معادٍ ، لا سيما أميركا ، اسرائيل ، جنوب أفريقيا العنصرية ، وغيرها من المناطق المعادية لعموم الانسانية ..

لقد أصدر الخميني أمراً ، فنفذوه على ما يرام .. فمن هو الشاه ، ترى من هي إسرائيل ، أميركا ، روديسيا ، كلها نكرات لا قيمة لها ، فالحاكم ليس الشاه وإنما الخميني القائد ..

والتحق العمال بالمساجد والحسينيات ، بدل أن يلتحقوا بالمعامل والمصانع ، وهذا التوجّه للمباني الشريفة ، وليس للدوام الرسمي كالعادة ، هذا التوجّه قد قلب الأوضاع الإقتصادية للعدو وأجبره على إعادة النظر بفواتير العمل في تلك الدول «المتحضرة جداً» .. وأسهم العمال في صنع التظاهرات الضخمة المرعبة إنطلاقاً من قواعدهم الأصيلة حيث ـ الجوامع والحسينيات ـ .

تكرّرت نداءات الشاه على لسان رئيس الحكومة العسكرية ، بإعادة العمل والعمال الى طبيعتهما ، فلم يستجب العمال الى تلك «الطبيعة»» فمارس النظام عنفاً وإرهاباً تمثّل بإجبار العمال بصورة مخيفة وبضغط عصابات

جديدة مهمتها خطف « أبناء العمال لإجبار ذويهم على العمل وتأمين تدفّق النفط . »[1] .

لم يرضخ العمال ، فيما ذهب بعضهم الى المعامل بغية ضمان أبنائهم الذين سُرِقوا ، ولكن هؤلاء البعض لم يباشر العمل قط ، وبإجبار بعضهم على تحريك المصنع والجهاز عنوة ، فإنه يعمل لتحريكه لا لإنتاج ذلك لأن العلماء لم يسمحوا بذلك والخميني القائد يواصل توجيهه لهم لا بإسمه شخصياً وإنما باسم الله وبإسم الاسلام .

« .. فمن واجب الشعب إحتراماً للإسلام والقانون ، عدم إطاعة الشاه وحكومته وعدم دفع الضرائب ومواصلة الإضراب وخاصة في حقول النفط . »[2] .

ب ـ قطاع الفلاحين ـ هو الآخر ، يشترك تحت نفس الألوية الاسلامية في تظاهرات واسعة ، تحت راية القرآن يسهم في الثورة ، ويلبي نداء السيد الخميني بضرورة زراعة الحنطة ، مع عدم دفع الضرائب للحكومة ، ثم تسهيل نقل المحاصيل الى المدن المتعبة المرهقة ، والإسراع في تقديم وتوفير ما يسد حاجة الشعب من أسواقه ومحلاته ، وتتحرك جماهير الفلاحين بنشاط داخل القرى والأرياف بالمزارع والحقول « الكادحين في السهول الواسعة » .

ج ـ الطلبة والأساتذة ـ في المدارس الإبتدائية ، فالثانوية حتى الجامعة كلهم خلف العلماء يسيرون ، وللشاه يطاردون ، وتحولت مباني المدارس والمعاهد والجامعات الى مقرات للثوار ، مما أدّى الى إغلاقها من قبل نظام الحكم ، ولكن الطلاب والأساتذة هاجموا مكتب مدير جامعة طهران فاحتلوه « وتظاهروا في الحرم الجامعي مطالبين بإعادة فتح أبوابها ، وقد طوّق رجال البوليس مبنى الجامعة »[3] ، وراح العلماء يدعمون الشبيبة الطلابية ورجال التعليم الجامعي .

---

(١) مجلة الكفاح العربي ـ الصادرة من بيروت ـ عدد ٢٥ ـ ٧٠٨ ص ٤٤

(٢) الإمام الخميني ـ صحيفة الوحدة ، مكان صدورها « ابو ظبي » ـ عدد ١٦٢١ ص ١٢ .

(٣) صحيفة الانباء ، تصدر بالكويت ـ عد ١٠٦٨ ص ١ .

ويشجعونهم على موقفهم الشجاع ، ومطالبتهم بإعادة فتح أبواب الجامعة ، ولكن لم يفتحوها ألكي يدرسوا فيها وهم في هذا الوضع المزري ؟ لنستمع الى الى أحد الأساتذة ـ رضا جعفري استاذ الاقتصاد في جامعة طهران ـ وكأنه يجيبنا بتصريحه لوكالة الاسوشيتدبرس :

« إن النية لا تتجه الى إستئناف الدراسة في الجامعة ، ما لم تتم الإطاحة بالشاه وبرئيس وزرائه الدكتور شابور بختيار » .وقال : « إن الجامعة أعادت فتح أبوابها حتى يتجمع فيها أفراد الشعب ويتبادلوا الآراء » . [١] .

فلم يريدوا مواصلة الدراسة اذن ، بل استهدفوا إعداد دروس للشاه وتلقين الأعداء المستعمرين دروساً لن تنسى ، ليقرأوها بفصول تاريخ طويل للاسلام الخالد . . وكان حقاً درساً علمياً موضوعياً قاسياً جداً .

د ـ الأطباء ورجال الصحة : ـ فقد أعلنوه إضراباً حتمياً تضامناً مع الثورة المباركة ، إذ رفض أطباء مدينة « مشهد » المقدّسة ، مزاولة العمل تماماً ، إلا عند أشد الحاجات إلحاحاً [٢] . فيما أضرب أطباء مدن أخرى في غمرة صراع حاد يتساقط فيه الشهداء والجرحى . ولم يعمل الطبيب إلا لعلاج جرحى الصراع الدائر ، ولطالما أمر الأطباء نقل الجريح الى داره لمعالجته هناك فيذهبون الى بيوت الجرحى بفعل تكرار اعتداء الجيش والسافاك على المستشفيات ذاتها للإجهاز على كل جريح كما هوجم الأطباء بشكل مقصود . .

« لقد دخل الجنود مستشفى في المدينة « أهـواز » تحيط به الدبابات . وكانوا قد ضربوا حصاراً حول المستشفى بعد أن علموا أن الأطباء يعتزمون القيام بمسيرة من هناك » [٣] .

---

(١) صحيفة الأنباء ـ عدد ١٠٩٢ ـ ص ١٩ .
(٢) صحيفة اللواء الصادرة بلبنان عدد ـ ٢٨٤٥ ص ١٤ .
(٣) صحيفة السفير الصادرة بلبنان عدد ـ ١٦٨٦ ص ١ .

هذا وقد بادر جميع العاملين في شركات الطيران من موظفين وعمال الى الإضراب ، وقد أكدوا في بيان لهم تلاحمهم مع الثورة الاسلامية . « وأكدوا أنه طالما أن الإضراب مستمر في جميع القطاعات العامة والخاصة بأمر من الإمام الخميني فإن العاملين بشركة إيران للطيران سيواصلون النضال حتى تتحقق طموحات الشعب الايراني »[1] .

عدد كبير من الطيارين قد انشقوا ، فمنهم من أضرب ومنهم من استقال وحينما أضرب ستة من الطيارين ، وجاء أمر فصلهم كان خمسون طياراً قد قدّموا إستقالاتهم إحتجاجاً على فصل إخوانهم ، بل واحتجاجاً على النظام كما يبدو جلياً ، وهؤلاء هم من رجال الطيران المدني التابعين لشركة الخطوط الجوية الايرانية ، وبذلك فقد توقفت الشركة عن العمل[2] .

وأضرب عمال طهران لإطفاء الحرائق وعددهم ألف موظف وعامل وكان إضرابهم في وقت إشتعال النيران ، إذ يقوم الثوار بإدلاع النار في مباني خاصة للشاه أو مباني الدول والكيانات العنصرية ، فقد أشعلوا السفارة البريطانية ، والأميركية ، ومقرات ومكاتب أجنبية معادية ، فضلاً عن البنوك الخاصة « بصاحب الجلالة » .. بالتالي فإن رجال الإطفاء يأتون بعد أن تستدعيهم الحكومة بسرعة لإطفاء النار ، ويساعدهم السافاك في مهمتهم ، أما إذا ما أحرق الثوار منازل البوليس السري ، فإن رجال الإطفاء يجبرون على أداء عملهم خلافاً لرغبات الثوار ، وعليه .. فخوفاً من الإساءة للثورة أعلنوا الإضراب لكي لا يطفئوا نار الحركة ، « لأنهم لا يريدون أن يرتبط إسمهم بالبوليس السافاك » كما عبَّر ناطق عنهم « ونحن لا نريد مثل سوء التفاهم هذا مع الشعب » وجاء إضرابهم تعبيراً « عن التضامن مع الحركة ضد الشاه »[3] .

هـ ـ رجال الصحافة لم يبقوا رهن الجمود قيد الصمت ، فأخذ اتحاد

---

(١) صحيفة الفجر الجديد ـ الصادرة بليبيا ـ عدد ١٩٨٦ ص ٨

(٢) صحيفة الانباء ـ عدد ١٠٦٨ ص ١٨ .

(٣) صحيفة الوطن ـ الصادرة بالكويت ـ عدد ١٥٦٢ ص ١٧ .

الصحافيين الايرانيين باستنكار ممارسات القمع والإرهاب الشاهنشاهي وقد بعث الاتحاد ببرقية شجب وتنديد بالعنف البهلوي ، أرسلوها الى « ماك بريد » رئيس لجنة الاعلام التابعة لمنظمة اليونسكو ، والتي تعقد يومها « دورتها الرابعة بمدينة دوبروفنيك اليوغسلافية »[1] .

ولم يكتفوا بمجرّد الإستنكار ، إذ نفذوا إضراباً عن العمل أوقف إصدار الصحف وشل الاعلام البهلوي ، إستمر الاضراب عن إصدار الصحف الايرانية من أيام الحكومة العسكرية حتى مجيء الحكومة الرابعة التي توهّمت أنها أطلقت الحريات بإباحة طبع كل شيء في الصحف . .

وسبق أن إنضم إليهم كل العاملين بوكالة الأنباء الايرانية ، وهذا ما أعلنته الوكالة عبر بيان للعاملين فيها ، أخبروا فيه أنهم أضربوا عن العمل واستهدف إضرابهم ـ كما صرّحوا ـ تضامن « العاملين في الوكالة مع حركة المعارضة ضد شاه ايران »[2] .

هذا وإن المرأة المسلمة كانت تسهم وبحماس بأي قطاع تواجدت فيه ، عمالاً أو موظفين أو مزارعين ، ولسوف نفرد فصلاً خاصاً لجهاد المرأة الاسلامي .

حتى إذا ما تفاقمت الأحداث وتطورت ، وصعّد الأبطال من صرامة مواقفهم ، أخذ أفراد من الجيش ينسلون لينخرطوا في صفوف الشعب . ثم ارتفع عدد العسكريين من الجند والضباط حتى بلغ المئات فالآلاف . .وسوف نفرد للجيش فصلاً خاصاً . .

أما التجار وأصحاب المحلات في البازار فقد سمع الكثير عنهم وعن أدوارهم الخطيرة . . وقد كانوا من السخاء والجود بحيث ضحوا بالكثير من أوقاتهم

---

(١) صحيفة الفجر الجديد ـ عدد ١٩٨٦ ص ٨ .
(٢) صحيفة الوحدة ـ عدد ١٦٣٥ ص ١ .

وبضائعهم وأموالهم التي راحوا يوزعونها على كل مُضرب معسِر أو مفصول من الوظيفة في ضيقٍ من أمره .

كما وجّه إليهم الامام الخميني القائد نداءات بذلك ، « وبعدم رفع الأسعار » كيلا تتحول ايران الى سوق سوداء للبضائع الإستهلاكية .. وبعد كل هذا العرض الموجز لكل تلك القطاعات ماذا بقي « لصاحب الجلالة » الشاه آريامهر ..

٣ ـ بعض الشعارات الشاملة والهتافات العامة :

إن من أروع ما يلاحظه المطّلع ، هو عدم وجود شعار خاص بقطاع ما أو هتاف لفئة معينة يتنكر لعمومية المطالب الاسلامية وشمولية الأهداف المنشودة .

أجمعوا جماهيرياً ، ومعهم حتى الفئات والفصائل الوطنية المخلصة على قرار ماتراجعوا عنه ، وموقف لم يتقهقروا بعده ، أجمع شعب الاسلام الأكبر على الهتاف المدوي للحق ضد الباطل ، للاسلام والقرآن ضد الكفر والإستهتار ، فشعاراتهم حادة قاهرة للأعداء .

« **شعارنا : الله ، القرآن ، الوطن والخميني** » .[١]

يهتفون وقبضات أكفهم المرتفعة يلوحون بها كأخطر من القنابل اليدوية . شعارات وهتافات مشفوعة بالتأكيد والتصميم ، مرفقة بالعنفوان ، توحي بحتمية تقرير المصير ..

هتافات سجلها أحد المنشورات الثورية الموزعة عندنا ـ بتوقيع حركة التحرر الاسلامية : ـ

(١) صحيفة الأنباء ـ عدد ١٠٧٢ ص ٢١ .

« نحن أتباع القرآن ونرفض رستاخيز » أي حـزب الشاه« الوطني .
« الخزي والعار لرستاخيز » . .

« الخلود لشهداء الشعب المجاهد » . « ليحيا السجناء المجاهدون » .
« ليحيا الامام الخميني المبعد » . « ليحيا طالقاني السجين » .

وترتفع هتافات أخرى كل على حدة ، مفترقة وبايجاز مثلاً :

« الشاه فرعون العصر » . « لتسقط حكومة الشاه الجلاد » . .
« الشاه نمرود العصر » . « النصر لحكومة الاسلام العادلة » .
« الشاه يزيد العصر » . « الموت للحكومة اليزيدية » .
« نصر من الله وفتح قريب » . وهي آية قرآنية يهتفون بها .

وتنطلق التظاهرات أحياناً بطلقات معنوية كالآيات القرآنية أو الأبيات الشعرية . كهذين البيتين : « إمّا أن نحطِّم رأس العدو وبالحجر .. وإمّا أن يعلِّق العدو رؤوسنا فوق المشانق » .

« في هذا العصر الدني .. قتيل مناضل واحد أفضل مـن مائة حي مقهورين » .

هذا ما أورد لنا أحد المنشورات ، وهكذا قال الامام علي عليه السلام عن القهر ، إذ طفرت الى ذهني مقولته الخالدة « **حياتكم في موتكم قاهرين ، وموتكم في حياتكم مقهورين . . ألا إن خير الموت القتل** . »إلى آخر كلامه الشريف
آلاف الأفواه تطلق .. وملايين الحناجر في حشرجة تنادي .. « الله أكبر » « لا آله إلا الله » . .

« الموت . . أو الخميني » [١]
« ايران بلدنا . . والخميني قائدنا » [٢]
« يحيا الخميني . . يسقط الشاه » [٣]
« أهلك الله ولي العهد » [٤]

(١ ـ ٢) مجلة الكفاح العربي ـ عدد ١٨ ـ ٧٠١ ص ٣٨ .
(٣ ـ ٤) صحيفة الانباء ـ عدد ١٠٦٩ ص ٩ عن صحيفة اللوموند الفرنسية .

« تباً لك .. وللغرب » [٥]

« خذوا دميتكم أيها الأميركيون ، فقد ضقنا ذرعاً بكم » [٦]

وغيرها من الهتافات العازمة على تحقيق معانيها ، والشعارات السامية المؤكدة تطبيق صيغتها بقوة الإيمان وقوة التقوى والإنشداد للدين وعليه فقد رضخ الغرب للحقيقة القاضية بأن الثورة ليست من فعل رجال الدين وإنما من فعل كل قطاعات الشعب بقيادة هؤلاء الرجال الأعلام ، لقد تجلّى ذلك بما لا لُبس فيه ، كما أقرت واعترفت صحفهم الأجنبية .

« فواضح الآن ، أن المزارعين وأصحاب المحلات التجارية ، وأبناء الطبقة الوسطى يريدون رحيل الشاه عن الحكم ، والمعارضة تضم أغلبية الايرانيين » [٧] قل أغلبية ساحقة ، بل كل ايران عدا حثالة من البشر .. إنه وعد الله بفوز المتحدين وغلبة الوحدة ، والظفر بقوة الصف والمصطفين .

﴿ **نصر من الله وفتح قريب ، وبشّر المؤمنين** ﴾ [٨]

(٥ـ٦) مجلة المجالس ـ تصدر بالكويت ـ عدد ٣٩٩ ص ٢٥ .

(٧) الهيرالد تريبيون ـ ترجمة صحيفة القبس الصادرة بالكويت ـ عدد ٢٣٨٤ ص ١١ .

(٨) القرآن الكريم ـ سورة الصف ٦١ ـ آية ١٣ .

الفصل الثالث

التضافر الكبير والانصهار ببوتقة القضية

١ - الفئات والأحزاب الوطنية : -

أما التكتلات والتنظيمات الوطنية الصغيرة والكبيرة ، المخلصة والمشبوهة . فقد اتحدت جميعها نحو الهدف المشترك الواحد ، ألا وهو خلع الشاه وقلع أسس نظامه الاستبدادي .. ولقد تحركت الفصائل الوطنية بفعل وطنيتها وبفعل نداءات الخميني القائد للمخلصة منها على وجه الخصوص ..

يضم الشعب الايراني تشكيلة من الأحزاب والفئات المنظمة ، وهي على كثرتها يصعب عليها أن تقرّر فتعلن موقفاً ما ، لأن الغالبية الساحقة يضمها حزب واحد ، هو حزب الله بقيادة آيات الله العلماء الأعلام .. وعليه فإن تلك الأحزاب الكثيرة لا تضم سوى القليل من أفراد الشعب وقد ظهرت النزعة الوطنية بين صفوف الشعب الايراني منذ عقود « كغيرهم من شعوب الاسلام الكبرى ، قد عاشوا يقظة الحركات الوطنية ، وشهدوا ردود الأفعال في سلسلة الاضطرابات السياسية الكبرى التي امتاز بها العقد الأول من القرن العشرين »[1] .

بينما نرى عمر الجهاد الاسلامي والحركات الاسلامية أبعد من ذلك الزمن فضلاً عن أن فاعلية الاسلام أعمق أثراً في نفوس شعبنا المجيد ..

هذا وقد آثرنا عدم الوقوف طويلاً على أسماء ومكانة تلك الأحزاب والفئات .

---

(١) كتاب « يقظة العالم الاسلامي - » بقلم .. فرنو ج ٢ ، ص ١٦ .

نظراً لتوخي الإيجاز ، وبناءاً على قلة المصادر حول ذلك ، فما تنشره بعض الصحف والمجلات عمّا يندرج تحت عنوان « الجبهة الوطنية » من أحزاب قد لا يسعفنا كثيراً ..

ولقد خشيَ بعض الناس الذين يستمعون لأخبار ايران الثائرة أن تكون الغلبة للأحزاب . سيما الحزب الشيوعي كما يعبّرون .. وهذا لعمرك جهل وعدم معرفة بالمراجع القادة الأفذاذ .. ولربما توحي كثرة تكرار إسم الجبهة الوطنية في نشرات الأخبار الى أنها سيدة الموقف . والحال عكس ذلك ..

لقد طرحت سؤالاً إستفسارياً عن مدى نفوذ الجبهة ، كان ذلك بمنزل الامام الخميني بمدينة النجف الأشرف ، فكان الجواب بأنه « ليس للجبهة الوطنية حظ أو نفوذ » .. « السيد الخميني هو المسيطر على الشارع وهو سيد الموقف » وتأكيداً للقراء ، نسجل تصريح « دوغلاس » البريطاني الذي قال في معرض حديث طويل :

« إن المعارضة السياسية التي تمثلها الجبهة الوطنية لا تحظى بأي تأييد شعبي فعلي ، ولذا فإنه لا حيلة لزعمائها سوى أن يوافقوا على كل ما يقوله الخميني .. وهي لا بد أنها تأمل في ظهور نفوذ ديني معتدل يخرج من المساجد » [١] .

فالإتجاهات والتيارات داخل الجبهة تشاطر القيادة العبقرية للإمام الخميني وباقي العلماء ، ببعض الأهداف وأهمها محاربة الشاه ، هذا على الرغم من عمق الخلافات والإختلافات الايديولوجية ، بل إن هذه الخلافات الايديولوجية معشعشة في أبراج الجبهة الوطنية نفسها ..

والشعب الاسلامي لا يثور أو يتحرك أو يجاهد بمعزل عن العلماء ، بل لا يؤيد أي مشروع أو مبادرة مصيرية ما لم تتقدمها الرؤوس العلمية والعِمّة

---

(١) عن التايمز ـ ترجمة صحيفة السياسة ـ الصادرة بالكويت ـ عدد ٣٧٤٨ ص ١٦ .

التاريخية ، إذ لا يصدّق شعبنا الايراني بأن غير العلماء يمكنهم الصدق والإخلاص في إنهاء الدكتاتورية ونسف الشوفينية . .

« . . إن أي تحرك إجتماعي محض لا يمكن أن يكتب له النجاح ما لم يتم عبر تدمير الشوفينية في ايران ، وهذا ما يعزز دور حركة رجال الدين » [١] .

« ويمتلك هذا الإتجاه الديني تراثاً من النضال ضد الإستعمار البريطاني وحليفته السلطة الديكتاتورية ، ولعل أحداث أعوام ١٩٠٥ ـ ١٩١١ تؤكد ذلك . . » [٢] .

وفي الجبهة الوطنية رجال لهم سابقة ، ولهم إخلاص في مواقف تاريخية ، ولعل زعيمها الدكتور عبد الكريم سنجابي ليس الوطني الصادق الوحيد . . كما أن فيها نماذج إنتهازية وصولية ، تتربص الفرص لصيد الكراسي . ولعل المدعو شابور بختيار ليس آخر انتهازي وصولي خائن ، كما وأن هناك من يترقب الفريق الغالب لكي يزعم أنه كان معه . . وليس ذلك بخافٍ على الخميني القائد خرّيج مدرسة القرآن الكريم .

﴿ ولئن جاء نصر من ربك ليقولنَّ ، إنّا كنا معكم . أوَليسَ الله بأعلم بما في صدور العالمين ﴾ [٣] .

٢ ـ حتى الشباب اللاملتزم : ـ

لا شك بحقيقة انتشار التميّع والانحلال بين صفوف الشعوب الاسلامية كافة ، فلم يستقر الاتجاه الفاسد داخل أوروبا والغرب فحسب ، إذ إتجه إلينا ليجرف بتياره شباب شعوبنا المسلمة ، فصدَّر الاستعمار كميات من الأخلاق الرذيلة بواسطة حفنة من المبشّرين المعادين منذ بداية هذا القرن بحيث

---

(١) مجلة فلسطين الثورة ـ الصادرة بلبنان ـ عدد ١٦ ص ٣٢ ـ ٣٣ .

(٢) نفس المصدر ـ ص ٣١ .

(٣) القرآن الكريم ـ سورة العنكبوت ٢٩ ـ آية ١٠ .

عملوا على سلخ شبيبتنا عن أسمى مقومات شخصيتها ومعاني رجولتها .. وتركوها بلا شخصية حيوية ولا رجولة قوية ، أملاً بتغيير نظرتها لدينها الاسلامي، واستبدالها بنظرة زائفة جديدة تمهيداً لطمس هذه النظرة الجديدة نفسها ، وقد تفاءلَ أحد المبشّرين في أوائل القرن العشرين فقال بلهجة النشوان الغالب ..

« قد أزفّ الوقت لإرتقاء العالم ، وسيدخل الاسلام في شكل جديد على الحياة والعقيدة ، ولكنّ هذا الاسلام الجديد سينزوي في النهاية ويتلاشى بالنصرانية »[1] .

لم يستهدفوا نشر نصرانيتهم بقدر إستهدافهم طمس إسلامنا وحلّ شبابنا ، لذا لم يكتفوا بتصدير بضاعتهم الرخيصة إلينا ، بل أجبروا عملاءهم وصناعهم على مواصلة الإستيراد عبر القارات خلال البحار ، لضمان رواج سلعهم فيما لو رحلت قوافل التبشير الإستعماري .

وإذا رحلت بغالبيتها عن أكثر بلدان الاسلام تاركة أزلامها العملاء ، مخلفة آثارها الخطيرة ، فإنها عن ايران لم ترحل بل تعززت وتركزت بفضل « صاحب الجلال » ـ الأب والإبن من بعده ـ .

« وفارس مثال للإنحلال » مما ختم به القسيس زويمر مقاله الإفتتاحي لمؤتمر لكنو للتبشير الإستعماري عام ١٩١١ م .. « فالمغرب الأقصى في الاسلام مثال الإنحطاط ، وفارس مثال للإنحلال وجزيرة العرب مثالاً للرقود[2] ... و .... الخ

لم يكذب زويمر ، بل قال الحقيقة وكشف الواقع لتشجيع رجاله ولتكريس الجهود لتعميق الإنحطاط والإنحلال والرقود .. و ... فإذا كانت فارس منحلة منذ سنة ١٩١١ ، فما هو الوضع هناك في السنوات الأخيرة التي أضحى الإنحلال

---

(١) كتاب ـ الغارة على العالم الاسلامي ـ بقلم شاتليه ص ١٧٩ ط

(٢) نفس المصدر ـ ص ١٦٠

خصوصية حضارية ، ووساماً تقدمياً ، ومن أبرز معالم الاقتباس من الغرب وأوروبا ؟؟ لا شك أن الوضع متدهور متردٍ جداً .

وما كانت القوىٰ الصهيونية بعيدة عن أغراضها ومصالحها وخبثها ،.

« ولقد خدعنا الجيل الناشيء من الأمميين ، وجعلناه فاسداً متعفّناً بما علّمناه من مبادئ ونظرياتمعروف لدينا زيفها التام ، ولكننا نحن أنفسنا الملقّنون لها »[1] .

إنحدر الكثير من الشبّان ، آلاف الشباب والشابات يعيشرن الفساد الى الأذقان .. بينما كان العلماء بالمرصاد وكانت التنظيمات الاسلامية التي قوامها الشباب المؤمن الملتزم تجمع المعلومات حول كل مايستجد من مشاريع إنتهاك حرمات الاسلام وقيَم الشعب والشباب .

وتصل التقارير الى العلماء الأعلام ليقفوا جيداً على مبادرات النظام البهلوي الحاكم الذي يسعىٰ لفتح الطريق لكلٍّ مـــن الهيئات الإسرائيلية واليهودية والصهيونية والماسونية والتبشيرية ، والمجوسية والأرمنية والبهائية .. الذين أجمعوا على الخدمة بواسطة فتح الملاهي والحانات ودور الدعارة ، وأفلام الجنس ، وحمّامات الإختلاط ، و . . . وكل ماينديٰ له الجبين . . .

ويواصل الشباب المؤمن الملتزم ، عطفه ونصحه وإصلاحه لإخوانه المساكين غير الملتزمين .. ولكن حياة الانحلال واسعة واستحواذ الأهواء وتسلّط الشيطان يحول دون إصلاح الكثير . .

إنه يعاند ويكابر إخوانه الدعاة ، يعصي ربّه ، لا يحب الإلتزام ، كأنما هي رغبة ما كالرغبات ، لربما يقول بأنه سوف يصلي حينما يكبر ـ حينما يبلغ من الكبر عتيا ـ . وعلى كل حال فإنه رغم عصيانه وعناده ، ما يلبث أن

---

(١) بروتوكولات حكماء صهيون ـ البروتوكول التاسع ...

يعود الى رشده ، ويعودون بنطاق واسع في أيام التاريخ الأكبر .. فتراه يتحول وينقلب بشكل عجيب ، لكنه مع عصيانه وعنادٍ قوي ، يحوّله ضد النظام الحاكم ..

وإن لم يلتزموا سابقاً فهم مع الايمان والاسلام والالتزام ، جنباً الى جنب مع إخوانهم المؤمنين ضد الأصنام والأوثان والإنحلال والطغيان ، فالكل على معرفة بالحكم التعسفي ، مع تفاوت ملحوظ وفق أسس التفكير ...

ترى هل يسكتون والخميني يدعوهم ، يوجّه النداء إليهم بالذات كي يتركوا الخط الذي رسمه الأعداء ، كالليوث نهض العلماء ، فهل يتركونهم وحدهم مع الفصائل المؤمنة في الساحة ..؟؟ كلاّ وهيهات .

هجوم كاسح على مباني النظام البهلوي ، وهجومات متكررة من قبلهم .. يدعمون الشبيبة المؤمنة ويساندونهم .. إنه شغلهم الشاغل نهاراً وليلاً بعدما كانوا يقضون الليالي ويقتلون الساعات في الحانات والسينمات والملاهي . إنها يقظة الضمير والتجاوب مع الوجدان ، لقد راحوا يحطمون الحانات وينسفون السينمات ، إنتقاماً من دورها البشع في تحطيم شخصياتهم وسلخهم عن دينهم .. إنتقاماً لدينهم الذي تركوه ولأنفسهم التي أهملوها وهم بذلك يمارسون فعلاً التكفير ، ويعلنون منطق التوبة عملياً ..

وحينما سُئل المجاهد أبو الحسن بني صدر عن سبب تدمير دور السينما أجاب بقوله ..

« يجب دراسة الأفلام المعروضة في ايران ، لكي ترى أنه قد تمّ خلال العشر سنوات الماضية إختيار هذه الأفلام بدقة ، لتدمير كل فكر خلاّق لدى الشعب » (١) .

(١) صحيفة السفير ـ عدد ١٦٩٩ ص ١١ ـ مقال للمجاهد أحمد بني صدر .

وماذا قال الامام الخميني القائد عن الأفلام ... « نحن ضد الأفلام التي تهدف الى إفساد شبيبتنا . وتخرّب ثقافتنا الدينية . » ويضيف بسماحته : « ولكننا بالتأكيد ندعم تلك الأفلام الثقافية التي تغذي الأخلاق وتنمّي المدارك العلمية ، ثم إن الكحول وما شابهها ، كلها مضرة للمجتمع وسوف تحظّر . »[1] والطريف أن صحيفة الغارديان تسبق تصريح السيد بالقول بمنطق غربي أن الجمهورية الاسلامية الايرانية « قد تبدو وكأنها صحراء إجتماعية . فلا مشروب ولا سينما ، ولا شيء شبيه لهما » .

وهل السينما الهادفةمع فقدان السينما السيئة ومنع الخمر ، شيء خاطيء أوصحراوي .. ؟ ! ! أو هل أن إقامة حكم الله وعدالته ، وتنظيم كل متطلباته وإزالة كل المؤسسات السيئة والأشياء السلبية ، معناه أنه ستتحوّل الى صحراء جرداء ؟ ليت شعري ماذا تنتفع أوروبا بأثاثها وزخارفها التي ستفتك وتبطش بها .. يوم لا شك في قربه ؟ ؟ « أليس الصبح بقريب » . ؟ .

واصل الشباب الشجاع إنتقامهم من مخلّفات الإستعمار وراحوا يواجهون الفرق الخاصة التي لها وحدها تصدر أوامر إطلاق النار ، وهاجموا الجيش ، وهم جنباً الى جنب وكتفاً الى كتف مع إخوانهم المؤمنين البواسل ، وقد يبدو حتى للصحافيين أولئك الشباب غير الملتزمين ، وهم غالباً بملابسهم من الطراز الغربي والزي الأوروبي ، .

لاحظ أحد الصحفيين في أثناء مظاهرة فجّرها جمهور شاب ، وجوبهت بالرصاص ، أنهم يضحون ويطالبون بالسلاح لبدء قتال مسلّح . بل هذا ما لاحظه الكثير . .

« قال شهود عيان ان الشبان الذين كان معظمهم يرتدي سراويل الجينز ، والسترات الشبيهة بسترات الجيش الأميركي غيروا من لهجة هتافاتهم وبدأوا

---

(١) الغارديان ـ ترجمة صحيفة الرأي العام ـ عدد ٥٣٩٤ ص ١٧ .

يصيحون .. الجيش لم يعد منا نريد سلاحاً لمحاربته »[١] .

فظاهرة الزي الغربي ولبس البنطلون الكاوبوي ـ الجينز وقمصان مميزة وأحذية شبيهة بأحذية الغربيين وتسريح شعر الرأس كذلك والخ .. كلها ظواهر وشكليات سطحية لاتدل على أن الشبيبة تخلت عن دينها أو لم تعد تأتمر بأوامر علمائها وقادتها ـ وهذا ما أثبته شباب إيران الأبطال . حينما ضحوا وقاتلوا مع شباب الايمان .. يقول أجنبي مقيم في إيران ..

« يخطيء كل من يقول أو يعتقد أن الشعب الايراني غير قادر أو غير مستعد لتقديم تضحيات مادية لفترة طويلة . أو أن يتحمل مخاطر جدّية . » .

« فإشارة واحدة من آية الله الخميني تكفي لأن يندفع آلاف من الشبان الايرانيين ويهاجموا الدبابات ومدافع الجيش حتى بدون سلاح »[٢] .

« وكما هي العادة ، وكان العنف عبارة عن مواجهة بين الشباب الصغار الشجعان العزّل من السلاح وبين البندقية الأوتوماتيكية وقنابل الغاز المسيّل للدموع . »[٣]

فشبان الايمان كانوا يمارسون مهمتهم الطبيعية الصعبة . أما الشبان الذين يسيرون نحو الإيمان فإنما يمارسون طلب العفو من الله بشكل عجيب ويلحون بالتوبة ، ولربما تذكروا توبة المجاهد الكبير نصير الحسين عليه السلام . ذلك هو الحر الرياحي رضوان الله عليه .. فتوبته ليست مجرد لفظ بل فعل وممارسة عملية .. حيث الإستجابة لله والمتابعة لدينه العظيم .

﴿ إستجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله . ما لكم من ملجأ يومئذٍ وما لكم من نكير ﴾[٤] . أجل قبل فوات الفرصة وقبل مجيء يوم

---

(١) الأوبزرفر ـ ترجمة صحيفة الرأي العام ـ عدد ٥٤٧٠ ص ١٧ .

(٢) الاكسبرس ـ ترجمة صحيفة القبس ـ عدد يوم ٢٦ محرم ١٣٩٩ هجرية .

(٣) الأوبزرفر ـ الرأي العام ـ عدد ٥ ٤٧٠ ص ١٧ .

(٤) القرآن الكريم ـ سورة الشورى ٤٢ ـ آية ٤٧ .

الغصة . ﴿ **واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم ، من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون** ﴾ [1] . أليس ذلك خير من الندم الشديد يوم لا ينفع الندم . ولا جدوى للتفكير والحسرات . ﴿ **أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله ، وإن كنت لمن الخاسرين ، أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين . أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرّة فأكون من المحسنين** . ﴾ [2] .. والآن فقد إتسع الباب ليكونوا من المحسنين والمجاهدين . « **اللهم إن الشيطان قد شمت بنا إذ شايعناه على معصيتك ، فصلّ على محمد وآله ، ولا تشمته بنا بعد تركنا إياه لك ورغبتنا عنه إليك** » [3] .

« **اللهم إنا نسألك ألاّ تردنا خائبين . ولا تقبلنا واجمين . ولا تخاطبنا بذنوبنا . ولا تقايسنا بأعمالنا** . » [4] .

تلاحموا بقوة . وشدّهم الشعور بالإنتماء [5] شداً لا مجال فيه للتقهقر فيئس النظام الحاكم .. وضاقت الأرض بالشاه إذ إعتصره العذاب الآني من حيث كان يأمن . وعاش جواً من القهر القاتل . فحتى الذين لم يلتزموا بالدين أخذوا يحاربونه بما لا هوادة في الحرب . لقد أدرك حقيقة هؤلاء . وخطورة ما يكمن لديهم : من شعور معمّق بالإنتماء .. فأخذ يتكلم مع رجال الصحافة ويشير للشباب بكونهم منحرفين عن الدين . يتكلم بإمتعاض على مضض فيقول مثلاً :

« .. نسبة عالية جداً من الشباب الذين ساروا في مظاهرات وهم يرفعون صورة الخميني ، لم يدخلوا أي جامع في حياتهم » [6] .

(١ ـ ٢) القرآن الكريم ـ سورة الزمر ٣٩ ـ آية ٥٥ ، ٥٨ .

(٣) الصحيفة السجادية الكاملة ـ الدعاء العاشر ـ الفقرة السادسة .

(٤) نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٥٤ .

(٥) دعا السيد الخميني القائد فئات الشباب غير المتدينين . وغير الملتزمين وكذلك الملحدين الى عدم رفع شعارات يستغلها الشاه . وناداهم سماحته للعودة الى « حظيرة الاسلام » الكفاح العربي ٢١ ـ ٧٠٤ .

(٦) نيوزويك ـ ترجمة صحيفة القبس ـ عدد ٢٤٠٣ ص ١٠ .

وهذا إعتراف صريح ضمني وغير مباشر بمبلغ فساد البهلوية الحاكمة بحيث صمّم على حربها حتى المتميّع والمتحلّل ومن لا يعرف المسجد طوال حياته .. وهذا إعتراف ضمني بأن الثورة الاسلامية محضة منطلقة من المساجد . لا كما كان يتهمها الشقي التعس بأنها شيوعية ملحدة ..

صحيح أنهم قد لا يعرفون مكان الجوامع والحسينيات . أو نادراً ما يدخلونها مثلاً . ولكن من الخطأ إتهامهم بعدم الإستعداد للعودة نحو المساجد أبداً . فقلوبهم مع الخير والحق وإن عاندوا وعصوا . وهذا سرّ تلبيتهم نداءات العلماء والخميني القائد يناديهم وعموم الشباب الايراني :

« ... ويجب عليكم أنتم الشباب الواعي والمثقف أن تعتبروا من الأوضاع وتتجنبوا الصراعات الثانوية . وتتجنبوا مدارس الآخرين الفكرية الضحلة . وتتجهوا نحو مدرسة الاسلام التقدمية وتتعاونوا جميعاً في سبيل الحق وإزهاق الباطل .. » [1] .

« ... وأنتم أيها الشباب الأعزاء لا تجعلوا لليأس طريقاً إليكم فإن الحق هو المنتصر .. هذه هي زبدة الوضع في ايران .. » [2] .

﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله . إن الله يغفر الذنوب جميعاً . إنه هو الغفور الرحيم . وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ﴾ [3] .

٣ ـ هل ثمة نسبة مؤيدة للشاه أو صامتة : ـ

إعتاد الحكام ـ ملوكاً أو رؤساء ـ بفعل تحكمهم . وبحكم إستبدادهم

(١ـ٢) من بيان للسيد القائد من النجف الأشرف للشعب الايراني في عيد الفطر المبارك ١٣٩٦ هـ . راجع دروس في الجهاد والرفض ـ ص ٢٠٤ .

(٣) القرآن الكريم ـ سورة الزمر ٣٩ ـ آية ٥٣ ، ٥٤ .

فرض مزاعمهم بكون الشعب يؤيدهم بلا إستثناء . وتغير الموقف هذا بتعبير آخر . وهو أن الأغلبية الساحقة تؤيدهم . كما إعتادوا الزعم حتى أصبح كلاماً ممجوجاً ناشزاً . وحدث تعديل حسبما يلاحظ أيّ مطّلع .. إذ درج الحاكم على تحديد نسبة المؤيدين بأرقام واضحة .. والشاه قد مرّ بتلك المزاعم المعتادة وأعلن الأقوال الدارجة . حتى صرّح مرة بأن له ستة ملايين من الشعب يؤيدونه تماماً .

لنترك الشاه الآن الى أن نعود إليه .. ولنأخذ منطقة أو مدينة واحدة من ايران . ليست قمّ المقدسة ولا تبريز أو مشهد أو أصفهان . لنأخذ العاصمة طهران فقط . وهي ذات أربعة ملايين نسمة . وقد إجتاحت شوارعها تظاهرات أهون ما توصف به أنها تظاهرات ضخمة . ساهم بصنعها آلاف وعشرات الآلاف من الشعب بشتى القطاعات .

والتفت النظام الحاكم الى ظاهرة الإنتفاضة الجماهيرية . وكونها تضم عشرات الآلاف . بل صرّح بأنها تضم ـ ٢٠٠ ـ ألفاً . في زمن الحكم العسكري برئاسة الفريق أزهري . وعليه فليس كل طهران ثائرة لأنها ـ ٤ ملايين ـ إذ ليس كل شعب ايران يعارض ويرفض الحكم .. هذا ما توصلوا إليه ليطمئنهم نسبياً .

والواقع أن أرقام عشرات الآلاف لا تعني نسبة كل المعارضين . بناءاً على أن خروج المظاهرات خاضع لبرامج تنظيمية وخطط منسقة [1] . تقضي بخروج نسبة . وبقاء أخرى . وتأهّب ثالثة . وفق زمان ومكان معيّن من نفس المدينة .. وعليه فقد توهّم الحكام بمعادلات الحساب كما سترى .

فحينما بلغ الشعب الايراني ـ خصوصاً الطهرانيين ـ ما توصل إليه النظام من حسابات . صمّم على نسف الفكرة وحرق السجلات والقوائم الحسابية ،

---

(١) بصدد الثورة بين سلبية العفوية وإيجابيات التنظيم الدقيق . يراجع فصل خاص بذلك لتأكيد عظمة تنظيم الثورة ـ فليلتفت القراء الاعزاء ...

وتأهّب ليوم موعود فتم الإتفاق ، ليتدفق مليوناً من الشعب ، ولتجتاح أفواج الجماهير الطهرانية بشكل مرعب وأرقام قياسية وخيالية ، كأنها كاذبة . فقد إرتفع العدد الى مليونين وأكثر ، سيّما عند حلول ذكرى عاشوراء المجيدة . .

« منذ أيام كان رئيس الحكومة العسكرية الايرانية الفريق أزهري يحتجّ بحجّة « الأغلبية الصامتة » ويقول متسائلاً : كم عدد المتظاهرين ؟ ٢٠٠ ألفاً ؟ ولكن العاصمة تعد أربعة ملايين ونصف ! فأين الباقي ؟ إنهم الأغلبية الصامتة ، وإذن فإنه سيستمر في الحكم بفضل تأييد هذه الأغلبية الصامتة . وبفضل « الشرعية » التي إكتسبها نتيجة لتكليف « جلالته » ولثقة المجلسين . . » .

« ويبدو أن كلام « جلالته » نفسه لم يكن كافياً لإقناع أزهري . فقد سُئلَ الشاهنشاه عن هذه الأغلبية الصامتة ، ولماذا لا تتظاهر تأييداً له كما تظاهرت الأغلبية الصامتة الفرنسية في جادة الشانزليزيه تأييداً لديغول في ـ أيار ـ مايو ـ ١٩٦٨ فأجاب (الشاه) : لأن أنصاري باتوا فعلاً في جادة الشانزليزيه إن لم يكن في جادة « فوش » . . » .

لنتابع ما أورده المقال الذي نشرته مجلة الكفاح العربي ، « غير أن مظاهرة عاشوراء لا بد أن تكون قد غيرت من أفكار أزهري ، إذ أن عدد المتظاهرين كان مئات الألوف في الساعة الثامنة صباحاً ، ومليوناً في الساعة التاسعة صباحاً . بينما كانت أفواج المتظاهرين لا تزال تتدفق على وسط العاصمة في الساعة العاشرة صباحاً . بعد ان تجاوزت المليونين : إثنا عشر كيلومتراً من البشر يسيرون بعرض مئة رجل على الأقل ، مسيرة المصطفين للصلاة أو الجهاد . . فقد كانت وفقاً لوصف من شاهدوها أكبر تظاهرة شوهدت منذ تظاهرة تشييع عبد الناصر في القاهرة سنة ١٩٧٠ . » كما قاسها وشبهها من وصفها ـ فهذا التشييع آخر أضخم ظاهرة في الشارع ، وهو قياس كمي قائم على العدد ، فالتشييع هذا ظاهرة إجتماعية ، أما شوارع طهران وكل ايران فقد شهدت ظواهر ثورية جهادية ، وبكميات ضخمة مع نوعيات خطيرة . . ولنواصل متابعة المقال الذي يستطرد كاتبه قائلاً :

« وقبل كل ذلك كان يمكن أن يقال عن الطهرانيين أيّ شيء وأن توصف بأي وصف إلا بالصامتة .. إذ ما معنى هذا الوصف حين تصبح مدينة بقضها وقضيضها صيحة واحدة عندما تدق الساعة التاسعة مساءاً معلنة بدء حظر التجول : **الله أكبر** .. **الموت للشاه** ! أليس الصياح هو ضد الصمت وعكسه ونقيضه ؟ » .

« ولعل أهم مافي مظاهرات تاسوعاء وعاشوراء محرّم هو ليس تكذيبها لإدّعاء أزهري ، وإخراجها إثنين من كل أربعة طهرانيين الى الشوارع (برأي البعض) وثلاثة من كل أربعة في رأي مراقبين آخرين ، ولا في أنها نسفت ادّعاء أزهري ، بأن الشعب الايراني يثق بالشاه .. بل أهميتها تكمن كذلك في نواح أخرىٰ ، وأول هذه النواحي هي أنها أظهرت المعارضة موحدة .. وهذا هو أعظم إنتصار تحققه الخمينية حتىٰ الآن ، فقد كان رأي الامام (الخميني) العظيم أنه لا سبيل لإبقاء المعركة الإيرانية معركة ايرانية محضة ، وإبعاد التدخل الأجنبي عنها ، **(إلا بالوحدة)** .ولا سبيل لتركيع الأجانب وخاصة الأميركيين إلا بهذه الوحدة » [1] .

أجل إن أهم ما في المظاهرات تضامن جميع الفئات ، وكونها رهن الوحدة ، متماسكة متراصة متحدة .. وتلك ملاحظة راقية من صاحب المقال ..

بعد ذلك لنعود الى الشاه ..ولنبحث عن مؤيديه الستة ملايين الذين أعلن منذ سنوات عنهم ولا بد أنهم اليوم أكثر ،ولكن أين هم ليتظاهروا إذن ؟ ! ..

أذاع للعالم كله عدد مؤيديه ، وراح يعلن للشعوب كالمهرّج ليشوّه الرأي العام العالمي ويتلاعب به ، وليدين سلفاً أيّ مناهضة له بحكم ما له من مؤيدين ..

---

(١) مجلة الكفاح العربي ـ عدد ٢٧ ـ ٧١٠ ص ٨ .

ولم يتركه الخميني القائد يكذب على الإنسانية . ففي أحد خطبه وقبل ١٥ عاماً أي سنة ١٣٨٣ هـ وفي شهرمحرم دعاه من خلال خطاب لفسح المجال للشعب ليعرب عن رأيه ومدى تأييده للثورة البيضاء المزيفة التي يتشدق بها .،
«... ولماذا لا تترك للشعب حريته ليعبّر عن تأييده لها . وتتكشف حقيقة الملايين الستة لشعوب العالم » [1] .

٤ ـ كل الطبقات الشعبية : ـ

ليس من الصدفة وقوع هذا الحدث الرسالي الهادف ، فقد طال زمن تدبيره وتخطيطه حتى كان بدا ثمره الثري وحصاده الوافر من الرجال والشباب والنساء في عموم طبقات المجتمع الاسلامي بايران ، بحيث لم تدع ثورتهم التي جنّدت كل الطبقات والفئات والقطاعات ، أيّ فرصة للتفكير الماركسي كيما يصبغ الثورة بلون يشتهيه ويحبه ويهشّ إليه كل شخص ماركسي ، وهو اللون الطبقي المعتم .. بل لم تدع مجالاً لمراجعة مقولات الماركسية ـ اللينينية ، لتعيد النظر فيها ، وبذلك فإن كثيراً من النظريات سوف تُرتّش ، إن لم تُغير ، بل ستصب بقوالب كليشيهات جديدة ، إن لم تهمل .. ليس فيما يخصّ الصراع الطبقي فحسب وإنما فيما يخص أموراً كثيرة لسنا الآن بمعرضها ، إذ أن خصوصيات وإمتيازات الثورة الاسلامية الايرانية تتجاوز الدحض العملي لمفهوم الصراع الطبقي إلى دحض عملي وردود عملية لمفاهيم ونظريات أخرى .. كما أن نظام الحكم المرتقب سيسهم بشكل واضح في سياسته وإقتصاده واجتماعه .... الخ . بنسف فكر الثورة البلشفية اخش ..

أجل سارت الطبقات بمسيرتها الخالدة ، يحدو بها حاديها بصوته الجميل ،

---

(١) كتاب ـ دروس في الجهاد والرفض ـ ص ٤٩ .. والملاحظ أن في تلك السنة نفسها ـ ١٣٨٣ ـ نفي الامام الخميني وظل ١٥ عاماً وبعودته للبارك ، وحسب أوثق المصادر والصحف الأكثر حرية . أن الذين استقبلوه من الطهرانيين وعموم الايرانيين هم ستة ملايين .. وهذا من اللطف الالهي الخفي .. حيث تستقرّ كبريات الأرقام لكبراء المقام ...

وكلماته البليغة ، ونداءاته الواجب تلبيتها وتطبيقها شرعاً ، لا سيما وقد تصعّد النضال واقترب النصر . .

« . . اليوم يتعين على كل طبقات الأمة أن تتحد لتحقيق الهدف المنشود . . لمواصلة النضال المقدّس دون خشية من الدول العظمى » [1] .

أن تتحد أكثر فأكثر ، أن تنصهر فيما بينها ، أن تذوب في بوتقة قمّ . . سواء القوى المؤمنة المنظمة ، أو الفصائل الوطنية ، أو عموم أفراد الشعب . . والمشكلة هي أن بعض الناس تثبط عزائمهم خشية من إفتراس الدول الكبرى لبلادهم العزيزة ، فالدول هذه تملك سلاحاً فتاكاً وقدرة على إستعماله ، كما وأن السافاك والحكام يروّجون مثل هذه المخاوف بواسطة الشائعات ، سيّما وهم في أحلك لياليهم وأخطر مواقفهم وأضيقها ،والأكثر من ذلك أن الدول العظمى ـ كأميركا ـ نفسها تدعو عملاءها لإرهاب الناس بجيشها ، بدلالة اقتراب أساطيلها البحرية مثلاً . .

فعلى من لا يخافهم أن يوقظ من نام لخوفه منهم ، وعلى الجميع أن يسقطوا إعتبارات الدول هذه ، من باب المكروه لكل مؤمن أو مسلم خشية الآخرين وليجاهدوا أنفسهم ، ثم عدوّهم ويكافحوه ويناضلوه بنضال مقدّس ، **﴿فلا تخشوا الناس واخشون﴾** [2] . قرآن كريم . .

﴿ الذين قال لهم الناس ، إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم ايماناً ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ [3] .

« . . . دعا آية الله في رسالته الشعب الايراني الى مواصلة حركته بمختلف الوسائل ، وخاصة الإضراب في جميع الإدارات وأجهزة الدولة » [4] .

---

(٢) الامام الخميني ـ صحيفة تشرين السورية ـ عدد ٩٥٦ ص ١٠ .

(٣) القرآن الكريم ـ سورة المائدة ـ ٤٤

(٤) القرآن الكريم ـ سورة آل عمران ـ ١٧٣

صحيفة تشرين ـ عدد ٩٥٦ ص ١٠ .

والهدفواضح بيّن ، يتجلّ في حق حكم الاسلام كفكر ونظام محقّ يتناسب مع الإنسان عموماً ، لكن للهدف مراحل ، فقد كانت الإضرابات والمسيرات ، تؤشّر بالكامل على أول أخطر مرحلة وهي فصل الشاه عن الشعب .. وتتابعت المؤشرات الخطيرة الأخرى ، بعد هذا المؤشّر المرتكز .. « .. إن مسيرات الإحتجاج الجماعية ضد الشاه تمثل إستفتاء بأن الشاه قد فصل نفسه عن الشعب » [1] .

في الواقع إن أوسع إستفتاء جماهيري يشهده العالم في غمرة النفوذ الاستعماري ، والتحكم الإستبدادي ، نظراً لكون القضية العادلة هذه قضية إسلامية شاملة ، وحسينية تستقطب حتى بسطاء الناس دون أن تدعهم يبتعدون عن قضيتهم الصميمة ..

مما قاله سماحة السيد القائد ، أثناء حديث أجراه معه مندوب الإذاعة والتلفزيون الفرنسي ، هو :

« .. إن الإنتفاضات العظيمة التي إندلعت في الاشهر الأخيرة على أساس بياناتنا هي إنتفاضات وطنية إسلامية ، وتضم كل فئات الشعب وفي الحقيقة هي إستفتاء تلقائي ضد النظام الذي يعتبرها ـ زوراً ـ أعمالاً غير قانونية » [2] .

فالخميني قائد الإستفتاء العظيم ، يدرك اللطف الإلٓهي الخفيّ الذي دفع حتى غير المنظمين من المؤمنين ، أو الوطنيين للإشتراك بالإستفتاء الذي تكرر . فأضحى إستفتاءات ، وجاءت لا بعنوان إستفتاء بل بعنوان إحتجاج وثورة سلمية ، فكان تلقائياً قد وضع الشعب في قاسم مشترك أعظم ، للإستفتاء ، وإن كانوا سلفاً قيد هذا القاسم المشترك الأعظم ، متمثلاً بالإسلام ديناً .

هذا ولهم سنوياً عملية استفتاء عامة . وذلك حينا يمارسون القيم والمثل بذكرى

---

(١) صحيفة القبس ـ عدد ٢٣٦٢ ص ٢٠ .

(٢) الخميني القائد صحيفة أجيال ـ الصادرة بالكويت ـ عدد ٣٩٧ ص ٦ .

ثورة الحسين بن علي صلوات الله عليهما ، حيث عاشوراء المجيدة « ١٠ محرّم قضاءاً على الطغاة المستبدين » ، حيث الشعب الاسلامي الايراني ـ كما هو عندنا في العراق الحبيب ـ ينضوي تحت الألوية الحسينية ، ويلتف حول راية الحسين ، فيما كان الشاه يعتبر ذلك من معالم الخطر عليه ـ كما هو حال كل المشبوهين من الحكام ـ .

ومن لطف الله أن عمليات العسف البهلوي ضد إحياء ذكرى المجد والخلود الحسينية ، قد شدّت من الإشتراك الشعبي في القسم الأعظم ، حتى لم يعد هناك ساذج لم يكره الشاه اويتمنى حربه أو إنتقام الله منه . .

ولكي ترى صورة من ذلك يرسمها الخميني القائد سنة ١٣٨٣ ومن أحد بياناته عن الشعب وللشعب .

« ... وإذا ما أرادوا إقامة محفل أو مهرجان ديني فإنهم يحتاجون الى موافقة دوائر الشرطة وأجهزة الأمن ! بل حتى إقامة المآتم وتنظيم المسيرات الحسينية يجب أن تكون محدّدة وفق أهواء ورغبات السلطات الحكومية وتحت إشرافها ، وتمنع أحياناً أخرى منعاً باتاً » (١) .

وتشهد إحدى المجلات بعدما ذكرت أنه يشوّه الإسلام ويصفه بالرجعية « ولم يكتف النظام بذلك فحسب ، بل أطلق أنصاره وعملاءه في السافاك للتصدي للمواكب والإحتفالات الدينية والجماهيرية في المساجد وبيوت العلماء من « آيات الله » وعندما عبّرت الجماهير في باديء الأمر عن احتجاجها ، هرع رجال الشرطة والأمن ليطلقوا عليها الرصاص ، وليريقوا الدماء بقسوة بالغة لم يكن لها ما يبرّرها . » (٢)

---

(١) كتاب ـ دروس في الجهاد والرفض ـ ص ١٠٠ .

(٢) مجلة الوطن العربي ـ عدد ٨٠ ص ٤٠ .

كما نحن عليه الآن من لطفه تعالىٰ ، ولله الحمد على تهيئة الأسباب كالمنع والتضييق كما هيّأها لشعبنا الاسلامي الايراني ، فقام كله عدا حفنة الأقليات المضادة والقطاعات المناوئة للثورة .. كلّ قام بدءاً من قمّ ، ليشمل الشعب ، ليشمل المدن ، ويعمّ .. حتى وصف القائد الكبير مساعي سحق النظام وخرق الأوامر وتحديه واضرابه بأنه « إضراب مقدّس ، كل ساعة منه تعتبر خدمة كبرىٰ تسدىٰ للأمة الاسلامية » [1] .

٥ ـ زلازل الأرض الجيولوجية ..
وزلازل قم الايديولوجية ..
إذا رُدَّ الأمر اليكم يُخسف ببعضٍ .. [2]

﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشر الصابرين ﴾ [3] .

إعتادت ايران في تاريخها ، أن تضرب أرضها هزات وزلازل مدمّرة . وفي حين كانت تقوم قائمة الثورة الإسلامية ، وتسفر عن مئات وآلاف الضحايا والشهداء ، حينها كانت عدة زلازل ، وليس زلزالاً واحداً ، ـ كما يعرف المطّلع ـ قد ضربت أرض ايران ببعض المناطق ، فأسفرت عن طمر المئات والآلاف ، فضلاً عن تشريد أمثالهم ، . وإنها لنكبات قاسية حقاً . .

ولكم كان الشاه يود تغيير أنظار الجماهير عنه وعن المطالبة بالحرية .. وكم كان يود إشغالهم بمخاطر حدودية لا سيما الحدود الشمالية ، ليتناسوا الحكومة الاسلامية المطلوبة ، وجاءت الزلازل فتركت آثاراً مؤلمة في نفوس الشعب ، وخلّفت كمداً في قلوب الناس ، فرجا الشاه أن تحد الظروف من عنفوان الثوار ، إن لم توقفهم تماماً ، ورتّب آمالاً على أنقاض كل خراب

---

(١) صحيفة النهار ـ عدد ١٧٣١٩ ص ١٠
(٢) الإمام الصادق عليه السلام ـ بحار الأنوار ج
(٣) القرآن الكريم ـ سورة البقرة ـ ٢ ـ آية ١٥٥ .

لزلزال أرضي ، عسى أن تُنسى آلام حكمه التعسفي ، ولكن .. لا .. كلا وهيهات .. فخاب أمله . وضاقت عليه الأرض بما رحبت . ضاقت عليه سهول الأرض ومواقع الهزات والزلازل الأرضية ..

فصحيح أن آلاف الشباب والشابات ، والرجال والنساء والأطفال . قد طمروا تحت الأنقاض ، ولكن هل يسلم الشاه من الأحياء الملايين الذين هم قيد العنفوان الاسلامي الرسالي ، أو هل أن حدّة العنفوان هذه تهبط نسبياً بهبوط المعنوية ، وتثبيط الظروف المفجعة للسواعد المقتولة ؟ من قال إن المعنويات تهبط والعزائم تثبط ؟ كلا ..

حينئذ .. واصل الشاه فتح رشاشات قواته الخاصة ، واستمر بصنع عمليات قمع رهيبة شهدتها الشوارع . وشهدها الذين نالوا شرف الشهادة . فكانوا شهود

عيان وشهداء على الشاه غداً يوم لا مناص له ولا محيص ..

لم تمت الثورة ولم يمت الثوار ، ولن يموتوا كما توهم الشاه . لم تضعف طموحات ثوار الاسلام . ولم تقلّ قواهم ، أو تضعف مؤونتهم . رغم هزات الاسلحة الثقيلة ، وأزيز الرصاص ، وزلازل القنابل ... ،

أليس من فرائد ثورتنا هذه ـ بلا مماثل ـ : كون كثير من رجالها وجندها يمضون بين طبقات الأرض المزلزلة ، وتحت القمع الى المقابر . فضلاً عن إزدحام المستشفيات والسجون .. ثم لا يمكن إجهاضها وتحطيمها وسحق روحها التواقة للتحرير وتحكيم الاسلام ؟ أجل .. وإنها لثورة فريدة في مجمل إمتيازاتها ..

وإنها لزلزال . أو بركان واسع بزلازل متتابعة ولسوف تطمر عروش الأجلاف وتيجانهم . . بركان كل جماهير ايران . زلازل شعب لا حدّ لها ولا تقف إلا على حدود رسمتها القيادة مسبقاً . يتطلع الشعب إليها سلفاً .. والشاه « صاحب الجلالة » يتمنى راغباً ومن كل قلبه ، أن تتعرض ايرا

مضرب بزلازل ؛ وزلازل أرضية جيولوجية ، ولا أن يتفجر زلزال إسلامي رسالي إيديولوجي واحد يخرج من قمّ المقدّسة ، إنّه يفضّل « أن تشهد ايران عشرة زلازل في السنة الواحدة ، على أن تشهد قماً واحدة كل عشر سنوات » [١].

تلك هي سجية الأجلاف ، وجبلّتهم التي تملّكتهم فاستحوذت عليهم ..

إن شعبنا الايراني المسلم قد إعتاد حياة الزلازل .. كذلك أيضاً إعتاد الإضطهاد البهلوي البشع .. بيد أن شعبنا هذا ليس مستعداً لتحمل شدّة وطأة العادتين على الدوام .. وبناءاً على تباين أسباب هاتين العادتين . واختلاف مصدريهما ثم خطورة إحداهما أكثر من الأخرى مع حتمية التصدي للأخطر ، فقد إختار الشعب طريق المواجهة ، وسبيل المجابهة بكل ما أوتي من قوّة ـ دون أيّ مبالغة ـ ، وإذا كان إيمانهم بالله سبحانه وتعالى مع يقينهم بالقضاء والقدر ـ بنظرة إسلامية ـ قد دعاهم للتسليم بعدم القدرة على الحد من الهزات الأرضية ، فإنهم لا يؤمنون بأن الشاه وحكم الإستبداد مهما كان ، خاضعاً لنفس النظرية الاسلامية ، وهي القضاء والقدر ـ بنظرة العامة البسطاء ـ ، وبالتالي فلا يسلمون بهذا المعنى المنافي للنظرية الاسلامية حول القضاء والقدر .. فالتحدي إذن لا محيص عنه ...

والجدير بالذكر .. الإشارة الى خطأ عوام الناس الذي تسرّب فأثّر حتى على المثقفين من الناس بهذا الخصوص ، لذا لم نعجب حينما نقرأ على صورة نشرتها إحدى المجلات ، توضّح لقطة للثوار الايرانيين ذوي العنفوان والوجوه الصارمة المصمّمة ، فتعلّق عليها بالقول :

« هذه الوجوه لا تؤمن بالقدر ، بل بعزمها وقوتها .. » [٢].

لا إنّه فهم خاطيء بل جهل بهذه النظرية أو المفهوم الاسلامي للقدر . لأنه ليس سهلاً أن يحكم كاتب أو معلّق على ظاهرة إسلامية ، وفي ثورة إسلامية .

---

(١) بتعبير مجلة/الدستور الصادرة بلندن ـ عدد ٤٠٩ ص ٧ .

(٢) مجلة الهدف ـ الصادرة بلبنان ـ عدد ٤١٥ ص ٣٥ .

وبضوء مفهوم إسلامي لم يستوعبه صاحب القلم ، أو أنه مستند على معلومات العامة من الناس .. ولو أن قلماً إسلامياً أصدر حكماً ما ؛ حول ظاهرة ماركسية ، وأخفق في حكمه ، لوجدنا التهريج والسخرية لا تنقطع بل لأقاموا الدنيا وأقعدوها من أجل مقدّسات جداً رَخيصة ..

ولا نريد أن نطيل الوقوف على هذا العيب الإعلامي .. وحسبنا القول بأن القدر ـ وببساطة ـ هو إنتهاج مسيرة الاسلام التي قضى الله سبحانه وقدّر أمرها ورسمها ، وحدّد مقدّراتها وعلينا أن لا نتخلف عنها قطّ ، والرسول الأعظم وأهل بيته الأبرار صلوات الله عليهم ، قدّموا لنا ما يمثل قدراً من أعمالهم ، وقضوا ما علينا أن ننهجه ، أليس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فالجهاد قضاء وقدر علينا تطبيقه بحكم تقدير الله لنا وتعيينه وجوباً شرعياً علينا ، وفرضاً عينياً على كل منّا ؟ ولكنّ الناس بسبب من حكم العادات والمفاهيم المغلوطة نسوا أو تناسوا كل شيء ، وبقي شعب ايران وحده يقطع أشواطاً من الجهاد المرير .. وهل هناك عكس هذا في الإسلام . هل قدّر الاسلام وقضى ما هو على الضد منه ، من النظرية الحقيقية الصحيحة ، ولا أريد أن يحدث تجهم أو عجب عند القول بأن : الثورة الاسلامية بذاتها قضاء وقدر ..

ترى وهل هذا الفهم يتنكّر للقوّة والعزم ، حتى يقول الكاتب أو المعلّق : إن الجماهير تؤمن بقوتها وعزمها ، إنه لو أدرك الفهم لما أخطأ ولما أساء لتلك الجماهير من حيث لا يشعر ، تلك الجماهير التي تؤمن بالقضاء الشرعي الواجب المفروض ، وتؤمن « بعزمها وقوتها » على أنها قدر من الله وهبة لتحقيق القضاء الشرعي والقدر الوسالي .. وهكذا سارت في دروب التحدي لتأكيد الحتمية ونيل النصر بواسطة ديمومة المواجهة ، وديمومة الثبات ، والصبر والصمود على ما قضاه الله وقدّره ، وهي مع كل إحتمالات الأحداث سوف تواصل ولا تيأس فالنصر لها ، لأنه منها قاب قوسين أو أدنى ، ليتأجّل النصر ، شهراً

أو أشهراً « لكنّ المقدور سيأتي لا محالة ، والمقدور هو أن تتحرّر ايران » [١] .

ولم يملّوا ولم ييأسوا رغم فداحة الخسارة في الأرواح والممتلكات ، وكثافة المحن وتراكم جثث القتلى في الشوارع ، فضلاً عمَّن تحت الأنقاض الأرضية ، دع عنك سكان السجون والمستشفيات .. إنهم صامدون صابرون لله وفي الله . « **ذلّت لقدرتك الصعاب ، وتسبّبت بلطفك الأسباب ، وجرى بقدرتك القضاء ، ومضت على إرادتك الأشياء** » [٢] . « **ما عند أحد دونك دفاع ، ولا بأحد عن سطوتك إمتناع ، تحكم بما شئت على من شئت ، وتقضي بما أردت فيمن أردت** » [٣] .

فلا بأس .. لا ينثنون كلما أراد الشاه ثنيهم لا يميلون حتى مجرد ميل عن خط الحتمية الاسلامية ، فكيف ينثنون أم كيف ينعطفون ؟ .. ومهما تكن الظروف وشدّة وطأة الطمر والقمع ، لأنهم ليسوا رهن الظروف ، بل إن الظروف رهينة أيديهم ، رهنوها بأيديهم قيادة وقاعدة ، رهنوا الظروف وسا روا صبراً واحتساباً : ﴿ **ولنبلونّكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشّر الصابرين ـ الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون** ﴾ [٤] .

٦ ـ لم يسأموا أو يملّوا قطّ : ـ

في كل يوم وبكل مكان عيون محدّقة ، وآذان مرهفة ، وأعناق مشرئبّة ، تلك هي أعناق المراقبين وعيون وآذان الصحفيين ، طالما يجمعون على حقائق الأحداث ، ويختلفون عند حقائق أخرى .. إلاّ أمراً واحداً أجمعوا عليه ولم

---

(١) مجلة الكفاح العربي ـ عدد ٢٧ ـ ٧١٠ ص ٨ ـ لاحظ الفرق بين تعبير هذه المجلة ، والتعبير السابق لمجلة الهدف . فالفرق واسع جداً بين الفهمين للمفهوم الواحد .

(٢) الصحيفة الكاملة السجادية ـ الدعاء السابع • الفقرة الثانية ـ .

(٣) الصحيفة الكاملة السجادية ـ الدعاء السادس والثلاثون ـ الفقرة الرابعة .

(٤) القرآن الكريم ـ سورة البقرة ٢ ـ آية ١٥٥ ، ١٥٧ .

يختلفوا فيه ، ذلك هو أن الثورة لم تتعب أو يحتمل أنها تتعب ، ذلك هو أن الجماهير الباسلة لم تسأم ولا رجاء في سأمها حتى تحقّق أهدافها عنوة ، فالشعب شابّ يافع ، بحكم تصدّر المظاهرات جموع من القادة الشباب ـ بالزي الديني أو العادي ـ شباب طالما أزعجوا « صاحب الجلالة » وجلاوزته حد القهر القاتل .. لقد مضت سنة ، ذات إثني عشر شهراً وهم على ما هم عليه ، وسيواصلون طريق التصعيد ، والشاه يتلقى السلوى من الغرب بأن شعبه سيتعب ويصاب بالملل ، وكأنما هي لعبة كرة النوادي أو مباريات فريقين بميونخ ، نسوا أنها ليست لعبة حتى يملّوا ويتعبوا منها ، إنها مباريات عقائدية ، وليست هكذا فحسب ، عقائدية مصيرية حاسمة ، تجاوزت المراحل التمهيدية ...

ففي الوقت الذي يتطلع فيه الأعداء الى خفوت الجذوة المستعرة أحسّوا أن عيونهم واهمة ، وبصيرتهم عمياء وستبقى هكذا عمياء سيّما إذا نفخ الخمينيون الجذوة المستعرة ..

« .. كان بوسع الأميركيين المراهنة مع الشاه على ملل الشعب الايراني من الإضطرابات ، وأنه ليس بعد قمة عاشوراء إلا الإنحسار نحو الهدوء . لكن الإضطراب العام الذي تلا عاشوراء والذي جاءت كافة المصادر (لاحظ الإجماع الصحفي) تؤكد أنه كان عاقلاً شاملاً ، هو أمر يشهد بأن الملل لم يدب في نفوس الايرانيين »[1] .

فوهمهم هو في تحديدهم ذكرى عاشوراء كتقرير للمصير وحسم للأمور ولما إنصرم اليوم المجيد بلا حسم ظنوا أن الأمر قد هدأ ، ولم يعوا بأن الذكرى الكبيرة ضخّت فيهم وقود الروح والنفس والمعنويات العالية ، ليكمّلوا الطريق الذي قطعوه وليواصلوا الحمل الذي حملوه ..

فيما كانت القيادة العليا تبثّ موجات الوعي والتوجيه عبر رسائل متواضعة ونداءات وبيانات تحذّر الجميع وبلغة يفهمها الجميع ، ماذا يعني التراجع

---

(١) مجلة الكفاح العربي ـ عدد ٢٨ ـ ٧١١ ص ٤١ .

أو الفتور . كما يذكّرهم جميعاً بعنوان الثورة ووسامها والقاسم المشترك الأعظم لمن ينضوي تحت لوائها .. فهي ثورة الحسين ووسام الحسين ولواء الحسين ، وبالتالي ؛ فهي « طريق الشهادة الكربلائية » التي تدمع لها العيون وتدمى لها الرقاب .

« إن التراجع أمام العدو ليس سوى إنتحار .. »

« لا تخافوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ، ولا تبخلوا بتقديم حياتكم وأموالكم في سبيل الله والاسلام والأمة الاسلامية ، فهذه طريق نبيكم وأئمتكم : وطريق الشهادة الكربلائية » .

« إن كل تراجع لن يؤدي إلا إلى تمكين الشاه من زيادة المذابح .. لا تخافوا من تصريحات أميركا .. ولا تهابوا تأييد واشنطن ولندن وموسكو للشاه بهدف تأمين مصالحكم » [1] . وغير هذه النداءات الوافرة المتتابعة ، التي ستشكل تراثاً ثورياً لكل الأمة الاسلامية .. ولم يتراجعوا فعلاً ولم يملّوا قط إلاّ من أمر واحد .. فالسأم والتعب ما وجد إليهم منفذاً ، لكنهم سئموا من أمر واحد ، ذلك هو كونهم يخرجون عزلاً من الأسلحة .. ثورة وتفجير قضية بمعزل عن السلاح : « الجيش لم يعد منّا ، نريد سلاحاً لمحاربته » .

كما صاحوا مرة حينما أطلق الجيش عليهم نار رشاشاته بغزارة ؛ ومرة صاح مجموعة شباب ومعمّمين في أثناء تصادم حاد : « إلينا بالأسلحة .. إلينا بالأسلحة » [2] .

فالسأم والملل من أمر واحد هو هذا بالذات .

« وترتفع أصوات شابّة ضمن هذه المعارضة متسائلة : « الى متى نواجه البنادق بالحجارة ؟ » [3] .

---

(١) الإمام الخميني مجلة الكفاح العربي ـ عدد ٢١ ـ ٤ ٧٠ ص ٤٣ .
(٢) صحيفة الرأي العام ـ عدد ٥٤٦٩ ص ١٩ .
(٣) مجلة الكفاح العربي ـ عدد ١٨ ـ ٧٠١ ص ٣٩ .

إن التطلع الى مواجهة البنادق بالبنادق والرصاص بالرصاص والنار بالنار ، لهو الدليل الأكبر على إقصائهم لأي تشاؤم ، والدليل الأجلى على أن الملل لم يطرأ على مسيرتهم المظفرة ، إذ نلمس أنهم يدركون كونهم في مرحلة من المراحل ، فلا يأس أو سأم ولا ملل ، بل آمال تعطّش نحو الإنتقال الى مرحلة المواجهة المسلّحة .. إنهم أحرى بالإجلال والتعظيم كشعب مقموع ومدمى ، وشبابه يأمل بما هو أخطر وأدمى وأشد وأدهى حتى يحرز النصر الموعود ..

إن الملل الحقيقي الكامل التام ، نصيب أميركا وعملائها ، أما العقيدة فلا تملّل ؛ والشعب مزوّد بوقود لا ينفد حتى نهاية التاريخ ـ ولسوف لن تمل ـ كما لا يخفى السر على أميركا ونظائرها على ضوء خبراتها وتجاربها ..

أما السلاح ؛ فليس من الضروري شهره بعد ، وحتى بتقدير توفره بشكل كثير ، فإنه مدعاة لصنع مجازر مهولة لا تطاق بين الشعب والجيش الأميركي الايراني ، .. فالمهم هو تقوية الجبهة على مستوى التعبئة والإعداد وتحضير أيّ وسيلة تلعب دور القوّة عدا السلاح .. وهكذا تكونت كفاءة وظهرت جدارة منقطعة النظير ، ومواجهة جدية لم يشهد لها مثيل .

« كما أثبتت قدرتها على التعامل مع مواقع القوّة فيه على طريقة : ﴿ **وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة** ﴾ وبمرونة هائلة أظهرت مدى الترابط القوي في خطط قادة الثورة الدينية بين أهدافها العامة وخطواتهم التكتيكية في تحقيقها وإثباتها » [١] .

إن الترابط والتماسك الذي يتمتعون به موصوف قبل أكثر من ألف سنة ؛ من قبل الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام ، حيث أنهم « كزبر الحديد » وهو وصف ـ قياساً لأي ثورة شعبية من حيث القيادة والقاعدة ـ أصاب كبد الحقيقة . فالإمتياز حاصل لهم كما هو حاصل لقائدهم . . .

« .. **رجل من أهل قمّ يدعو الناس الى الحق ، يجتمع معه قوم كزبُر**

---

(١) صحيفة اللواء ـ عدد ٢٨٨٠ ص ١١ من مقال لكاتب عربي ..

الحديد ، لا تزلّهم الرياح العواصف ، ولا يملّون من الحرب ولا يجبنون ، وعلى الله يتوكلون والعاقبة للمتقين »[1] .

﴿ ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكّن لهم في الأرض ﴾[2] . صدق الله العلي العظيم .

---

(١) كتاب « بحار الأنوار »

(٢) القرآن الكريم ـ سورة القصص ٢٨ ـ آية ٤ ، ٥ .

الفصل الرابع :

إجماع كل القوميات

إجماع كل القوميات

إذا كان للقوميات والأجناس المتعدّدة وجود ، فإن للإسلام الجامع وللدين الواحد حضور وبالتالي فإن إلتقاء القوميات كان رهناً بأصالة الانتماء ، إنتماء جميع الناس الى ما هو أرحب من أطـر القومية وأسمى من حدود الأجناس ﴿ **وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا** ﴾ قرآن كريم .

١ ـ أصالة الإنتماء :

هناك من ترقب بادرة قومية ، أو بإسم القومية ، تحبط أو تساعد على احباط الثورة ، او ـ على الأقل ـ تسعى لعرقلتها فتؤخر بلوغ أهدافها . أضف الى ذلك ما ورد من مواقف قبلية إستهدفت الكيد للثورة ، بوحي الشاه الذي حرّك بعض القبائل لمواجهة غضب الشعب ونشاط الجماهير ، وقد لبّى أقطاب تلك القبائل الحمقى رغبات الشاه وإن لم ينالوا الغرض تماماً ، إذ تقهقروا فشلاً . . .

إن المسألة الملفتة للنظر ، والتي تستأثر الإهتمام ، حيث تتخذ موقعاً له بالغ الدور والأثر على مسار عموم التحركات ومجمل الثورات ، هي التواجد القومي ؛ ودع عنك التواجد القبلي .

فطبيعة التركيب الإجتماعي لأي شعب ، سيّما التركيب القومي . لا يمكن نكرانه ، وتسجيل ما يتركه من آثار ـ بأي شكل من الأشكال ـ على مجرى الأحداث الثورية ، ومسيرة الجهاد . ولهذا يحرص الدارس والباحث بشأن أي فترة تاريخية أو مشكلة سياسية . على ملاحظة ظاهرة التركيب الإجتماعي .

ومن يتجاهلها فإن ما يتوصل إليه قابلٌ للتجاهل والطعن بصوابه .. ونحن رغم سرعة وضعنا لهذا البحث ، سبق أن راعينا التركيب الإجتماعي من حيث التركيب الطبقي وغيره ، فأشرنا الى أن كل الطبقات قد نزلت الى الساحة وإخترقت الشوارع ، مع تواجد الطلبة والموظفين والكسبة والتجار في البازار وشتى القطاعات دونما استثناء ، حتى الأحزاب والفئات الوطنية .. كلهم أجمعوا فتواجدوا بكثافة رهيبة ، وبكثرة مهيبة .

ولم نقف عند التركيب القومي لمجتمع الاسلام الايراني ، وإذا ما وقفنا هنا فوقفتنا قصيرة عجلى ، بفعل عدم الإستقرار النفسي الذي نرجوا الله أن يرزقنا إياه ، لنضع في المستقبل دراسة تحليلية موسعة حول الثورة الاسلامية عموماً ..

يضم المجتمع الاسلامي هناك ، فضلاً عن الأغلبية وهي القومية الفارسية ، قوميات أخرى أهمها القومية العربية ، والقومية الكردية والتركية ، والبلوجية ، ولكل منها لغتها التي تمارس التكلم بها ، وفيها ضمناً فئات ومنظمات سياسية قومية النزعة والميول ، ترغب بالإنفصال أو تسعى نحو الحكم الذاتي منذ زمان ، لكنها ضعيفة الشأن غير كفوءة ..

وقد أضحت تملك بعض الشجاعة والجرأة بفضل القوة الاسلامية والتحرك الاسلامي الشجاع ، فأملت نيل أهدافها .. كما إستعدت خلال الثورة . طوال السنة المنصرمة ، للتحرك والتوثّب ، والحق أننا نخشى من أن يتعجّل هؤلاء فيبادروا بمباشرة لعبتهم مما يشوّه الثورة ويسيء إليها ولما تنتصر بعد [١] ..

ولعل طموحات هذه الفئات القومية وتطرفها هو الذي جعل البعض

---

(١) بالمناسبة ، وطالما انتصرت الثورة ولله الحمد . نذكر هؤلاء الذين مثلوا الحماقة هؤلاء الأقزام الذين تعجلوا الفوضاء وسفك الدماء بذريعة القومية والحرية . كالاكراد وهم ضد حتى مصالحهم حيث خسروا من الأرواح ما كان ينبغي تقديمه من أجل الاسلام ضد الشاه وهم ضد مصالح قوميتهم بالذات . إنهم لجهال حمقى . وإلا أين كانوا أيام كان الشاه يحكم . وهل لمسوا من الاسلام الحاكم ظلماً وحيفاً **وما ظلمناهم . ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** .. * قرآن كريم .

يتوقعون تحركاً قومياً يتظاهر بمشاطرة الثورة رأيها ومشاركتها أهدافها ، إذ لم يكن تحرّكاً مقصوداً بإسم قومي يعيد للشاه جلالته المسحوقة .

وما هو جدير بالذ كر، حقيقة أن جمهور أي قومية لا يلتقي مع آراء الفئة السياسية المنبثقة عنها بلا طلب منها وبمعزل عن طموحها ، بقدر ما يلتقي مع الفئات الاسلامية المنبثقة من الفارسيين أو أي قومية ، أو المنبثقة منها نفسها . .

وعليه فموقف القوميات الأخرى هو نفسه موقف الأكثرية والقومية ذات السيادة وهي الفارسية ، ذلك لأنه موقف الفكر الاسلامي الحنيف .. أضف الى ذلك أنهم جميعاً عاشوا الإضطهاد الشامل من قبل الشاهنشاه ونظامه الأرعن ، كما سنلمّح الى بعض آلامهم . .

لقد اطلعنا ولربما يتذكر بعض المطّلعين ، على التواريخ التي تفيد بأن للتفرقة ، وللإختلاف القومي أكبر الأثر في فشل الحرب المعينة أو الثورة أو أنها سبب وقوع كذا حادث ، بمعنى أن لتعدد القوميات في المجتمع الواحد دوراً سلبياً وأثراً سيئاً غالباً .

فما أروع التلاحم الذي شهدته ايران من قبل الأقوام الذين عاشوا فيها معاً تحت ظل دين واحد ، بنفس الأفراح وذات الأتراح ، وبتفاوت اللغات ، ووحدة لغة العبادة والصلاة . وتلاوة القرآن الكريم حسبما نزل من السماء . .

إذا كان للقوميات والأجناس المتعددة وجود ، فإن للإسلام الجامع وللدين الواحد حضور . .

بالتالي .. فإن إلتقاء القوميات كان رهناً باصالة الإنتماء ، إنتماء جميع الناس الى ما هو أرحب من أطر القومية ، وأسمى من معنى الأجناس . .

﴿ .. **وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا** .. ﴾ قرآن كريم .

٢ ـ الأكراد والبلوج والأتراك . . .

إن القوميات القاطنة في البلاد ، هي كما أشرنا وسنشير هنا الى بعض أوضاعها تتألف من :

ـ **الأكراد** ـ : ونفوسهم أكثر من ثلاثة ملايين نسمة ، أما وضعهم وحالهم فهو حال المظلومين ، حال من يحكمهم من يسمى شاه « إنهم مضطهدون أشد الإضطهاد . مع أن المنطقة الكردية في غرب البلاد تعد من أروع المناطق وأجملها ، إلا أنها مهملة أشد الإهمال »[1]

« والأكراد محرومون من المشاركة في الحكم ؛ فمنذ عدة سنوات لم يدخل في الوزارة وزير كردي واحد كما أنه لا يوجد سفير واحد من الأكراد بين السفراء ، ثم أن المناصب العليا لا تناط بهم أبداً . . » ، وقد ثاروا عدة مرات لا سيما منظماتهم الثورية ، فلم يفلحوا . والشعب الكردي اليوم يدفع إسلامه علناً وعالياً ، وينادي بحكم الإسلام وقيادة الإمام الخميني . وإزالة الفرق بين السنّة والشيعة بفضل القيادة الرشيدة الواحدة والواعية . .

ـ **البلوج** ـ : وهم أكثر من مليوني نسمة ، يسكنون الجنوب الشرقي وعلى الحدود الإيرانية الباكستانية ؛ وهم على صلة وثيقة ببلوج الباكستان . . « أما الوضع الإقتصادي والإجتماعي للبلوج فإنه يصوّر لنا المأساة والتخلف بكل ما في هاتين الكلمتين من معنى ؛ ولعل المناطق البلوجية تعتبر من أفقر المناطق وأكثر تخلفاً على وجه هذه الكرة الأرضية . . » « في هذه المناطق يباع الأولاد وتؤكل حشائش الأرض ونواة التمر ، وكثير من الناس عراة لا يجدون غير غبار الريح لهم ستراً »[2] . .

ـ **الأتراك** ـ : وهم الوحيدون أحسن حالاً وأفضل وضعاً كما يشير نفس المصدر[3]، وهم ستة ملايين ولعلهم اليوم أكثر حيث طبع الكتاب المذكور سنة ١٩٧٢

ـ **التركمان** ـ : وهم مليون نسمة كما ورد سابقاً ، وحالهم يقرب من حال الأتراك حسب نفس المصدر .[4]

---

(١) كتاب ايران في ربع قرن ص ٢٠٢ .ص ٢٠٢ .

(٢) كتاب ايران في ربع قرن ص ٢٠٦ .

(٣) نفس المصدر ص ٢٠٢ .

(٤) أيضاً ص ٢٠٧ .

والجميع ينادون ـ وا إسلاماه ـ ، يسقط الشاه .. يحيا ويعيش الخميني .. نطالب بالحرية ، بحكومة إسلامية .. ذلك لأنهم إسلاميون ، عانوا ما عانوه نتيجة إقصاء الاسلام .. الكل يداً واحدة يسعون لطرد الشاه وتحكيم الاسلام بمجيء الخميني القائد الإمام .

٣ ـ العرب : هم والاسلام داخل ايران : ـ

وهذا ما يقض مضجع الشاه الساساني الأميركاني ، الذي يرى أن البلاء من العرب والشر من الاسلام ، هؤلاء الذين حملوا دين محمد (ص) ، ليدخلوا به البلدان وليفتحوا به فارس رجاء تحرير شعبها من إستبداد الأنظمة الكسروية ، والآن فالعرب على الدين الذي جاؤوا به وشعب فارس معهم حتى الاكراد والأتراك ، فيا للطامة التي تؤجّج نار الحقد ولظى المقت فلا تدع للشاهنشاه راحة نفسية ، ولا نفسية سوية ..

كل فارس أضحت مسلمة تدين بدين محمد الرسول الأعظم « صلىّ الله عليه وآله وسلّم » والأكثر من ذلك أنها على خط آل محمد ونهج أهل بيت النبوّة .. فيا للمرارة واللوعة البهلوية .

وليس ما يشفي غليله سوى التنكيل والتقتيل بمن كانوا مطايا الرسالة العظمى والدين الجليل .. ولهذا عاش العرب إضطهاد الحكم ، لا لوجود نزعة قومية تصبو للإستقلال ، وإنما لدورهم التاريخي النبيل ، وأثرهم النير .

« وقد تجاوزت السياسة التي تمارسها حكومة الشاه بالنسبة للعرب حدود الإضطهاد فوصلت الى الإفناء والإبادة » وكما يعبّر المؤلف الدكتور الموسوي « انها ثأر من الفرد العربي .. الذي بفضله دخل الإسلام .. » ودخول الإسلام موضوع مأساة بنظر الشاه .

« إن الشاه عندما يتحدث عن هذا الموضوع لا يتورع عن إظهار شعوره المليء بالمرارة والأسى عن الغزو العربي الذي أدّى الى سقوط الحضارة الفارسية

العظيمة ـ على حد زعمه ـ ، لأن الدين المجوسي ومبادئه السامية كانت كافية لإسعاد الأمة الفارسية في تقدير الشاه ، ولم تكن بأقل من المباديء التي جاء بها الإسلام ؛ وهو يرى نفسه فخوراً بمبادئ زرادشت . . » وفي هامش نفس الصفحة يعلّق الدكتور الموسوي «إننا لسنا بصدد مناقشة الشاه في هذا الرأي السخيف الذي يعبر عن حقده لواقع الإسلام ؛ فحتى صبيان المكاتب (المدارس) يعلمون مدى الخدمة العظيمة التي أداها الفتح الإسلامي بالنسبة لفارس الممزقة المحطمة تحت وطأة عروش الأكاسرة في القرن السابع الميلادي ؛ ولكن الذي يُستنتج بالتأكيد من صاحب رأي كهذا : هو جهله الكبير حتى بتاريخ بلاده وشعبه . . » (١) .

الإسلام الفاعل الذي لم ينقذ فارس الممزقة كسروياً بل أنقذها وسينتشلها من واقعها المحطم بهلوياً ، ولهذا لا يريد إبن بهلوي أن يعرف الاسلام وحقيقة تاريخ بلاده ولا يريد إرجاع الفضل للعرب الفاتحين والمحررين منه ومن أسلافه المجوس والساسان .

« ثم إن الدولة تسعى حثيثاً لتغيير ملامح المنطقة وللقضاء على اللغة العربية فيها . . » (٢) ، كخطوة أولى وركيزة هامة للقضاء على الدين الأمثل والفكر الإسلامي الأفضل ، فهو لم يخش من العربي كعربي ، بل يخشاه كمعدن للغة العربية ، واللغة كركيزة لنشر الدعوة أو ممارسة الفرائض وتلاوة الدستور الإسلامي ـ **القرآن الكريم** ـ وعليه ، فتوجيه الضربات للعرب والعربية ، إنما هو تكريس لطمس الإسلام ، وليس أدل على ذلك من محاولات التنكيل بالدين من عملية حج الشاه لمكة المكرّمة بحيث إصطحب طبيبه البهائي معه وأدخله « الى جوف الكعبة وهو في لباس الإحرام ، وقد نشرت الصحف صورة هذا الجنرال البهائي وهو في صحبة الشاه يطوفان بالكعبة المكرّمة . . » (٣)

---

(١) ايران في ربع قرن ـ ص ٢٠٤

(٢) نفس المصدر ص ٢٠٦ .

(٣) ص ٢٠٤ .

بيد أن النظام الفاشل يزعم بأن الخطر ناشيء من القومية العربية المرتبطة بوشائج من العرب والدول العربية الأخرى ـ والشاه بالطبع يرمي الى دفن حقده عن العيون . كما أنه لا يصرّح دوماً بكُرهِه للإسلام ـ ولهذا يكافح المؤمنين العرب ، أو بحجّة أنهم يرفعون راية القومية العربية ، والحق أن القوى المؤمنة الملتزمة بالإسلام أخطر من القومي العربي مهما كان .. فكيف يكون خوفه منها وهو يخاف من القومية أكثر من خوفه من الشيوعية كما صرّح ؟ .. كلا إنه يستعمل لفظة قومية ليبرّر تهجمه وشدة تشنجه من الإسلام وحَمَلَته ، من مبادئه وفلسفته .

« وُسمع عنه أكثر من مرّة قوله إن القوميين العرب يهدّدون عرشي أكثر مما يهدده الشيوعيون لأن الشيوعيين في بلادي ليسوا أصحاب مبدأ وفلسفة ، بل لا يعرفون من الفلسفة الماركسية وإيديولوجيتها حتى حرفاً . وإنما الفقر والأسباب الخارجية الأخرى هي التي ألقت بهم في حظيرة الشيوعية .. » [1] .

وفوق أنه إعتراف ضمني بسعة نطاق الفقر .. فهو إعتراف كبير بما للإسلام ـ الذي كان يعنيه ضمناً ـ من خطر على عرشه المهدّد ، ومضى الشاه تحت ما أسماه بخطر القومية يواصل الحصد البشري خلاصاً من الفاتحين وأبناء الفاتحين ..

« إن سياسة الإرهاب والقتل الجماعي ونصب المشانق مستمرة في منطقة عربستان ، وقد حصدت حكومة الشاه من المناضلين العرب أكثر مما يحصد الخريف من أوراق الشجر .. وقد هجرت آلاف من الناس المنطقة بسبب الإضطهاد ثم بسبب الوضع الإقتصادي المؤسف الذي هو جزء من سياسة الإبادة » [2] .

وبعد ، فلو كان هناك حركة قومية كما يضخمها الشاه لتحرك الضمير

---

(١) ايران في ربع قرن ص ٢٠٥ .

(٢) نفسه ص ٢٠٦ .

العربي هنا .. وإن كنا لا نلمس لهذا الضمير حديثاً ، حيث نعايش الثورة الراهنة بآلام شعب ايران وشعب العروبة هناك .. فلا بد ثمة مواقف سابقة وعلى مستوى عال من أجل الحركة القومية هناك ... وعليه فنستنتج يقيناً أن الشاه يتحرك ضد العرب بذريعة قوميتهم ، وحتى لو كان كذلك فإن للحكومات العربية واجب تحديد الحصاد البشري ، غير انّا لم نلمس ذلك منها ، وهذا لعله من أهون معالم العار وأبسط شواهد الخزي ..

ودخل العربي البطل أتون الحرب ، حرب الشوارع ومعركة الصمود أمام رشاشات الشاه وجلاوزته ، فشارك بعروبته وإسلامه ثورة قادها الخميني الأبي ، ليجمع فيها من كل أمة شعباً تعداده بالملايين .

الخميني الذي هو عربي بالاصالة ..
الخميني الذي هو إسلامي بالرسالة ..

هـذا الخميـني ،كبير يلتف حولـه المسلمـو ن وعـدة شعوب فـارسية ، عربية ، تركية ، كردية ، بلوجية ، تركمانية ، وغيرها ، يهتف أفرادها باسم الله وبحياة ولي الله حتى تبحَّ حناجرهم ، ويهتفون بسقوط الشاه وطرده حتى تجف حلوقهم ..

إن العرب في خوزستان وغيرها أكثر من ثلاثة ملايين نسمة ويأمل الشاه أن يظفر ببضعة آلاف منهم للخروج بتظاهرة ومسيرة مؤيدة له مستغلاً البسطاء كما فعل مع غيرهم وفشل ، وحاول إغراءهم بذلك فخرج آلاف بمسيرة قوامها العرب ، رجاء أن تهتف بحياته ومجده ، ولكن لا ! إنها « إنقلبت الى مظاهرات عارمة معادية للشاه ومنادية بسقوطه وقد تصدت لها قوات الشاه القمعية بالرصاص مما أسفر عن سقوط أكثر من ٦٠ قتيلاً . »[١]

وقام الشباب العربي الاسلامي بإنزال الملصقات ، واللافتات التي تحمل

(١) صحيفة الفجر الجديد ـ عدد ١٩٨٠ ص ٥ .

إسم الشاه وعائلته ، كما نزعوا أسماء الشوارع القديمة واستبدلوها بأسماء جديدة ؛ « من بينها إسم الزعيم آية الله الخميني » [١] ..

وعليه فإن نضالهم جنباً الى جنب مع نضال إخوانهم بكل مكان من ايران ؛ وهونضال له خلفياته ، وماضيه ، وهذا إمتداد لما سبق . فقد جاء بكتاب (ايران في ربع قرن) المطبوع عام ١٩٧٢ .

« أما النضال فمستمر في المنطقة (خوزستان) ، كما أنه مستمر في أنحاء أخرى من البلاد ، ولقد ثبت بالتجربة أن سياسة الإرهاب والقتل لا توقف الزحف المقدس النضالي ولا عجلة التاريخ .. » .

أجل .. لقد إستمر رجال الجهاد حتى الآن وسيستمرون جميعاً فُرْساً وعرباً وأكراداً وتركاً .. و .. الخ .. إذ لا نجاة لهم بغير سفينة الإسلام الحسينية التي قبض الخميني ناصيتها ويروم الدخول فيها ليتخذ موقعه كربان مخلص لها .

أصدر الكاتب المصري ، فتحي عبد العزيز كتابه [٢] قبل أيام ، وجاء فيه بشأن القوميات المتعددة مانصه : « .. وهناك مشكلة الأقليات البلوخستانية ، والعربية والكردية . هذه الأقليات التي لن تلتقي وتنصهر إلا من خلال العقيدة الإسلامية التي يطالب الإمام الخميني بتحكيمها ، وليس من خلال نظريات « التفريس » التي يطرحها الشاه ، أي أن الأقليات تشكل خطراً دائماً طالما أن سياسة (التفريس » قائمة ؛ ويشعر الشاه بالتخوف من تكرار تجربة بنغلادش .. » [٣] .

وبعد .. فإن الأمة الإسلامية تمثلت بشعب ايران ذي القوميات الإسلامية

---

(١) نفس الصحيفة .

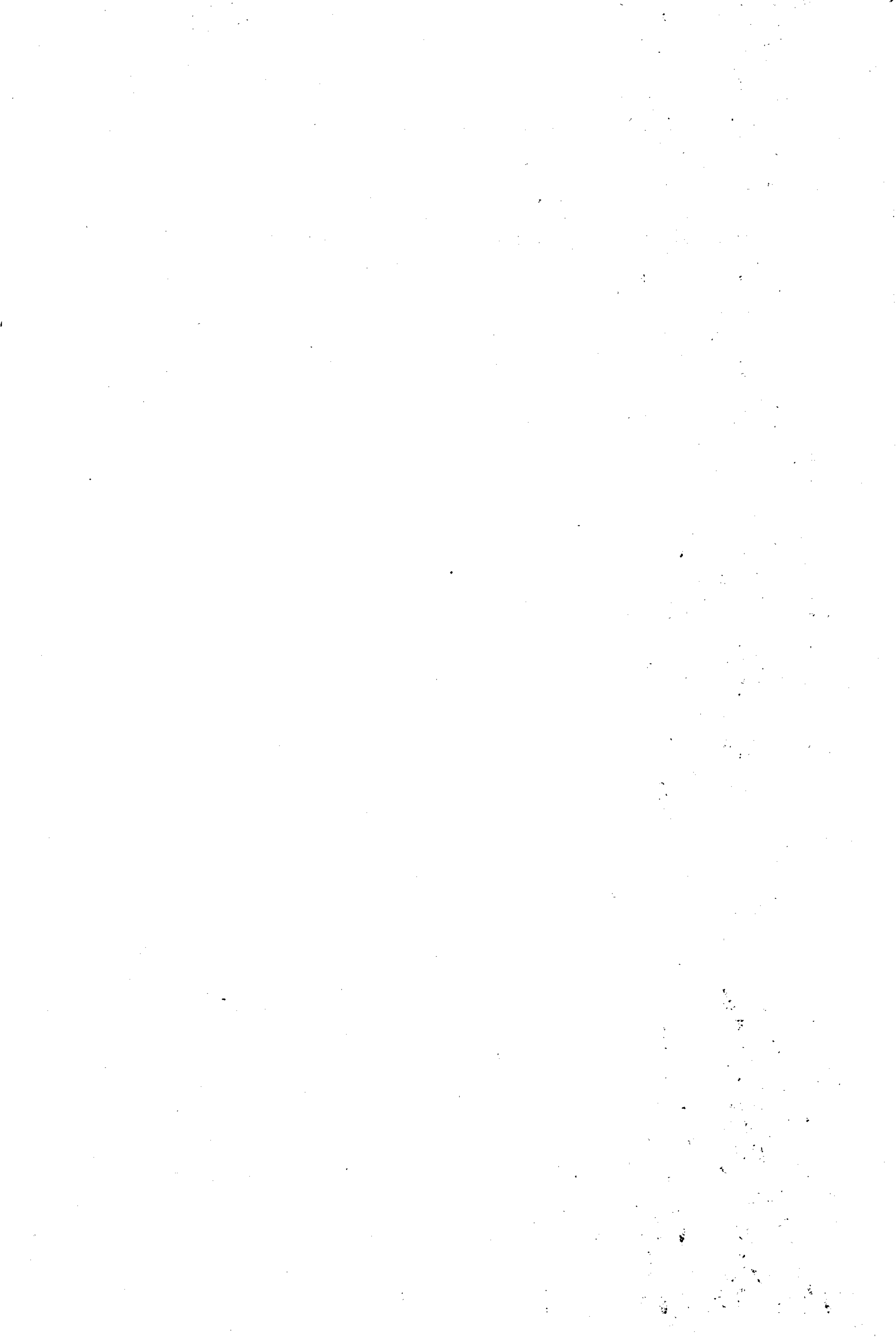
(٢) بعنوان (الخميني ـ الحل الاسلامي والبديل) .

(٣) كتاب (الخميني ـ الحل الاسلامي والبديل) .

المتعددة ، الشعب الذي مثّل الأمة وعبر عنها ، وأضحى مرآة لها . . .

حقاً إنه سيد الشعوب .. وهو رائدها بحق .. وهو الامة التي أخرجت خيراً للناس وللبشرية جمعاء : ﴿**كنتم خير أمة أُخرجت للناس . تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾[1] . قرآن كريم .

(١) القرآن الكريم ـ سورة آل عمران ـ ١١٠



القسم الثاني

شعب مجاهد بالقوة وبالفعل

الفصل الخامس

جهاد نساء الاسلام داخل ايران



جهاد نساء الاسلام داخل ايران

« .. وكيف يمكن أن تكون المرأة حرّة في بلد لا يملك الرجال فيه حريتهم .. ؟ ... » [1] .

« .. أبشّر بالنصر الشعب الذي شاركت نساؤه بالمظاهرات في إعلان الرفض لنظام الشاه . أبشّر بالنصر الشعب الذي تفتخر أمّهاته وأخواته البطلات بموت شبابهن البررة الذين هم في عداد الشهداء .. و .. » [2] .

معالم العظمة والجلال تبرز على حجاب أخواتنا وأمهاتنا هناك ، إلا أنه من الصعب وضع فصل مستقل عنهن .. لضيق الوقت وتراكم المشاغل ، ولكنهن فرضن أنفسهن فرضاً حتى كدنا أن نضع بحثاً مستقلاً في كتاب خاص ، تكريماً لهنّ ولجهودهن ، ولربما أحقق وضع كتاب خاص بهن إذا شاء الله ، بحكم أن لهن عندنا تقديراً وإحتراماً قبل الثورة وقبل أن نكتشفهن على خط الحوراء زينب بنت علي (عليهما السلام) ، فما تمتاز به المرأة المسلمة الايرانية ، لمسته قبل الثورة ولا مجال الآن للحديث عنه ، وحسبي التصريح بأن لأختنا هناك خصائص المسلمات المؤمنات مما لم تتوفر عند أختنا العربية ، وحتى العراقية هنا رغم تقارب ، بل وحدة التوجيه والمفاهيم للأخوات الايرانيات والعراقيات ..

---

(١) الإمام الخميني ـ مجلة الوطن العربي ـ عدد ٦٦ ص ٢٢ .

(٢) الإمام الخميني القائد ـ من نداء للشعب ، عقب المجزرة الأولى بقم ، موجه بتاريخ ١١ صفر ١٣٩٨ هـ من النجف الأشرف ، دروس في الجهاد والرفض ـ ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥ .

١ ـ حرب الإنحرافات الخلقية : ـ

ساد هذا القرن نوع من الإعتناء بالمرأة ، فهبطوا فيها من حيث زعموا رفعها ، وأساؤا إليها من حيث قدّروها ببريق عناوين الإحترام .. وكرّسوا الكثير من أوقاتهم لتشويه موقف الاسلام والعلماء من المرأة ، وأستدرجوا المرأة وجماهير النساء الى مراحل ما زالت تراوح أقدامها بها دون إدراكْ للمرحلة القادمة .. فقد بقيت النساء بلا وعي ولا ثقافة ولا سعادة .. وهجرت مواطن مسؤوليتها الكبرى ، من أجل أن تحظى براتب شهري في دائرة ما ، والكل يزعم أنها تؤدي مسؤوليات وطنية ، من حيث تهمل البيت إهمالاً ، ولربما لا تحمل ولا تلد حتى تصنع بيتاً ، فهي تتعاطى حبوب المنع ، وبذلك فقد أهملت الوطن إهمالاً شنيعاً ، وما يزال الزعم سائداً ساري المفعول ، بأنها حقوق ، حرية ، تقـدم ، وعي ، ثقافة تطور ... الخ .. ولو تناولنا مواقف الاسلام لطال بنا المقام ..

إعتنى التبشير الإستعماري بالمرأة والمرأة المسلمةخصوصاً منذ مطلع هذا القرن ، أما الجهود والمساعي التي بذلت لتطوير المرأة بالمساحيق والأزياء والموضات ، فقد كانت جهوداً مشكورة ، يشكرها لهم الإستعمار .. أجل إن مساعي التقدم بفن الزخرفة والزركشة والمكياج مقابل جهود التأخير ومساعي التخلف وفصل المرأة عن دينها ، لا تخفى على الواعين هذه الأيام ...

إن « جمعية التبشير الكنسية » واحـدة من مئات وآلاف الجمعيات التبشيرية المضادة للإسلام ، كتبت مرة تقريراً جاء فيه ـ وبأسلوب فج ـ مثلاً : « إن في الاسلام عيباً فاحشاً ، وهو حطّ من شأن المرأة ! » ، ودعمت ما عزته الى الاسلام بذكر نبذة جاء فيها إن امرأتين فارسيتين أسميَتَا إبنتيهما الأولى (غير مطلوبة) والثانية «(كفى بنات) .. » [١] .

هكذا يتحدثون عن الاسلام من خلال إمرأة أو امرأتين أو من خلال

---

(١) كتاب ـ الغارة على العالم الأسلامي ـ شاتليه ص ٢٢٥ .

مجتمع يرغب بالبنين وليس بالبنات فقط بحيث تستاء الأم من كثرتهن فتتألم لأنها « غير مطلوبة » ، والأخرى تأمل بوقف ولادة بنات من منطق عاميّ ساذج لا صلة للإسلام به .. لاحظ نص الجمعية وكيف تنعت الإسلام ؛ ولاحظ الحجّة السخيفة والدليل الواهي ..

واصل الإستعمار منهج الإفساد حتى عمّ الإستهتار وانتشر البغاء وشاع الجنس بين المسلمين ، بما في ذلك مجتمع ايران الذي كان نصيبه من الفجور وافراً « ببركات » المستعمرين الأجلاف ..

وفي عهد الشاه بالذات كثرت الداعرات ، ولم ينس الشاه الإستفادة منهن حتى إذا ضاقت عليه ثورة الشعب ومظاهرات الجماهير إذ به يبادر الى جمع الداعرات من مختلف طوائف ايران والأوروبيات المقيمات بايران ، اللواتي يؤدين أعمالاً غير محدودة من الخدمات التي يعرفها « صاحب الجلالة » ويعرف طبيعتها ؛ يجمعهن الشاه ليخرجن بتظاهرة مؤيدة له وللشهبانو فرح والأسرة البهلوية ، موهماً الرأي العام أن هذه هي نساء الشعب الايراني ، وأنها الجماهير النظيفة النزيهة المخلصة ..

« الشاه الذي قال في حديث مع مراسل ايطالي : (بأن تصوره عن المرأة أن تكون جميلة وجذابة) إنه هو الذي يجر النساء الى العبودية للفساد ، ويربيهن دمى .. إن الدين يعارض هذا السلوك المهين والمؤلم وليس يعارض حرية المرأة » [1] .

وقال سيدنا الخميني أيضاً « إن مفهوم الجنس ، وتصوير المرأة أداة له هو الذي يقود النساء نحو البغاء ويجعل منهن مجرّد أدوات » [2] .. إنه حصاد ما بذره الإستعمار وعني بزرعه عملاؤه الأجلاف ..

كان شعبنا الشريف الأبيّ يدرك كثافة ما حصده الأعداء .. شعبنا بكل

---

(1) الإمام الخميني . لمندوب الاذاعة والتلفزيون الفرنسي ، صحيفة اجيال ـ عدد ٣٩٧ ص ٦ .
(2) الإمام الخميني . لمندوب صحيفة اللوموند الفرنسية .. اللقاء الأول بمدينة النجف الأشرف .

من فيه ، إخواننا وأخواتنا المجاهدات اللواتي بادرن وفي الأشهر الأولى للثورة الحالية لتفجير تظاهرة نسائية ؛ فطافت مسيرتهن شوارع بلادهن . .

« في خراسان : كانت تظاهرة نسائية قد خرجت الى الشوارع تندّد بالدعارة الشاهنشاهية ، وعمليات التمييع القسري ، (وذلك بإجبار النساء على التبرج) ، وفرقت فرق الكوماندوس الخاصة التظاهرة ، واعتقلت العشرات من الفتيات ، حيث ثم إطلاق سراحهن من بعد ضغط جماهيري عام » .

كما ورد بمنشور ـ لحركة التحرر الاسلامية في ايران ـ باللغة العربية وزّع هنا . .

وقد تركزت بيوت البغاء ودور الدعارة في منطقة من طهران سميت ، « طهران الجديدة » ويا له من إيحاء ! ، ففيه كل جديد وهو رمز التحديث والعصرنة والتجديد ، إنه رمز دولة النساء الساقطات . .

« طهران الجديدة » حاصرها الثوار وغزيت فالتهمتها النيران ، حتى أضحت جحيماً بلهيب النار وألسنة النيران المتصاعدة ، وذكرت وكالة الأنباء الفرنسية ؛ « أن وقود هذه النيران كان عبارة عن صور وأفلام مخلّة بالآداب عثر عليها المتظاهرون في دولة النساء .. وقال المتظاهرون إنهم يحرقون منازل الدعارة التي يديرها اليهود . . »[١] وإستمر الحريق يأكل بمدينة الزنا ، ويعاقبها فأحاطت النيران بكل المنطقة التي « تبدو كأنها متاهة بشوارعها الضيقة القذرة »[٢] .

ولا أدري ولربما ادري ، متى ينزل « بالبصرة القديمة » وأمثالها ببغداد نفس ما نزل بطهران الجديدة . .

ولم يكتفِ الشاب المنتقم من الفساد والفاسدات بحرق الحي القذر

(١-٢) صحيفة الانباء ـ ٥٤٧٠ ص ١٩ .

بل دمروه ، ودمروا بنفس الوقت مبنى سينما تعرض الأفلام الجنسية ، فأضرموا النار فيها ، وفي مبنى ملهى ليلي ، وسيارات لنقل المشروبات ، كما أضرموا النار بمبنى مصنع للبيرة ، إذ شوهد ودخان حريقه يملأ الفضاء ، فقد تحول المصنع الى كتلة من اللهب المشتعل تمده زجاجات البيرة وقناني الشراب بإنفجارات متتابعة و « كأنها القنابل » .

لقد دُمّر الحي الذي كان يدعم وجود الشاه ، وكان الشاه يحصل منه على أصوات تؤيد حكمه ، لأنه لن ينال من الشعب النظيف ونسائه العفيفات سوى هتافات الموت والطرد واللعن والهلاك .. ولا شك بأن السيئات قد يبكين الشاه ويحزنَّ عليه ، لا سيما بعد الإطلاع على رأي فاجرة منهن ولعلها ناطقة بلسان حالهن ، نقلت عنها وكالة الأنباء الفرنسية ، بعد ما حرق الحي وفضحت مواقعهن ، قالت معقبة على الحادث : « إذا كانت هذه هي الجمهورية الإسلامية .. فإنني أفضل الشاه .. إذ أنه كان يتركنا نعمل على الأقل » [1] .

إنها لا تفضّله فحسب بل تقدّسه .. ولذا فهن يلبين دعوة الشاه لو طلب منهن تظاهرة مؤيدة « لجلالته » من قبل « جلالتهن » ؛ إنه يترك لهنّ العمل « على الأقل » ، ولا ندري ما يفعله لهنّ « على الأكثر » لو كشف النقاب عن علاقتة وتشجيعه لهنّ مثلاً ، لو أراد أن يعطيهنّ الأكثر فالأكثر ..

ولهذا فقد كان الشعب شيباً وشباناً ، رجالاً ونساءاً ، يرغبون بالإنتقام والخلاص من تلك المواقع ، مواطن الخطيئة والآثام ، والشعب يدرك أن الفساد نتيجة طبيعية لنظام الحكم الفاسد ، ولكن الشعب لا سيما الشباب يريد أن يشفي صدره من مصدر الدمار ، ولما كان العلماء الأعلام رهن جهاد حكيم وممارسات ورعة ، فقد أعلن أحدهم حيث

---

(١) نفس المصدر ..

« وجّه الإمام آية الله محمود الطالقاني ، بياناً الى المواطنين دعاهم فيه الى ضبط النفس وعدم مهاجمة بيوت الغانيات كما حدث أمس الأول (الثلاثاء ـ ١٩٧٩/١/٣٠) باعتبارهن ضحايا النظام الحالي . . » [١] .

هذه هي أخلاق الاسلام بحيث لا يريد لنا أن نقف منهن هذا الموقف القاسي وإن كنّ يستحققنه وأكثر منه ، ومع هذا فالشاه يذيع بأن الخميني كرجعي يدعو أتباعه لرشق السافرات بالحجارة والإعتداء عليهن معاذ الله فالحال أن الإسلام يرفض الإعتداء على الفاجرة الداعرة ، فكيف بالمرأة البريئة السافرة . . ويدافع الإمام كاظم شريعة مداري بشدة فيقول :

« إن المصادر الحكومية تتهم آية الله الخميني بأنه زعيم (الرجعية السوداء) وبأنه يريد أن يفرض الحجاب على النساء . . ويرسل أعوانه لرشق السافرات ، وبأنه يحارب كل مظاهر التقدم ، ويحارب حرية المرأة . . » [٢] .

ولكن الحق يعلو والحقائق تنجلي . . وهكذا خسر الإستعمار أتعابه لتعزيز المفاسد بعدما نشرها ، ولئن خسر في دنياه فخسارته أعظم في الآخرة . .

﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم ﴾ [٣]

٢ ـ المؤمنات بين الإضطهاد والجهاد : ـ

ظل الشاه مع أجهزته يدّعي كل ما يمت للتقدم والديمقراطية متبنياً قضية المرأة ، ومترعماً تحريرها ، فاتصفت أقواله بالزيف والخداع ، مدعماً آراءه بالسعي العملي لإسقاط المرأة في أتون المجون . . وليس أحد أعلم بمن في الدار من صاحب الدار . . فكانت النساء المسلمات المؤمنات يشددن أحزمة

(١) صحيفة القبس ـ عدد ٢٤٠٨ ص ١٧ .
(٢) مجلة الوطن العربي ـ عدد ٦٦ ص ٢٢ .
(٣) القرآن الكريم ـ سورة النور ـ آية ١٩ .

الموت منذ سنين ، إذ أنهن جنباً إلى جنب مع الرجال ، مع أولادهن الشبّان وأزواجهن وأخوانهن الرجال . . .

فالمرأة مخدوعة مُستَغَلّة من قبل نظام حكم الشاه ، مستعبَدة ، مهمَلة ، مسحوقة الكرامة والعزة .. أما ذوات العز والإباء والشمم فلا يسكتن عما يجري وقد يسود ويظل يجري ، وبفتاوى العلماء خرجت تهز عروش الظالمين وتسقط تيجان المستبدين . .

إن راية حرية المرأة لم تكن مرفوعة داخل ايران فقط ، وإنما رفعها الشاه في الدول الغربية والأوروبية ليضلل الرأي العام ، بأنه صاحب منهج ديمقراطي « .. رغم أن حقوق المرأة حتى قانونياً ما زالت غير محترمة أصلاً . ودخول مظاهر الحياة الغربية المتمثلة بالأفلام والمجلات والملاهي وغيرها .. »[1] .

ومن غير المؤسف أن يبقى الغربي والأوروبي جاهلاً لحقائق الأمور لأنه لا يجهد في تقصيها ، فيكرر تشويهه للثورة الإسلامية على مستوى إعلامي واسع بأنها ثورة ضد التحرر ، ضد التقدم والتطور ، وضد حق المرأة ، لاحظهم يزعمون « إن غضب المتظاهرين المشاغبين كان موجهاً الى الحكومة والى النساء اللواتي يكرهن الحجاب » ويقولون عن القادة العلماء بانهم « يريدون بأن يرتد الحكم الى الوراء في مسيرة الإصلاح التي يطبقها ،وخاصة تلك التي تسمح للنساء بالتعليم الجامعي ، وحتى بالتخلي عن الحجاب » ويسخر منهم أحدهم ، وهو كاتب من الأجانب يعي حقيقة القضية ، رغم جهل الكثير جداً ، كما أظهرت الأجهزة الإعلامية ، فيقول مثلاً : « ولقد حاولت تلك الأجهزة إضفاء صبغة الشوفينية لدى رجال الدين في سبيل منع النساء من التحرر . . » .

وراح ينتقد تبعية الصحافة الأميركية والأوروبية للمنطق البهلوي وتصاريح البلاط ، ثم يقول كاشفاً عن جق ومصيباً كبد الحقيقة : « وليس بين الكتابات

---

(١) مجلة فلسطين الثورة ـ عدد ٣٧ ص ٢٧ .

والأبحاث الدينية ـ الاسلامية ، ما يشدد على وجوب الثورة واستعمال العنف ضد رفع الحجاب »[1] .

إنه رجل مثقف مطلع على الاسلام يتكلم بثقة ، فلمجرد السفور ليس لدينا أوامر بالجهاد المصيري ، ووجوب الجهاد متلازم مع انحراف الحكم ، وهذا ما يجهله الكثير . . .

ثارت نساء الاسلام داخل ايران وفجّرت تظاهرات لم تبق للشاه ولا للشهبانو فرح أي إستقرار وأي فرح .. وكانت مبادرات أخواتنا المؤمنات التقيات ، تؤكد حقيقة أن المرأة المسلمة أخذت تعيش الوعي في العالم الإسلامي عموماً وإيران على وجه التخصيص ، تحركات شجاعة توحي بمدى التصميم على مجابهة النظام الحاكم صاحب الممارسات التعسفية القاضية بتحطيم شخصية المرأة المؤمنة ، وتذويب قيمها ومثلها وإزالة عفتها ومعالم تميزها الجليل ، وصهْرِها لفك عناصر القوّة التي تمنح المرأة شخصية نزيهة طاهرة غير ملوثة .. فما سعى إليه الشاه ومارسه لم يكن يهون على جميع الأفراد ، فأثار فيهن الشجاعة الاسلامية ، والصرامة الفاطمية ، والبسالة الزنبية .. كما أثـار أولادهن وأزواجهن فضلاً عن العلماء الذين يقلدونهم ، ويسير الجميع بهدي فتاواهم ، آثار الرجال ذوي البطولة المحمدية العلوية والفداءات الحسينية ؛ إنهنّ لاقَينَ ما لاقاه الرجال بالضبط ، فشاطرنهم الموقف المصيري ، وقاسمنهم القبور ، والمستشفيـات كذلك والسجون . .

« عشرات الآلاف » رجالاً ونساءاً محجبات ، يصفهن الصحفي بأنهن « يرتدين عباءات » الكل ينشدون أناشيد التصميم والتوطين ، أناشيد الحرية والحتمية ، ويختمون نشيدهم أو أناشيدهم بالقول « .. إننا مصممون على الاطاحة بالشاه وبالملكية .. والموت للشاه »[2] .

---

(١) هيرالد تريبيون ، ترجمة صحيفة الرأي العام ـ عدد ٥٤٦٣ ص ١٦ .
(٢) صحيفة القبس ـ عدد ٢٣٨٦ ص ٢٠ .

« ووقف العالم مشدوهاً ، وهو يرى السيدة الإيرانية تهبط من جبال قمّ وشيراز وتبريز الى شوارع طهران .. رافعة قبضتها في وجه العسكر ، ورافعات البترول واحتكارات الدول الكبرى »[١] .

نساء ملكن من الايمان والعزّ ما أبى عليهن العودة للحياة البيتية بلا حرية ، بلا حكومة إسلامية ، بلا تحقيق لكل الأوامر الخمينية .. إنني آسف لعدم سنوح الفرصة كيما نتحدث عن العائلة والأسرة الاسلامية ومميزاتها لا سيما في ايران بحيث مكنها من أن تلعب هذا الدور الخطير وعلى كل حال نأمل ذلك في أوقات أخرى إن شاء الله .. فسلام الله عليهن وتحية للمؤمنات المجاهدات ... اللواتي : « وجدن أن من واجبهن هذه السنة ، سنة الثورة ، أن ينزلن الى الشارع لتشجيع الشباب على الخروج والإعتصام خارج المنزل » .

وتمضي الأخت رباب الصدر تتحدث فتنقل عن شقيقتها المقيمة بايران بعض الصور التي شاهدتها وكانت مشاركة في صنعها ...

« .. نقلت لي أختي المقيمة في ايران ، والتي شاركت في التظاهرات ، هذا المثل الحي : عند الساعة الثامنة تنقطع الكهرباء ، ويمنع التجول بعد الساعة السادسة مساء ، في هذه الأثناء يصل الشبان الى المنازل رغبة في الراحة ، ولكي تحث السيدات الشباب على الخروج مجدداً ، ورفض الأمر الواقع ، هن يصعدن مع أولادهن الى سطوح الأبنية ويبدأن بالأذان (**الله أكبر**) ، ويقرأن القرآن ويكبرن ، طالبات من الشباب الخروج من البيوت والتظاهر في الشوارع »[٢] .

هذه صورة ترسمها شاهدة عيان ثقة .. فتنقلها شقيقتها السيدة رباب الصدر التي إلتقت بها مراسلة مجلة الاسبوع العربي لتقيم حواراً حول شقيقها سماحة الامام موسى الصدر ، وما إذا كانت عودة الامام الخميني القائد تعجل

---

(١) كتاب بعنوان (الخميني الحل الاسلامي والبديل) تأليف الكاتب المصري فتحي عبد العزيز ص ٥ .

(٢) مجلة الأسبوع العربي الصادرة بلبنان ـ عدد ١٠٠٩ ص ١٤ .

بعودة السيد الصدر ، وقد أجابت السيدة رباب عن أسئلة كثيرة منها الأسئلة الخاصة عن ايران .. ولنواصل معها إذ تخاطب مراسلة المجلة بعد عرض تلك الصورة كمثال .« من هذا المثل تستطيعين أخذ فكرة عن دور المرأة في أحداث ايران » .. والنساء يلعبن دوراً خطيراً في تظاهرات الرجال التي يخشى عليها نار الجيش ، فتقوم النساء بصنع حزام حولهم كيلا يطلق الجند رصاصهم ، وتمضي الأخت رباب تتحدث مستطردة بعدما ذكرت تظاهرة ضخمة خرجت .

« أنذرهم الجيش بالتفرق فرفضوا ، وبقيت النساء متمسكات بموقفهن أكثر من الشباب لأن الشباب كانوا خائفين على أخواتهم وأمهاتهم » .

« وتروي شاهدة أنها رأت السيدات يتساقطن صفاً بعد صف ، كما تتساقط أوراق الشجر في الخريف ؛ وإني على ثقة من أن هذه الأخبار ليس مبالغاً فيها ؛ وقد شاهدت شقيقتي الجندي الذي أطلق النار على نفسه وعلى ضابطه الذي أمره بإطلاق النار على السيدات ... للمرأة دور كبير وأساسي في أحداث ايران .. » [1] .

ويصرح الخميني القائد باستشهاد المئات من المؤمنات والمجاهدات.

« .. إن إشتراك المرأة المسلمة في الإنتفاضات الأخيرة أثبت للجميع خواء وكذب إدعاءات الشاه (القاضية بأن الثورة ضد المرأة والإسلام يؤخرها) .. إن المرأة الى جانب الرجل تطالب بالحرية والإستقلال ، وتدين جرائم الشاه .. » ويضيف : « ولقد إستشهد يوم الجمعة الأسود ، قرابة ـ ٦٠٠ ـ من النساء المطالبات بالحرية بيد جلاوزة الشاه الخائن ؛ إن هذا هو معنى حرية المرأة والحضارة الكبرى لدى الشاه .. » [2] .

عاشت أخواتنا في محن وبلاء ، فقد ضيّق الحكم خناقه على المؤمنات في المدارس والجامعات ، وذلك منذ سنوات ، فمثلاً في سنة ـ ١٣٩٣ ـ

---

(١) مجلة الأسبوع العربي الصادرة بلبنان ـ عدد ١٠٠٩ ص ١٤ .

(٢) صحيفة أجيال ـ عدد ٣٩٧ ص ٦ من كلام سماحته لمراسل اذاعة وتلفزيون فرنسا .

١٩٧٣ ـ حيث حرب رمضان ، أصدر الخميني القائد بياناً بالمناسبة .. أعقبه ببيان ـ ١٦ رمضان ـ من نفس العام والذي جاء فيه :

« الأمة الاسلامية والعربية مشدودة بكل حواسها الى الأرض السليبة موجهة كل قدراتها للدفاع عن الاسلام وقيَمه وتعاليمه وللدفاع عن المسلمين وحقهم في الحياة الحرة الكريمة .. وزبانية الشاة يقتحمون مدارس الفتيات المسلمات في ايران يهتكون الحرمات ويعتدون على الحريات » [١] .

ولم تنقطع عنه تقارير الثوار المجاهدين طوال حياته المباركة بمدينة النجف الأشرف ، تقارير عن الرجال والنساء وكل الأوضاع ، خطب سنة ـ ١٣٩١ ـ ١٩٧١ فقال : « .. لقد كتبوا لي مؤخراً بأن حتى الطالبات الجامعيات يتعرضن للتعذيب الشديد من قبل جلادي الحكم في إيران » [٢] .

وصل مراسل صحيفة اللوموند الفرنسية سراً ليلتقي بالإمام داخل داره بالنجف الأشرف ، وكان أول لقاء صحفي ، فسأله المراسل عن المرأة ، فما أجابه صراحة إن الاسلام « عارض تحويل المرأة الى سلعة رخيصة وأعاد إليها كرامتها وشرفها » وبعد فإن نظام حكم إيران « يسعى لإنحراف المرأة الإيرانية في الأمور اللاأخلاقية ليمنع من تحررها الحقيقي ، وإن الاسلام يعارض هذا الأمر بشدة ؛ إنَ نظام الشاه سحق حرية المرأة تماماً كما فعل بحرية الرجل ، فالنساء كالرجال يملأن السجون ... [٣] الخ ..

وهكذا تظهر صور الإضطهاد البشع حتى للنساء ، طالبات وربات بيوت ، عدوان في المدارس والجامعات وقتل بالشوارع وتنكيل داخل السجون ، وما في المستشفيات أفظع وآلم مروع يثير الشجون ..

لقد سجلت فتاة إيران المؤمنة وأمها الكبيرة أروع صفحات التفاني من

---

(١) كتاب ـ دروس في الجهاد والرفض ـ ص ١٨٥ .
(٢) نفس المصدر ـ ص ١٤٥ .
(٣) المقابلة ترجمت وهي بكتاب « دروس في الجهاد والرفض » ص ٣١٨ .

أجل الله والإسلام تحت راية أهل البيت بقيادة المراجع والقيادة الرشيدة ، ولم تكن تكره الموت حتى وإن كان للمئات من أخواتها .. ورغم ذلك فالعدو يكرر ولا يمل سخافة قوله بأننا ضد المرأة « .. نحن لسنا مخالفين لرقي النساء ، وإنما نخالف الفحشاء والمنكر والبغي لو كنتم تعلمون »[1] .

بل رأينا رقيها عقائدياً مدهشاً لمضامينه الفدائية ومحتواه القوي ، تتحدى ولا تخاف العدو وكأنها تعيد لنا ذكرى القائدة العظيمة التي تحدت العدو :

« فكد كيدك ، واسع سعيك ، وناصب جهدك ، فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا ، ولا يرخص عنك عارها ، وهل رأيك إلا فَنَد ، وأيامك إلا عدد ، وجمعك إلا بَدَد . . . يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين »[2] .

٣ـ مجاهدات محجّبات بالإيمان والبسالة : ـ

بُنيَ كل عمل إسلامي على أساس مبدئي لا على أساس تقليدي ساذج ؛ فالجهاد لا يحتاج الى تأكيد هذه الحقيقة بشأنه ، أما الحجاب فأمره كذلك دونما شك إلا أن البعض ممن يجهلون الاسلام ، يحبون اللغو والتخبط ، بل يحلو لهم ذلك مع تشويه مقصود لحقائق الأمور .. خصوصاً بين أناس غالبيتهم العظمى غير مسلمة ، كأوروبا ، والحديث لاستاذ بالجامعة الأميركية ، نشر له مقال جاء فيه مثلاً : إن « الجزائريين رأوا في الخمار ـ الحجاب ـ أسلوباً من أساليب مقاومة المستعمر » .

بمعنى أن الحجاب الذي لبسته نساء الجزائر أيام الجهاد لم يكن من أجل تلبية واجب شرعي بقدر ما هو « أسلوب » ضد المستعمر .. وهذا ما لا يصح

---

(١) الخميني القائد من خطاب سنة ١٣٨٣ بقم ـ نفس المصدر ص ٨٧ .
(٢) الحوراء زينب بنت علي حفيدة النبي صلوات الله عليهم ، من خطابها التاريخي سنة ٦٠ هـ ضد الملك يزيد بن معاوية ، تواجهه بكلامها البليغ وجهاً لوجه ...

من حيث المبدأ ، أما من حيث الثورة والحكم الذي جاء فهو يصح ، إذ جاء حكم لا إسلامي ، علماني ، فيمكن القول : بدليل شيوع السفور بالجزائر بعد الإستقلال يكون صحيحاً أن الحجاب أو الخمار أسلوب للمقاومة .. فهو إذن مرحلة .. وهو صحيح من حيث النتيجة لا من حيث السبب ؛ فسبب الحجاب سلفاً ليس المقاومة ، أما بعد الإستقلال المتعارف ، فالناتج ليس السفور فحسب بل العلمانية ككل ، ولا حاجة للإطالة .. يستطرد الاستاذ الجامعي : ـ « يقال لنا الآن ان البرقع أخذ يظهر من جديد مؤخراً في حرم الجامعات الإيرانية ليس كدليل للتقوى بقدر ما هو يمثل تحدياً لحكومة الشاه وما يظهر من أساليبها « الغربية » .. » [1] . نقول للإستاذ الجامعي هذا ؛ إنه يجدر به أن يعدّل من منطقه ويراجع معلوماته ، وينتظر المستقبل دون أن يتسرع فيسيء الى شخصه ، وليسافر بعد زمن الى إيران ليرى ما إذا كان حقاً حجاب مرحلي وبرقع مقاومة أم قضية مبدأ وشرع ونظام ، لا ولن يمكن التهاون بشأنه ؛ وحسبنا أن نوجه الاستاذ بهذا عوضاً عن أن نتهكم أو نزدري بآرائه الغربية ..

إنه يفترض بذلك الفهم أن تأتي حكومة ذات نظام علماني وحينئذ فحسب ، قد يعود الهجوم على الحجاب و.. الخ .. فيصدق الزعم الآنف .. إن ثورة إيران إسلامية مئة بالمئة ، ولكن الجزائر بثورتها الاسلامية لم تكن تقودها قيادة تضمن لها حكم الله وحاكميته العظمى ....

إن أمثال تلك التشويهات والشبهات التي شاعت ضد القيادة حيث وصموا مواقفها إزاء المرأة بنعوت وصفات عجيبة ، أدت ببعض الإيرانيات المقيمات في الخارج ، كلندن وباريس وبون والولايات المتحدة [2] .. ليلتقين بالإمام الخميني بنوفل لو شاتو .. وهن مرتبكات من مصير المرأة تحت ظل الحكومة الإسلامية الجديدة ، إذ أن الشكوك قد استحوذت عليهن ، وهن غير ملتزمات

---

(١) نيونورك تايمز ـ ترجمة صحيفة الوطن ـ عدد يوم ١٩٧٨/١١/٢١ .

(٢) صحيفة الوطن ـ عدد ١٥٧٨ ص ١٣ .

مؤمنات مثقفات إسلامياً كما يبدو .. فطمأنهن الإمام وكشف لهن عن حقائق الإيجابية التي تكمن في الفكر الإسلامي ..

والحق أن على كل إنسان رجلاً كان أو إمرأة أن يسفه مزاعم حرية امرأة في بلداننا المستعبدة التي لا يملك ـ كما يعبّر الخميني القائد ـ فيها الرجل حريته بحدها الأدنى من القول والنقد .. لقد إستغلت الحكومات ببساطة الشعوب فسخّرتها لتصفّق لحرية المرأة ، والرجال عبيد لا حرية لهم . فما قاله الإمام الخميني : ـ « « إننا نريد بلداً حراً ومجتمعاً حراً .. وكيف يمكن أن تكون المرأة حرة في بلد لا يملك الرجال فيه حريتهم؟ .. وهل الحرية أن تخسر إحدى النساء الإيرانيات ـ ١٠ ملايين دولاراً ـ في أحد نوادي القمار في لندن »[١].

« إننا نطالب بتحرير الرجل والمرأة في نطاق الشرع الإسلامي » ..
« إننا نريد مجتمعاً متكافئاً ينعدم فيه إستغلال الإنسان لأخيه الإنسان .. وهكذا فالتقدميون الحقيقيون : نحن وليسوا هم .. » [٢].

ولكي يزيل عن أذهان الكثيرين بما فيهم الأوروبيين ، الذين توصل رجال الدين عندهم ـ قبل سنين ـ الى الحكم بأن المرأة كائن لا إنساني ، وقيل كائن شيطاني ، وقيل كائن إنساني ولكن بلا روح ، فيما ظلّ راسخاً في فهم البعض الى أنها كائن لا إنساني .. حتى جاء عصرنا هذا فقلبوا مفاهيمهم ولم ينسوا رأي دينهم ، لكنَّ الإمام القائد روح الله الخميني يريد إزالة ذلك عن الأذهان الاوروبية بخصوص ديننا الإسلامي وفكرنا العملاق ..

« المرأة كائن إنساني مثلها مثل الرجل ، ولها أن تتمتع بكل الحقوق التي للرجل ، وقد جاء الإسلام فقضى على الجاهلية وأكد المساواة بين الرجل والمرأة .. » [٣].

---

(١) يستشهد السيد القائد بحادثة امرأة ايرانية خسرت في ظرف سنتين هذا المبلغ ١٠ مليون دولار ، بأحد نوادي القمار اللندنية . وا قامت دعوى على النادي لتسترد خسائرها لأن النادي كان يستغل ولعها بالقمار ... وهكذا فضحت ..

(٢) مجلة الوطن العربي ـ عدد ٦٦ ص ٢٢ .

(٣) مجلة الموقف الصادرة بلبنان ـ عدد ١٦٧ ص ٢٨ .

لم يكن كلام القائد هذا أو غيره من القادة مجرد كلام لكسب العواطف والتأييد وكسب الرأي العام ، بل هي حقيقة قائمة في صلب الفكر الإسلامي ، وكامنة في ذات التحرك الجماهيري الواسع النطاق ، ولقد كانت الحركة والمنظمات الخمينية تحرص على المرأة وفق النظرة الإسلامية ، ولهذا شاهدنا أن نساء إيران .. « .. كلهن في خط ديني واحد ، كل واحدة تجسد آراء المئات ، سواء وجدت في إيران أو باريس أو أميركا ، كلهن يعتبرن أنفسهن مسؤولات ، وكلهن يناضلن في سبيل القضية مع سيدي الخميني .. » [1] .

« إن الطالبات الجامعيات إشتركن في الثورة بتظاهرة نسائية إسلامية عارمة ضد حكم الشاه ، وقادت التظاهرة بعض الطالبات المجاهدات من المنظمات الإسلامية الثورية » ، كما سجّل أحد المنشورات الصادرة عن حركة التحرر الإسلامية الإيرانية .

هذا وجهادهن لم يقف عند حدود إيران ، أو ضد الشاه وحكمه فحسب ، وإنما إستهدف الظلم والإستعمار والحكام الطغاة فيما وراء الحدود . هذه هي شمولية مواقفهن كوطنيات ، وكمتدينات مؤمنات صالحات ..

أمسكت امرأة .. « بذراع مراسل لرويتر ، وسط الحشود ، وسلّمته ورقة كتب عليها بالإنكليزية « ليسقط الأمبرياليون وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا ، لتسقط الرأسمالية ولتعش شعوب العالم .. » .. » [2] .

إن في قلوب جميع المسلمين ــ وليس الشيعة فحسب ــ أماكن لأهل البيت من الرجال والنساء الأطهار ، فخديجة وسكينة ، وزينب والزهراء ، صلوات الله عليهن . لهن مواقع في القلوب ، وذكرى تحيا سنوياً ، وبذلك فلنساء الإسلام داخل بلدان الأمة الإسلامية أسوة حسنة بالطاهرات ممن جاهدن

---

(١) السيدة رباب الصدر ــ مجلة الأسبوع العربي ــ عدد ١٠٠٩ ص ١٥ .
(٢) صحيفة الوطن ــ عدد يوم ١١ محرم ١٣٩٩ ــ ١١ ديسمبر ١٩٧٨/١ .

فسطرن أسطراً من نور لنا ونار لأعدائنا .. العربيات أو الإيرانيات ، أين ما كن .. ولقد لعبت شخصيات نساء أهل البيت دوراً وتركن أثراً في صدور المجاهدات الإيرانيات ، سيما الحوراء زينب ذات المواقف التاريخية العظيمة . وهذا ما علينا أن نأخذه مثلاً لنسائنا المسلمات بكل مكان ، وكما تعبر الأخت رباب : « تأخذ مثلاً عن السيدة فاطمة الزهراء التي كان لها دور كبير في الدعوة الإسلامية الى جانب أبيها وزوجها .. كذلك أخت الحسين إبنة الإمام علي (عليه السلام) ، السيدة زينب ، التي وقفت بحجابها ولباسها العربي تخطب بين الرجال والنساء يوم كان يزيد يحتفل بالنصر لمقتل الإمام الحسين ، وتفهمهم أن أخاها ظُلِم ، وأن خطه كان الخط الصحيح .. السيدة زينب هي التي استطاعت في تلك الساعة أن تفتح عيون الناس على قيمة الحسين .. »[1] .

فالأمة الإسلامية لا تفتقر لرجال أو نساء كقادة وكأقطاب ، كمثل حي يُقتدى به ، كمثل حي فعال يأخذ مكانه في النفوس والقلوب ، كما وأن الأمة ـ بخصوص المرأة ـ قد واكبت وعاشت الحاجات وكل المستجدات ، فلم يجهلوا التحرك وفق الظرف ،.. ويقول كاتب أجنبي : « فالشيعة لا ينتظرون من يعطيهم الإرشادات ويعلمهم نظرية العدالة الإجتماعية ، لقد كان علي ابن أبي طالب الذي تعتنق الشيعة تعاليمه ومبادءه ، عملاقاً من عمالقة الإنسانية في التاريخ ، وعنه أخذت الثورة الفرنسية ، لربما وسائر ثورات التحرر في العالم ، مبادئ العدالة والحرية ، والتقدم ، وإجلال المرأة »[2] .

أجل .. وإجلال المرأة .. الذي عرفته وأدركته المرأة الإيرانية ، فأرادت أن تقدّم جزاء ذلك الاجلال جزاءاً ، فصممت على الشهادة ، على التضحية والفداء ، تضحية للإسلام ، وفداءً للتعاليم الحيدرية العلوية ، لنيل درجة الشهداء العالية ..

---

(١) مجلة الأسبوع العربي ـ عدد ١٠٠٩ ص ١٤ .

(٢) هيرالد تريبيون ـ ترجمة صحيفة الرأي العام ـ عدد ٥٤٦٣ ص ١٦ .

« تلك المحجبة إلا من الشهادة ، ترفع الملاءة للإمام الخميني حتى يرى الوجه شقياً ، حتى يعرف كم كابدت في الغيبة . . » [١] .

كابدت واضطهدت ، ونهضت فجاهدت ، فسجنت واستشهدت في طريق طويل ودرب عسير التخطي وعر المسالك . . وعلى العموم فقد تجاوزت العقبات الخطيرة ، وسحقت الشبهات ، وفندت عمليات ودحضت بالفعل لا بالقول كل النظريات الغربية ، ومجمل منطق الإستعمار ، فكان مجرد خروجها ثائرة مجاهدة يعتبر نصراً للإسلام عظيماً وهزيمة للأعداء منكرة بتضافر المؤمنات فيما بينهن والمؤمنين فيما بينهم ثم التعاون بين المؤمنين والمؤمنات معاً ، وهكذا خسر العدو « **فخاب السعي وتبّت الأيدي وخسرت الصفقة** » [٢] .

﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ، إن الله عزيز حكيم** ﴾ [٣] .

﴿ **وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ، ورضوان من الله أكبر ، ذلك هو الفوز العظيم** ﴾ [٤] .

---

(١) صحيفة السفير ـ عدد ١٧٢٣ ص ١١ مقال مطول لكاتب عربي جورج ناصيف ـ وهو يقصد (بالغيبة) غيبة الإمام المهدي عليه السلام كما يتضح من سياق وبداية مقالة ...

(٢) من خطاب للسيدة الحوراء زينب عليها السلام ...

(٣ـ٤) القرآن الكريم ـ سورة التوبة ـ ٩ ـ آية ٧١ ، ٧٢ .

الفصل السادس

الجيش والترسانة العسكرية

« فيا أيها الجنود الغيارى الذين تضحون من أجل بلادكم : إنهضوا .. كفى ذلاً وإسراً ، وطّدوا علاقاتكم بالشعب ، ولا تغرقوا في دم أبنائكم وإخوانكم الأبطال من أجل شهوات ونزوات عائلة بهلوي الباغية »[1].

« ... سجّل إسمك ، بأسرع ما يمكن ، في التاريخ الذي يسير في إتجاه مصلحة الشعب الايراني ، واقطع جذور الخيانة والظلم »[2].

من الممكن ظهور ثورات متعددة وانقلابات سياسية متكررة في إقليم ما وتجديد نظام الحكم بين فترة وأخرى ... بيد أن من الصعب ضمان ولاء الجيش لهذا الحكم ، أو لأي نظام حكم جديد ..

تُعَدُّ المؤسسة العسكرية أكبر متحكم بالأوضاع ، وأهمّ مرتكز لمن بيده الحكم ... فالقوة العسكرية الرهيبه ـ وبكل مكان ـ هي صاحبة الضوابط .. مالكة بيدها أقفال القضايا ، مع إحرازها لمفاتيح تلك الأقفال .. وهي في الأعمّ الأغلب ، العارفة بأسرار فتح الأحداث ، وأسرار إيصاد أبواب الأمور ، وقفل الوقائع ...

---

(١) الخميني القائد من بيان سماحته في ٣ شوال ١٣٩٨ هـ .
(٢) الخميني القائد من بيان سماحته في ٦ شوال ١٣٩٨ هـ .

وإذا لم يكن لرجال الثورة ـ أيّ ثورة ـ تنظيم ودعم في الجيش يكون عملهم عرضة للصدمات ، بـل خاضعاً للإخفاق ، بأعـلى نسبة من الاحتمالات . كما ظلّ شائعاً هذا الفهم .. وان كان صائباً لكنه ليس دائماً بكل مكان وفي كل زمان ، سيّما بخصوص ثوراتنا ذات الرسالة الاسلامية الصحيحة الصادقة وعليه فإن الثورة المفتقرة لعدد كبير من العسكريين داخل المؤسسة العسكرية: هي ثورة محكوم عليها بالفشل سلفاً ... وهذا الفهم هو الذي ثبّط ويثبّط عزم أيّ فئة تنوي الثورة أو الأنقلاب . فالجيش قوّة لا يستهان بها ، ووجود لا مجال لتجاهله قطّ ..

هذا ما يخصّ عموم الجيوش . أمّا جيش إيران البهلوي الشاهنشاهي فهو كيان عسكري جبروتي فرعوني لا تطاق مواجهته ، ولا يسهل النفوذ إليه ، ولعلّ ما يعرفه القاريء عن هذا الجيش وطبيعته خير مساعد لي على عدم الاطالة بشرح حوله ، فالصحف والمجلات قد نشرت الكثير عنه وأوضحت أموراً قد لا تغيب على القاريء .

جيش إيران نمط آخر .. نموذج لا نظير له في الشرق كلّ الشرق وهو خامس خمسة في العالم كل العالم ، وهنا يكمن الخطر ... فترسانة السلاح من الضخامة بحيث سمّي بجيش المنطقة .. شرطي الخليج .. دركي الخليج ، عماد أميركا في المنطقة ووصيّها وخليفتها في الشرق مع إسرائيل .. أسلحة الجيش حديثة وبقدر حداثتها فهي معقّدة فتّاكة وتبطش بالآلاف والملايين ، أمّا وفرتها فبالقدر الذي لا يضاهيها وفرة إلاّ في الجيوش الخمسة العالمية .

ان اهتمام الفكر الاستعماري وقوى العدوان بالجيش مع الشرطة السرية يعدّ كبيراً وكبيراً جداً :

« إنّ ضخامة الجيش ، وزيادة القوة البوليسية ضروريتان لاتمام الخطط السابقة الذكر . وإنه لضروريّ لنا ، كي نبلغ ذلك ، أن لا يكون إلى جوانبنا في كل الاقطار شيء بعد ، إلا طبقة صعاليك ضخمة ، وكذلك جيش كثير وبوليس مخلص لأغراضنا » .

بروتوكولات حكماء صهيون ، البرتوكول السابع .

الحشد البشري والتركيب البشري للجيش الإيراني مرعب ومعقّد ، فعلاوة على تغلغل فئات اليهود والبهائية[1] والأرمن والمجوس فيه . هناك تطعيم أجنبي متقن فهو مطعّم بضباط وجنرالات أميركا . مبارك بخبرات إسرائيل ومدعوم بالشكلين المباشر واللامباشر من مجمل قوى العداء للإسلام .. وهنا يكمن الخطر الأخطر ..

وإذا علمنا بمدى الإرهاب وحرب الأعصاب داخل الجيش ومبلغ ممارسة الأساليب النفسية للتركيع التام للعسكري أمام صاحب الجلالة . وإذا أدركنا قدرة الاستعمار على سحق معنويات الجندي الثائر بحيث أجريّ للجيش عمليات غسيل دماغ ضمنت للشاه قلباً مطمئناً .. وإذا وقفنا على الترسانة وتركيب الجيش بشرياً ثم طبيعة رسالة الثورة هذه ، حينئذٍ يتعيّن أن نتساءل ..

فكيف إذن تمكن الامام الخميني القائد من الظفر بالمفاتيح . وفهم كيفية استعمال مفاتيح أقفال السياسة والجيش ؟!.

سؤال صعب جدّاً .. وسهل يسير .. وفق نسب معيّنة .

صعب لعدم توفر تفاصيل نظرة الامام ونظريته ازاء الجيش الايراني وعدم توفر كامل معالم مسيرة السيد مع هذا الجيش .. أمّا كون السؤال سهل فلما يمكننا قوله من فهم لأمر عام وخطير ، لقد لمسنا بأن السيد القائد استثمر أكبر وأخطر محرّك فعّال ، كفيل بفكّ أقفال المؤسسة العسكرية واطمأن السيد إليه تماماً ـ مع عظيم إطمئنانه لله وثقته بربّه ـ ذلك المحرّك الفعّال هو الشعور المعّمق بالانتماء عندنا عموماً ، كمسلمين أولاً ، وكشيعة ثانياً[2] . فهذا الشعور الذي يقابل

---

(١) «وللبهائية نفوذ واسع في الجيش . فالفريق ايادي الذي يشغل منصباً هاماً في الجيش . قد مهدّ الطريق حتى تناط بالبهائية المناصب الحسّاسة الرفيعة» . كتاب ـ إيران في ربع قرن ـ بقلم الدكتور موسى الموسوي ـ ص ١٠٣ ـ طبعة ١٩٧٢ .

(٢) ثمة دراسة موسعة بعنوان (الشعور بالانتماء للاسلام) منذ أكثر من سنتين وسوف تعدّ كاملة وتصدر قريباً ان شاء الله ..

بخطورته أعتى ترسانات السلاح وتنظيمات الجيوش ، والذي يهدم الجيش ويحوّل ترسانة السلاح إلى « سكراب » و « خردة » يعدّ أعظم قوة وأكبر معقل محصّن إعتصمت به الثورة لتستقطب له كلّ مدنيّ أو عسكري .. والحديث عن هذه النقطة ذات الحساسية ، طويل لا طاقة لنا بمجاراته الآن وفي بحث كهذا .

١ ـ لمحات حول وفاء بريطانيا واخلاص أميركا :

قبل أن نطّلع على مواقف الجيش الإيراني سيّما المسلمين فيه علينا أن نذكر وبلمحات قليلة مبلغ الدعم المخلص والاسناد الاستعماري للشاه

فالخبرات والدعم لبناء أفراد الجيش وغسل أدمغتهم مع دقة العمل السري، وحياة الغموض التي تكتنفهم ، واستحواذ سلطة الفرد الواحد الصنم « صاحب الجلالة » ، أمور كشف عنها وزير الخارجية السابق لبريطانيا التي لم يجهل الشاه فضلها وجودها وكرمها فما قاله تشارلز دوغلاس بمقال مطوّل .

« ان الضباط الغربيين الذين أرسلوا إلى إيران ، وهم في معظمهم أميركيون وبريطانيون ، يقولون : إنّ الجيش الايراني هو أكثر الجيوش خارج العالم الشيوعي ، سرية ، وأكثرها « جوانية » وسلطة الشاه موجودة على كل المستويات في صفوفه » (١) .

فدول التحالف الاستعماري بما فيها بريطانيا ، وعلى رأسها أميركا ترى في إيران خير مائدة تأكل منها في النهار ، وتحولها ليلاً إلى مكمن تتربص به لكل شعب قد يعشق الحرية فيرفع راية الاسلام التحررية .

وهكذا كانت إيران منذ الحرب العالمية الثانية مشمولة بعناية أميركا ، فضلاً

---

(١) التايمز ـ ترجمة صحيفة السياسة ، الصادرة بالكويت عدد ٣٧٤٨ ص ١٨ .

عن قِدَم العناية القيصرية والإنكليزية ... وكلّها قد تحمّلت أوزاراً وتلطّخت بدماء المجاهدين .

« خلال الحرب العالمية الثانية ، وجهت الادارة الأميركية اهتمامها الشديد لبناء قوة قمعيّة إيرانية لمواجهة الحركة الثورية النشطة التي قد تسبب المتاعب للشاه بعد انسحاب القوات الأجنبية (دول الحلفاء) من إيران »[١] .

وهكذا ومنذ تلك المدة صنعوا من الشاه دمية لا تعرف إلاّ جمع الحديد والقضبان ، مقابل دفع الملايين المسروقة من الشعب المكبّل بتلك القضبان ، أضحى الشاه أوحد رجل مولع بجمع كل سلاح جديد .. بل صار من أهمّ هواياته ، فكما أنّ أصحاب الهوايات يجمعون كل ما استجدّ فيما يخصّ هوايتهم ، نرى ملك الملوك يعيش هوى رنين المعادن والصفائح والسكراب ، نرى صاحب الجلالة مغرماً « بكل جديد في عالم الأسلحة » . برية ، جوية بحرية ، حتى أعلنت الحكومة البهلوية مرة بأن لديها في الخليج « أكبر أسطول من الحوّامات في العالم » ـ عن صحيفة الفاينشال تايمز ـ .

وإذا كان هذا التصريح يدلّك على مبلغ الحرص والعناية في مجال الأسلحة البحرية ، فإن مبلغ العناية بالأسلحة الجوية يدلّك عليه نص ما قالته النيويورك تايمز : « أصبح الشاه يشتري الطائرات الأميركية بصورة أسرع من إنتاجها » . بمعنى أنه يضمنها قبل أن تصنّع أو تخرج من المصنع .

أما العناية بالأسلحة البرية فيميط اللثام عنها ما يوحيه لقبه الذي مُنحته له مصانع الأسلحة ، فلقّبوا الشاه بما لا ينازعه أحد عليه وهو أنه « أفضل زبون » وأحسن مشتري من تلك المصانع ، وهذا يوحي بمدى عنايته بعموم الأسلحة .

وليته جمع السلاح لصالح الشعب .. لصالح أمن الجماهير .. بل سرقه وأقلقه ..

---

(١) مجلة الهدف عدد ٤١٣ ص ٢٣ .

« إن تخصيص ستين بالمائة من الميزانية العامة للجيش وشراء السلاح في بلد يوجد فيه مائة وخمسون ألف قرية تفتقر إلى إسالة الماء وإلى الكهرباء والمرافق الصحية والمدارس التعليمية .. يُعدّ كارثة ليست فوقها كارثة »[1]

والآن في أثناء هذه الثورة الشعبية الاسلامية العملاقة ، تصرّ أميركا على تأخير ايران وتجويع الشعب بدعم الشاه المتواصل .. « إن واشنطن تبيع أكثر الأسلحة العسكرية تطوّراً للشاه مقابل النفط ، وهي الآن تفعل كل ما بوسعها لمساعدة الشاه في أزمته السياسية »[2] .

لكن الشعب الشجاع لا يهاب قوة سلاح وحشد جيش ، رغم أنّ جيش الشاه الحديث مكوّن من « نصف مليون رجل مزوّدين بأحدث الأسلحة ومدرّبين تدريباً راقياً »[3] .

وكمثال على مبلغ « التدريب الراقي » نذكر ما جاء عن انشاء فيلق من الخيّالة المحمولة جواً ، بتعاون أجنبي أميركي .. خيّالة مظليين مجهزّين بالطائرات العمودية الأميركية من أحدث طراز ..[4] فالشاه لا يكتفي بالمظليين فقط وإنما يحلم بمظليين يمتطون الجياد جواً ...

بهذه القوى المعدّة أو التي أريد لها أن تعدّ ، قابل الشاه شعبنا المسلم وبتلك الأسلحة سقط الكثير من أبطال إيران ونساء أمتنا الشريفات .. لقد وقف الشعب العظيم وقفة لا نظير لها في تاريخ الشعوب حتى عجز العدو من الداخل والخارج واعترف بتمام عجزه حينما قال الأجانب .

« نحن مستعدون لكل شيء إلاّ للإيرانيين المسلحين بالحصى والطوب »[4] .

---

(١) كتاب ـ إيران في ربع قرن ـ ص ٧٩ .

(٢) صحيفة نيويورك تايمز ـ عن مجلة الكفاح العربي عدد ٢٢ ـ ٧٠٥ ص ٧ .

(٣) صحيفة فرانس برس ـ صحيفة الوحدة عدد ١٦١١ ص ٥ .

(٤) صحيفة اللوموند ديبلوماتيك ـ صحيفة الانباء عدد ١٠٨٦ ص ٨ .

(٥) في تعليق للهيرالد تريبيون ـ صحيفة الرأي العام عدد ٥٤٥٢ ص ١٦ .

٢ ـ التجنيد الإجباري للعلماء الشباب :

صنع الشاه فرقاً خاصاً قامعة منسلخة عن البيئة ، منعزلة عن المجتمع وعواطفه وهذه الفرق هي التي دائماً تناط بها مهام القمع والتصفية بشوارع إيران .. وهؤلاء قد يصلون إلى حدّ عبادة الشاه .. فيما يقع جميع أفراد الجيش والقوات المسلحة تحت قاسم مشترك وهو الولاء للشاه بعد الله وكاد يكون قبل الله .

الجميع يستيقظون صباحاً ، كل عسكري مهما كانت رتبته يحضر لأداء القسم ، كل صباح يحشر الآلاف على سنّة الشاه يرتلون قسم الولاء ـ « لله وللشاه وللوطن » [١] .

وأراد الشاه ان يرغم أنوف الشباب من طلاّب الجامعات الاسلامية الذين يجلسون صباحاً ليرتّلوا القرآن ، ولاءً مطلقاً لله سبحانه وتعالىٰ ، فيما يكون الولاء المطلق للشاه « إن ضباط الجيش الكبار قد ترعرعوا علىٰ مبدأ الولاء الشخصي المطلق للشاه وللعرش » [٢] .

وسعى الشاه لإجبار العلماء الشباب علىٰ التجنيد. فأخذ يجرّهم جرّاً من المعاهد العلمية الإسلامية ليحشرهم داخل المعسكرات. أمّا العلماء فقد كان موقفهم الإسلامي الصارم ازاء هذه الاجراءات العدوانية لتأخير الشباب عن تعاطي العلم والتجنيد الاسلامي ، موقفاً لم يتجاوب معه النظام الحاكم ، فبقي قيد رعونته . فلما لم يحصل من قبل الشاه تعديل إزاء التعسّف الإستعماري هذا .. وجّه العلماء وعلى رأسهم الخميني القائد بياناتهم للطلبة وهم في المعسكرات ليلعبوا دور الوعظ والإرشاد بداخل الجيش وبين صفوفه .. فمن خطاب سماحة حجّة الإسلام والمسلمين روح الله الخميني ، بعد تدمير المدرسة الفيضيّة بقمّ .. وفي سنة ١٣٨٢ هـ . قوله :

---

(١) مجلة المجالس عدد ٤٠٣ ص ٢٣ .
(٢) مجلة الوطن العربي عدد ٨٠ ص ٤٠ .

« .. إننا لا نخاف تجنيد الطلاب الإجباري فليذهب شبابنا إلى الثكنات ، وليعملوا على تربية إخوانهم الجنود ورفع مستواهم الفكري .. ولتكن من الأحرار وأصحاب الضمائر الحيّة الواعية ، جماعة يدعون في صفوف الجيش إلى الإسلام والثورة على الطغاة والمستعمرين . » [١]

ومن بيان لسماحته بعثه من النجف الأشرف سنة ١٣٩٢ هجرية للحوزات العلمية ، جاء فيه .

« .. وإنّ أخذ العلماء وطلاب العلوم الدينية إلى التجنيد الإجباري بسبب استنكارهم لتصرفات السلطة الغاشمة وشجبهم لعمليات التعذيب والإعدام والابعاد والسجن والاعتقال التي تمارس ضد الأحرار ، ما هو إلاّ عمل انتقامي من قبل النظام العميل ضد الإسلام وأتباعه وجنوده . »

« وإنهم إنما يأخذونكم للتجنيد الإجباري ويعتدون على المدارس الدينية ويسجنون الناس وينفّذون ويعدمون لأدنى شبهة فلأجل إفساح المجال أمام الأجانب من غربيين وشرقيين وربيبتهم إسرائيل . » [٢] .

ثم إنه وقبل ختام بيانه هذا ، نادى :

« يا جنود الإسلام الغيارى الذين أخرجتم من معاهدكم إلى معسكرات التجنيد الإجباري ، أكملوا تدريباتكم العسكرية بكل شجاعة وإقدام ، لعلكم تقوموا بنفس الدّور الذي قام به موسى عليه السلام ، ما أن ترعرع في بلاط فرعون حتى قام بتوجيه ضربته إلى حكمهِ الجائر الظالم ، وعسى أن تأتيكم الظروف الملائمة للقيام بالثورة على هذه السلطة الجائرة . » [٣] .

---

(١) كتاب ـ دروس في الجهاد والرفض ـ ص ٤٦ .

(٢) نفس المصدر ص ١٥٨ .

(٣) نفس المصدر ـ ص ١٦١ وهكذا أصبح الجيش مطعماً بشباب علوم الاسلام وإن كان عددهم أقلّ من عدد المستعمرين الذين يطعمون الجيش ويرصّعونه بوجودهم وبأسلحتهم .

. وفعلاً تدرّبوا على استعمال السلاح ، وغيّروا من نظرة المتديّنين إزاء التجنيد وعطائه المتمثّل بحمل السلاح ضد الكفر والإنحراف ، بنية وبقصد الجهاد لا بنيّة الدفاع عن شخص الشاه العميل .. وعاشوا آلاماً مع آمالهم ، وكانوا يقاسون تعسّف النظام الأجنبي المطبق على الحياة العسكرية ، ولكن أملهم يدنو . سنة بعد سنة وشهراً بعد شهر . اضحوا هم يناوئون وبشدّة تطعيم الجيش بالمستعمرين

﴿ وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين . وليمحّص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين . ﴾ [١]

أجل كان يعدهم قائدهم الأعلى روح الله الخميني .. يعدهُم باقتراب ثورة وجولة لا بدّ منها ، ويدعوهم للإعداد لها ، يطلب منهم القيام بدور نبيّ الله الكليم موسى عليه السلام ، إذ عاش بقصر فرعون فكان ثورة عليه ، وهاهم طلاب العلم ينهضون وكل الشعب بعبء الثورة ، ولكن طال الأمد ، فبعد أن تحقق وعد الخميني القائد بثورة وجولة ، ينتظرون تحقق الوعد بالظفر والنصر المؤزر وهم رهن الآمال قيد التفاؤل وإن كان منهم من أحسّ بطول الطريق وبعد الزمن .

﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولمّا يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مسّتهم البأساء والضرّاء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه ، متى نصر الله ، ألا إن نصر الله قريب » [٢] .

٣ ـ طبيعة تعامل الشعب مع الجيش :

سلك الشعب مع أبنائهِ وإخوانه في القوات المسلحة الإيرانية ، سلوكاً جميلاً وجميلاً جداً .. فالقيادة الراشدة والقاعدة الواعية قد تعاملت مع أفراد السلك العسكري تعاملاً طيباً وتبادلت معه التفاهم بالكلام تارة وبالرموز تارة أخرى .

---

(١) القرآن الكريم ـ سورة آل عمران ٣ ـ آية ١٤٠ . ١٤١ .

(٢) القرآن الكريم ـ سورة البقرة ٢ ـ آية . ٢١٤ .

وبالعمل لصالح الشعب مرة ثالثة ، حيث الهروب ورفض إستجابة أوامر إطلاق النـار ...

ولا مراء في أنّ هناك من أطلق النار على الشعب رجالاً ونساءً ، لكن أغلب الذين فتحوا نيران رشاشاتهم هم من القوات الخاصة والكوماندوس المتخصص بعمليات القمع دونما وجدان ولا ضمير ..

ولعل أروع تعامل للقاعدة مع الجيش تلك الظاهرة الودّية التي شاعت متمثّلة بتوجيه الشباب والشابات نداءات للجيش المرابط وسط الشوارع كيلا يطلق النار ، كذلك رموا الجيش بالزهور وباقات من الورود تعبيراً عن ضرورة ديمومة السّلم والكفّ عن إراقة الدماء وتجنّب تحمل أوزار القتل .. فأحد التظاهرات الضخمة ، مرّت ورجالها يرشقون الجنود« بالورد ، بالأزهار والحلوى ، ثم تبادلوا معهم القبلات ، ولصقوا على العربات العسكرية صور الخميني .. »[1].

« وليس رمي الفرق العسكرية بالرياحين من قبل المتظاهرين إلاّ مظهراً تعتبره المؤسسة العسكرية عدائياً لا يجوز السكوت عنه ، تماماً كما لو كانت هذه الرياحين قنابل مولوتوف »[2].

وكان الجنود يستقبلون الورود ، فيما يندر منهم من يرفضها ، أو يقاوم ضميره فيسحقه ليحقق أوامر أسياده الأجلاف .. ولقد أريقت دماء كثيرة وقتل آلاف من أفراد الأمة الاسلامية في إيران ، ولولا أسلوب الودّ وطبيعة التعامل لأرتفع عدد القتلى أكثر وأكثر ، ربما إلى عشرات الآلاف أو مئة ألف خلال السنة المنصرمة هذه .

ولقد كان تعامل القاعدة بوحي من العلماء الأعلام ، هؤلاء الذين اختطّوا لهم أسلوباً لمكافحة الشراسة التي يتّصف بها أفراد الجيش ، ولمكافحة القساوة ،

---

(١) صحيفة السفير ـ ١٧٠٣ ص ١٠

(٢) مجلة ـ إلى الامام عدد ٦٤٨ ص ٢٥ .

ووضع الحدّ لها .. وعليه فلنذكر شيئاً عن معالم تعامل القيادة الثورية الاسلامية مع الجيش الإيراني ذي الألوية البهلوية .

« أصدرت رئاسة الطائفة الشيعية في مدينة قمّ بياناً موجهاً إلى الجيش الإيراني ذكرت فيه بأن الإسلام يمنع القوات المسلحة من إطلاق النار على المسلمين ، وبالتالي فإنّ قتل المسلمين الإيرانيين محرّم ... وقال البيان :

« إن أسلحتكم يجب أن تستخدم لمحاربة العدو وليس لقتل إخوانكم .. وليكن واضحاً أنّ هذه الحوادث (أي القتل والقمع) لن تمنع الشعب ورجال الدين من القيام بواجبهم المقدس » (١) .

لنقرأ رأي الخميني القائد ، حول انتماء الجيش ولمن ينتسب غالبية أفراده ولمن ينتمي معظم رجاله ، إنه يتحدث مجيباً على سؤال لموفد مجلة الهدف عن الجيش ..

« إن الأكثرية الساحقة من الجيش الإيراني تدين بالاسلام وتنتمي إلى ذات الأمة . إنها أيضاً تريد حرية الشعب واستقلال البلد . والحركة الإسلامية الثورية الحالية قد حركت كافة المجموعات وكافة قطاعات المجتمع والجيش ليس خارجه ، وهو لا يستطيع المقاومة طويلاً . وإننا نأمل بأن يستعيد الجيش وعيه .. وتحرير نفسه من سيطرة الأجانب ، والانخراط في نضال الشعب ، وهناك معلومات وافية تؤيد أملنا هذا » (٢) .

فثمة استياء عسكري من حكم الشاه ونفوذ الأجانب حتى على الجيش نفسه ، والإمام الخميني يدرك ذلك ، ولولا علمه لما بشرهم بالتخلص والتحرير ، فلو كان الجيش راغباً بوجود الشاه والأجانب ، لو كانوا يحبّون سطوة الأميركان وسلطتهم ، لما كلمهم بما يحبون ، لقد كلمهم بما يحبون وبشرهم بما يرغبون

---

(١) صحيفة النهار ـ عدد ١٣٧٤٠ ص ١ .

(٢) مجلة الهدف ـ عدد ٤١٧ ص ٦٠ من مقابلة مع سماحته ..

وما يهدفون حينما قال في نداءاته للشعب . وخصّ منهم الجيش فقال لهم .

« سنحرركم من قبضة المستشارين العسكريين وسنستقبلكم بحفاوة بالغة . وأضاف سماحته : إنه يتعين على صغار الضباط أن يرفضوا الاشتباك مع أشقائهم وإخوتهم الإيرانيين » [1] .

« لا بل إن الإمام الخميني نفسه يبدي اعتقاداً ثابتاً بأن الضباط الشباب (هم) غير الضباط العجائز الذين اتخموا من كفّ الشاه والأميركيين ، وباتوا يعتبرونه وليّ نعمتهم » [2] ..

ولقد هرب بعض الجنود والضباط ، وتمرّد آخرون ، فيما استعدّ غيرهم لذلك ولما هو أخطر منه ، بينما لجأ بعضهم ليلتقي ببعض العلماء فيسألهم ...

يقول تشارلز دوغلاس ، وزير خارجية بريطانيا سابقاً ، بصدد دور القيادة الدينية المعارضة التي صرحت بأن « العديد من ضباط الجيش قد لجأوا إلى استشارتها في ما يفعلون في هذه المحنة . وهم يبدون موزعين بين إطاعة الأوامر بأطلاق النار على المتظاهرين ، أو إذا كان عليهم أن يهجروا الجيش ويتمرّدوا على القيادة » [3] ..

« ويبدو أن القادة الشيعيين واثقون من أن عملهم داخل الجيش سيؤتي ثماره على المدى البعيد لأن معظم الجنود ينتمون إلى الجماهير الشيعية الغاضبة » . وجاء عن مراسل « كوتا » في باريس . « إن الزعامة الشيعية تتابع مسعاها في هذا الإتجاه بعد أن أثبتت الأحداث أن الجيش يشكل أقوى أعمدة النظام الامبراطوري » [4] .

رغم قوة هذه الأعمدة فقد ثبت أن الشعب لا يرهبه أي صمود مهما كان

---

(١) صحيفة اللواء ـ ص ١٢ عدد ١٤ كانون أول ١٩٧٨

(٢) مجلة الكفاح العربي ـ ٢٧ ـ ص ٨ .

(٣) التايمز ـ صحيفة السياسة عدد ٣٧٤٨ ص ١٦ .

(٤) صحيفة الانباء ـ عدد ١٠٦٨ ص ١٩ .

قوياً ، ولا تخيفه أيّ قوة مهما كانت تمثل من عماد وأساس ، وقائدهم يشجعهم شاحذاً من هممهم مصعداً من نشاطهم بما يبعثه إليهم من نداءات متكرّرة .. فمن إحدى رسالاته لشبابه وشعبه .

« واستطرد آية الله (الخميني) قائلاً : ولقد أظهرتم أن الدبابات والصواريخ لا تستطيع أن تفعل شيئاًتجاه إرادة الشعب ، وأذكّركم بألاّ تخافوا من العسكريين » [1] .

وهذا ما يدلّ على عمق نظرته وبعدها كقائد نفذ بصره ليسبر أغوار الثكنات العسكرية ، ونفذت بصيرته قلوب شباب جيش شعبه ، وجمع معلوماته ، ليخلص من كل ما جاء عنهم وفهمه منهم ، أنهم من الشعب وإليه وإن طال التعسف والطغيان أشهراً أو أسابيع ـ فرابط أيها الشعب ولا تحزن ولا تيأس ولا تخشى الجيوش ..

﴿ **يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلّكم تفلحون** ﴾[2] ..
﴿ **ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين** ﴾[3] .

٤ ـ الجيش يتململ ويصاب بالملل :

واصل الشعب مسيرته الطويلة القاسية ، لكنه لم يتعب قط ، واصل على خط المواجهة وطريق المجابهة ، واصل وكلّه آمال بدنوّ النصر ، وكان هذا الشعب مشحوناً بطاقات غامضة مجهولة ، كأنه ولد مفطوراً على هذا العنفوان ، فلم يخش ولم يخف ، يتصدى ، يسير ، يواصل ، يتحدى ، يمضي ، يتمرّد لا يهدأ إلا بالحرية لواءً خفّاقاً يرفرف بدلاً عن رايات العدى ، وفيما بقيت الجماهير محتفظة بمخزون طاقاتها ، كان نظام الحكم قد استنفد ما لديه ، ولم يملك شيئاً،

---

(١) صحيفة تشرين السورية عدد ٩٥٦ ص ١٠ .
(٢) القرآن الكريم ـ سورة آل عمران ٣ ـ آية ٢٠٠ .
(٣) القرآن الكريم ـ سورة آل عمران ٣ ـ آية ١٣٩ .

حتى قوى الدولِ الكبرى تعبت وليس النظام البهلوي فحسب ، فكيف لا يتعب الجيش ويكلّ من الوقوف بلا معنى وسط الشوارع ، بلا فائدة بلا مبرر ، الا لقتل الشعب وقمع الجمهور البطل ، هذا الجمهور المدهش الذي أربك القوات المسلحة ؟..

« ... تحدّى المصلّون أوامر الحكومة ، وراحوا يخرجون من المساجد جماعات جماعات ، ومعظمهم متلفع بالأكفان البيضاء ، وكانت هذه الجماعات في جرأة بالغة في مواجهة الدبابات ولوريات الجنود وهي تهتف « الله أكبر » .

« وكان الجنود يردّون أحياناً بإطلاق الرصاص في الهواء ، وأحياناً في « المليان » ، وفي أحيان كثيرة كان الجنود يتردّدون في قتل المتظاهرين . كانت أصابعهم تتجمد على الزّناد عندما يشاهدون الأمواج البشرية المتلاطمة أمامهم ، وهي متلفعة بالأكفان . وتردّد بصوت خاشع « الله أكبر » ويتردّد الصدى عميقاً في البازار (الأسواق القديمة) . » [1] .

ويصف المراقبون تلك المعنويات « المنهارة للجيش ، والتي عكست نفسها في مشاهد نقلها المراسلون الغربيون عن وقوف رجال الجيش والأمن مكتوفي الأيدي عندما كان المتظاهرون يشعلون النيران في البنوك ودور السينما والأبنية الحكومية ... هذا إضافة إلى تخوّفٍ بدأ ينمو من احتمال انشقاق القوات المسلحة » [2] .

ولكي نعزز حقيقة أن الشعب شجاع وشديد العزم ، وأنه لم يتقهقر وإنما صمَّم على قهر أعدائه من الدول الكبرى ، والنظام الحاكم وجميع مؤسساته ، لا سيما إتعاب الجيش وإرهاقه وإنهاكه ، لكي نعزز ذلك نترك الحديث لغيرنا ، فهذه الصحف والمجلات تكشف دون لبس ما نحن بصدده .

---

(١) مجلة الوطن العربي ـ عدد ٩٤ ص ٣٨ .

(٢) مجلة الهدف ـ عدد ٤١٢ ص ٣٦ .

« يقول المراقبون في طهران إن الحكومة العسكرية ، وقادة القوات المسلحة ، لمسوا في غضون الأيام القليلة الماضية (أيام محرّم ، عاشوراء) تذمّراً واسعاً بين صفوف الجنود إزاء الأوامر التي يتلقونها بإطلاق النار على الشعب ، فهناك حدود للتحمّل النفسي مهما كانت التعبئة المعنوية التي تلقاها هؤلاء العسكريون »[١] .

وعليه فالجيش وفقاً لا نتمائه ولانتسابه ، لا وفقاً لمؤسساته ، سوف يتحرك تحركاً حاسماً قد يقرر المصير ، وإنه أشدّ ميلاً لا نتمائه من ولائه للشاه .

« ليس مضمون الولاء بكليته للشاه ، فهو يشهد تململاً داخلياً صامتاً ينتظر اللحظة المناسبة للتعبير عن ذاته . يعبر عن ذلك تصريحات آية الله شريعة مداري .. الذي وصف شدة تأثر بعض كبار الضباط إلى حدٍّ جعلهم « يذرفون الدموع أمامه » . فضلاً عن تصريحات بعض صغار الضباط أمام المراسلين الصحفيين الأجانب المعبرة عن نقمتهم على سلوك النظام ، فقد صرح أحد الضباط التابعين لسلاح البحرية أمام مراسل مجلة « نوفيل أوبسرفاتير » الفرنسية معبراً عن التململ الحاصل داخل الجيش بقوله :

« إنّ الأكثرية الغالبة منا تقف إلى جانب الخميني ، ولكن ماذا نستطيع أن نفعل الآن ؟ إنّ أولئك الذين يعبرون عن تمردهم يتعرضون للإعدام فوراً . إننا مراقبون جميعاً من قبل بوليس فعال جداً . لكن هذا الوضع لن يطول كثيراً ... وذات يوم سينفجر كل شيء »[٢]

هذا وإن هناك مساعٍ حثيثة للإتصال المباشر بالقيادة العسكرية وصولاً إلى فهم كافٍ لموقف الجيش ، وتقصيراً لمسافة الطريق واختصاراً للوقت ... ففي كلام للمجاهد الكبير مهدي بازركان كشف النقاب فيه عن قيام اتصالات سرية مع قيادة الجيش بواسطته هو ، فأعلن « أن الجيش على استعداد للإنضمام إلى الشعب »[٣] .

---

(١) مجلة الوطن العربي ـ عدد ٩٦ ص ٣٨ .
(٢) مجلة الكفاح العربي ـ عدد ٢٤ ـ ٧ ـ ٧ ص ٤٣ .
(٣) صحيفة السفير عدد ١٧١١ ص ١٠ .

والحق أن الجيش لا ثقة للشاه به ، كما لم تعد له شعبية ما ، والشاه لا يأمن الرصاص الذي يأمر بإطلاقه على الشعب أن يصوب إلى « جلالته » .

« وقد ظهرت « شعبية » هذا الجيش مؤخراً على حقيقتها بمناسبة عيد تأسيسه السابع والخمسين ، في ١٧ تشرين الثاني ، نوفمبر الحالي ، حيث أقام عرضاً عسكرياً في طهران ، عرضت فيه أحدث الأسلحة الأميركية بما في ذلك الطائرات لكن الأرصفة كانت شبه خالية ما عدا بعض « المصفقين » الذين استحضرتهم المخابرات من أجل هذه الغاية ، أما الشاه فقد قبع في قصره وغاب عن العرض العسكري » . [١]

٥ ـ مؤشرات الوعي العسكري :

بدأ العسكري يسحق « الشرف العسكري » الذي يسخر منه ، بدأ يتحول من عسكري إلى مواطن ، من ولاء للشاه الطاغوت والعرش الممقوت إلى ولاء لله والاسلام ، يتحول إلى انتمائه النظيف إلى فخر الانتماء الديني حيث الاسلام كدين كنظام ... أعداد كبيرة تتجاوز الخوف من الإعدام لتقولها صريحة بأن الولاء ليس للشاه ... كما كان بعد الله وقبل الوطن ، « يبدو أن صغار الضباط العسكريين استيقظوا على التناقض الهائل بين ولائهم لله وبين ولائهم للشاه ، ولذلك هم في طريق إختيار الولاء لله ثم الوطن » [٢] .

ولهذا أعلنوا الولاء لآية الله ، إنه سر تأييدهم للإمام روح الله ، وإنه يفسرّ تحدياتهم من أجل الله ورفع وليّ الله سيدنا الخميني القائد ، وهكذا انتمى الجميع لقضية حجة الله الخميني وانضووا تحت ألويته الخضراء وراياتهِ وأهدافه التحررية البيضاء ...

ونتيجة لقلق الأعداء ، أجرى الكونغرس الأميركي دراسات في الأوضاع

---

(١) مجلة الكفاح العربي ـ عدد ٢٤ ـ ص ٤٣ .

(٢) مجلة المجالس ـ عدد ٤٠٣ ص ٢٣ .

العامة ، فأصدر تقريراً عنه بواشنطن ، ومما جاء فيه حول الجيش خصوصاً .

« أضافت الدراسات أنّ معدّل الذين يفرّون من الجيش قد ارتفع بنسبة ملحوظة .. حتى بين أولئك الصفوة من الضباط والجنود الذين يحرسون البلاط الشاهنشاهي »[1] .

هؤلاء« الصفوة » المفترض بها شدة الولاء « لصاحب الجلالة » بحكم ما أغدقه عليهم ، وما كبّلهم به من معاملات وأخلاقيات محض مادية لضمان تمام ولائهم .. وهم يعدون عشرة آلاف مسلح .. « فرقة الخالدين » .

أما ظاهرة رفع العسكريين لصور آية الخميني فقد أضحت مألوفة ، وبدأت قبل رحيل الشاه وطرده . « كان الجنود الإيرانيون قبل شهر يعلقون صور الشاه ، إلاّ أنهم صاروا اليوم وحتى قبل مغادرة الشاه إيران يحملون صور الخميني ، بعد أن أيدوا الملك تأييداً متواصلاً »[2] .

هذا وقد شهدت شوارع طهران عدداً كبيراً من الجنود الذين وقفوا دون أن يطلقوا النار رغم تكرار الأوامر الصادرة إليهم وإلحاحها عليهم .. بل شهدت الشوارع ، وشهد الشعب عملية تخلٍّ عن الأسلحة الثقيلة ، وهذا ما شهدت به الصحافة ..

« ورفض الجنود في أحيان كثيرة إطلاق الرصاص ، وسلموا أسلحتهم وحتى مصفحاتهم ودباباتهم إلى الأهلين »[3] .

فيما يهرب من السلاح البري ، ويعتصم مضرباً عن الطعام جمع من رجال السلاح الجوي ، نرى غيرهم من السلاح البحري يخططون للهرب لتفكيك الجيش وتحطيم الشاه ، أحدهم يتكلم لصحفي أجنبي .

---

(١) صحيفة الرأي العام ـ عدد ٥٤٦١ ص ١٩ عن تقرير أصدره الكونغرس .

(٢) اللوموند ـ ترجمة صحيفة الانباء ـ عدد ١٠٩٩ ص ٩ .

(٣) مجلة الوطن العربي ـ عدد ٩٩ ص ٣٨ .

« يقول طالب من مدرسة ضباط البحرية : لقد غادرت أنا وأربعون من زملائي قاعدة بندر بهلوي ، وزوّرنا أوراق الخروجية ، إنني أختفي الآن عند بعض الأصدقاء في طهران وقد بقي عندي شيء واحد وهو مسدسي ، وتأكد أنني سأعرف كيف أستعمله ..! » .

« يؤكد ضابطان من المدنيين الذين قابلتهم أثناء المظاهرات ، أنهما غادرا قاعدتهما في أصفهان مع خمسين ضابطاً آخر »[1] .

هذا وإن القيادة الإسلامية تراقب الوضع العسكري جيداً ، ويخبرون عن متغيرات الأمور وتطورات الأحداث ، فقد أوردت وكالة « الاسوشيتدبرس » عن المجاهد الدكتور ابراهيم يزدي : أنّ عمليات اعتقال واسعة جرت للعسكريين في قاعدتين جويتين هما قاعدة بهدائي في « دزفول » وقاعدة شهروص في «همدان»[2] فيما بلغ عدد المعارضين للشاه والمطالبين بحكومة إسلامية ٢٨٠٠ عسكري يتزايدون باستمرار منقطع النظير ..

والحال أنّ الاعتقات الموسعة مهما كانت ومهما بلغت فإنها لا تجدي الشاه نفعاً ولا تجدي أيّ حكومة جديدة في ظلهِ أدنى جدوى فالجنود داخل الثكنات يقولون مثلاً ..

« إننا نجتمع مجموعات صغيرة للاستماع إلى خطب الخميني ويرى الكثيرون منا أنه على حق ، لكن لا يجرؤ إلاّ القليل على مغادرة الجيش »[3] وأخذ القليل يصبح كثيراً فتجرّأ المئات والآلاف على تحديّ القوانين والتمرّد على التعسف البهلوي .. وما برح الجيش بجميع رتبه وفصائله ، براً وجواً وبحراً ، يسعون للتحرير وفق منطلقات الإسلام بإشراف العلماء الأعلام ، لا سيما الخميني القائد ـ مدّ الله ظلّه الوارف ـ .

---

(١) لونوفيل ـ ترجمة صحيفة الانباء عدد ص ٩ .
(٢) صحيفة الانباء عدد ١٠٩٩ ص ١٩ وصحيفة السفير عدد ١٧٠٨ ص ١٢ .
(٣) صحيفة الانباء ـ عدد ص ٩ .

﴿ وما كان قولهم إلاّ أن قالوا : ربنا أغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبّت أقدامنا وأنصرنا على القوم الكافرين ﴾(١)

٦ ـ عمليات اغتيال عسكرية :

بنفس الوقت كانت هناك محاولات ثورية متفرقة وبعدّة ثكنات تستهدف التخلص من بعض الضباط الموالين للشاه عن طريق رميهم بالرصاص ، وقد تبرّع عدد من الجنود الأبطال لهذه المهام الخطرة ، بينما توجد استعدادات حكومية لقتل كل عسكري ينوي التظاهر ضد الشاه ، وليس فقط ينوي قتل الموالين للشاه .. فقد وردت أنباء عن محاولة طلاب الكلية الحربية للخروج بتظاهرة تأييد للثورة الإسلامية وتنديد بالحكم الشاهنشاهي ، فتصدّى لها عشّاق الشاه مما أسفر عن مقتل عشرين طالباً(٢) من تلك الكلية .

في حين أوردت الصحف أنباءً بطولية لبعض الجنود ، منها ما لم تعلنه الإذاعة والمصادر الرسمية ، ومنها ما صرحت به . « وقالت مصادر رسمية إيرانية أن جندياً ثائراً أطلق ست رصاصات على حاكم مقاطعة همدان في شمال غرب إيران وأصابه بجروح خطيرة » . « ولكن أوساط المعارضة قالت : أن الجندي قَتل أيضاً رئيس الشرطة ورئيس الحكومة الإدارية »(٣) . فضلاً عن ذلك سجلت نفس الصحيفة « أن جندياً قتل ضابطه بعد أن أمره بإطلاق النار على المتظاهرين » .
وفي مدينة مشهد المقدسة رفض عدد من الجنود إطاعة أوامر ضرب المتظاهرين وتركوا مواقعهم جميعاً .

وبينما استعرضت فرقة « الخالدين » العسكرية الملكية أمام الصحفيين وهي تهتف بحياة الشاه داخل ثكنة عسكرية قرب طهران ، إعتزل أحد الضباط ببعض الصحفيين ليصرّح لهم أمام مطعم خاص بالضباط ، أنه قام جنديان من

(١) القرآن الكريم ـ سورة آل عمران ٣ ـ آية ١٤٧ .
(٢) صحيفة السفير ـ عدد ١٧٠٣ ص ١٠ .
(٣) صحيفة السفير ـ عدد ١٦٧٠ ص ١٠ .

هذه الفرقة بقتل عشرة ضباط موالين للشاه ، وهما يصيحان « الله أكبر »[1] وقيل أنهما بعد أداء مهمتهما بنجاح أطلقا على أنفسهما الرصاص .

وجاء عن شاب عسكري برتبة جندي عمره ٢٠ سنة يدعى « حبيب بور » أنهى فترة إجازته مع أهله وذويه ، وخرج مودعاً إيّاهم مؤكداً لهم « أنهم لن يشاهدوه مرة أخرى » تصميماً منه وبرفقة ثلاثة من الجنود البواسل على قتل من يوالي الشاه ويعادي الثورة الإسلامية .

دخلوا ثكنتهم العسكرية المسماة بثكنة « لا فيزان » شمال طهران ونفذوا حكم الإعدام رمياً برصاص أسلحتهم بحفنة من ضباط الولاء الأعمى للشاه والعرش ، على أثر ذلك أكدت مصادر دبلوماسية ومصادر المعارضة ، « أن لديها دليلاً على أن تسعة ضباط ، على الأقل ، قتلوا هناك »[2] .

هذا وإن هناك مشاريع ثورية نفذت بإطلاق عيارات نارية وذلك حينما يظفر الثائر العسكري بعد أن يتربص لفريسته قرب المطاعم غالباً حيث يتسنى له الظفر بعد إيصاد أبواب المطعم .. وطالما يستشهد الثوار ونادراً ما ينجون ، وقد استشهد البطل حبيب وأخوته .

تلك أمثلة ليس إلاّ ، فثمة عمليات فدائية أقيمت ولكن أخبارها تخفى ولا تعلن ، والواقع أنّ هذا المثال ـ خبر حبيب وأخوته ـ كاد أن ينطمس ، إذ لم تصرح مصادر الحكومة « بما حدث في لافيزان » .

وأخذ الشعب يرتاد المقبرة التي دفن بها حبيب ونظراؤه ممن نذروا أنفسهم لقضيتهم العادلة ، بتطوعهم للتفاني من أجل دينهم الإسلامي الحنيف .. والحق أن هذه الأمثلة المليئة بالمعاني والمعنويات إنما نرجوها دروساً لنا ولجندنا في ثكناتهم العسكرية .. وما النصر إلاّ من عند الله العزيز .

---

(١) صحيفة السفير ـ عدد ١٧١١ ص ١٠ .
(٢) صحيفة اللواء ـ عدد ٢٨٤٠ ص ١٢ ومجلة ـ إلى الامام ـ عدد ٦٤٦ ص / ٤١ .

﴿ فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم ﴾ [1] .

٧ – التمرد العسكري ..ومؤشرات ثورة الثكنات :

واتسعت رقعة التمرد متمثلة بالعصيان والإضراب عن الطعام ، والتخلف عن اللحاق بالجيش بعد الإجازة ، فضلاً عن الهرب عمداً ، وزاد الأمر سوءاً على عهد حكومة بختيار ، فقد أكد قائد القوات المسلحة الإيرانية .. « أن هناك اضراباً عن الطعام في « إحدى الثكنات » وعزا ذلك لأسباب داخلية في الجيش » [2] وهم يحاولون قدر المستطاع إضفاء شيء من البساطة وعدم الأهمية تجنباً لبيان الحقائق كيلا تستأثر بالاهتمام ..

ونشرت إحدى الصحف الإيرانية ما وصلها من معلومات تضمنتها رسالة بعث بها « منتسبوا قاعدة مطار مهراباد الجوية » أعلنوا من باب التضامن والتلاحم « أن أفراد القوات الجوية قد أضربوا عن الطعام » [2] .

وليس من شك في أن الاضراب عن الطعام يلجأ إليه السجناء . فلماذا لجأ إليه هؤلاء الرجال ؟ لا مراء في كونهم يعيشون نظام السجون . فهم بحكم السجناء لأنهم مطوقون لا يتمكن بعضهم من التحرك بشكل أو بآخر . وللتأكيد إقرأ النص أدناه .

« إنّ قاعدة شاه ريخي الجوية في مدينة همدان محاصرة من قبل قوات الأمن ويمنع مرور أي شخص بالقرب منها ، وإن بعض الطائرات والأجهزة المهمة قد نقلت إلى فلسطين المحتلة » [3] أي إلى اسرائيل والصهاينة .

إذن فهم سجناء أو فرضت عليهم الإقامة الجبرية داخل ثكناتهم . فاضطروا

---

(١) القرآن الكريم ـ سورة التوبة ٩ ـ آية ١٢ .
(٢) صحيفة الوطن ـ عدد ١٥٧٨ ص ١٣ .
(٣-٤) صحيفة الرأي العام عدد ٥٤٦٧ ص ١٩ عن الصحيفة الايرانية (ايان راجان) .

لا ستعمال الإضراب عن الطعام تعبيراً عن سخطهم ورفضهم ثم تأييدهم لثورة الاسلام .

هذا الجيش لذلك النظام المتغطرس الجبار الطاغي ، هذا الجيش الذي جثم عليه كابوس أميركا سنين طويلة ينهض هكذا نهضة ويمارس ممارسات ثورية على مستوى ملحوظ ..

« أكد شهود عيان أن آلاف الجنود تمردوا على أوامر قادتهم وانضموا إلى الآف المتظاهرين في مدينة تبريز الواقعة شمال غربي البلاد » .

« ووصفت مصادر مطلعة في طهران هذا الحادث بأنه الأول من نوعه خلال أشهر من الإضطرابات السياسية في إيران » وثمة أنباء أخرى جاءت لتؤكد « أنّ المتظاهرين استولوا على العديد من الشاحنات العسكرية ، وقال مسؤول عسكري إيراني كبير ، أن وحدة تابعة للجيش الإيراني كانت مكلفة بحراسة الطريق التي كانت تسير فيه تظاهرة شعبية كبيرة في تبريز ، استدعيت إلى ثكناتها للتحقيق بعد أن رفض الجنود إطاعة أوامر ضباطهم » (١) .

كما قال أنّ وحدة عسكرية أخرى قد استدعيت « بعد دلائل على أن بعض الجنود تمردوا .. فيما صرح أحد أعضاء البرلمان الإيراني ، بإنضمام جنود كثيرين للشعب الثائر « مع آلياتهم وبينهم ١٢ دبابة » وأضاف بأن « صور الإمام الخميني المعارض الديني الرئيسي للشاه وصور الإمام كاظم شريعة مداري كبير الزعماء الدينيين في إيران كانت ملصقة على الدبابات » .

« تكررت مشاهد التآخي بين المدنيين والجنود . بل مصادر المعارضة أكدت أن العديد من المجنزرات كانت مغطاة بالمتظاهرين الذين يرفعون صور الإمام الخميني » (٢)

(١ ـ ٢) صحيفة اللواء ـ عدد ٢٨٤٠ ص ١٢

ثم « إن حوالي مائة عسكري » من القوة الجوية قد تظاهروا في مدينة شيراز وجابوا الشوارع . « كما أن خمسة آلاف عسكري في القاعدة الجوية في بوشهر شاركوا في تظاهرات أمس (الجمعة ٢٧ صفر) يوم أراد الإمام العودة ، تظاهروا في تظاهرات استمرت حتى الصباح » [١] فيما رفض مئات الجنود العودة لمعسكراتهم بعد انقضاء الاجازة وكان أول رقم لهم هو ١٨٩٤ جندياً وضابطاً كما أوردت وكالة اليونايتدبرس [٢] .

والحق أن الحكومة الإيرانية تحرص عادة على إخفاء الأرقام الصحيحة والتغطية على الأحداث المستجدة لا سيما داخل الجيش ، لاحظ النص ادناه :

« والتزمت الحكومة العسكرية في إيران الصمت إزاء الأنباء التي ردّدتها مصادر مطلعة في إيران ومفادها أن تمرداً قد وقع هذا الأسبوع (١٦ محرّم) بين جنود معسكر الحرس الملكي ، بالقرب من قصر نيافران الملكي . وأشارت هذه الأنباء إلى أن الجنود المتمرّدين فتحوا النيران على ضباط المعسكر مما أدّى إلى مقتل إثني عشر ضابطاً وإصابة عشرين آخرين .. » [٣] بل حاولت الحكومة أن تصرح رسمياً فرأت أن تزعم بأن جماعة من المدنيين ارتدوا ملابس الحرس العسكري وقاموا بذلك .

وأميركا تعرف هذا الجيش « أكثر من غيرها » لأنها شيدته على عينها ، وهي تعزه وتجلّه وتحبه .. فأين اليوم أميركا عنه أم ماذا تقول فيه ؟.

« والآن تتحدث تقارير الاستخبارات العسكرية الأميركية عن أن الجيش الإيراني نفسه قد تسمّم بأفكار الثورة ، ولوثته أزمة سحب الثقة الشعبية بالكامل من نظام الشاه » [٤] فنيت أميركا بأكبر صفقة خاسرة طوال حياتها . وفشل

---

(١) صحيفة الرأي العام ـ عدد ٥٤٦٧ ص ١٩ عن ـ ايان جان ـ الايرانية .
(٢) صحيفة القبس ـ عدد ٢٣٦٢ ص ٢٠ .
(٣) صحيفة الوحدة عدد ١٦٢١ ص ١٢ وصحيفة القبس العدد السابق .
(٤) مجلة الكفاح العربي ـ عدد ٢٧ ـ ٧١٠ ص ٧ .

الأميركان ... ذلك لأنهم **﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾**[1] .

٨ ـ خطورة الثوري العسكري :

تمتد حرارة الثورة طولاً وعرضاً لتشمل وتستوعب الكثير جداً من أفراد المؤسسة العسكرية بمختلف الرتب .. ويمكننا بيان تصاعد الروح الثورية والمعنوية العالية داخل الجيش بملاحظة التغيرات الهامة :

أولاً ـ حينما طرد الشعب الشاه وقذف به خارج حدود البلاد .

ثانياً ـ حينما بلغهم استعداد الخميني القائد للعودة إليهم ..

وثالثاً ـ حينما تصدت حكومة بختيار لمجيء الإمام وأغلقت المطار .

فهذه التطورات ، وهذه الأحداث السارة السعيدة المتضمنة لما هو مؤلم محزن، الأحداث التي تعني الإنتصار والظفر المتضمن لإخفاق مليء بالمرارة ، وهو المتمثل بمنع سرعة وصول الإمام الخميني .. هذه التغيرات والمراحل الثلاثة المتقاربة زماناً ، قد بلورت من الأوضاع وشحذت من همم الجيش ، حتى نكاد نصفهم بأنهم بلغوا نصاب الوعي الثوري المحرك الدافع ، والفعال الخطير .

فبصدد التغير الهام الأول ، حيث طرد الشاه فخرج مولياً هارباً منهزماً ، ليخرج الشعب إلى الشوارع مبتهجاً مسروراً مغتبطاً بما حققه فرحاً نشواناً فخوراً معتداً بنفسه واثقاً من أفراده وقيادته العليا .. وزاد الشعب سعادة حينما شاركه الكثير من الجنود وقد حملوا أيضاً صور للإمام الخميني . « ولوّحوا بها في الهواء . وكان بعض الجنود يضعون أزهار القرنفل على رشاشاتهم ومدافعهم » وهذا من أروع معالم قرب إحراز النصر بانحياز الجيش المتمرد الثائر .. لقد أخذ الجمهور يستعمل سيارات الحكومة العسكرية ، وهذا من أروع مؤشرات الإنسجام والتفاعل بين الجماهير والجيش .

---

(١) القرآن الكريم ـ سورة الأنفال ـ آية ٣٠ .

« ولوحظ أن عدداً من المتظاهرين كانوا يستقلون سيارات عسكرية ، ويطوفون بها في شوارع طهران .. مردّدين هتافات معادية للشاه ، ومؤيـدة للخميني » [1] .

فأضطر نظام بختيار المشبوه العميل لا تخاذ إجراءات سوف لن تغفر له نتائجها .. وصعّدت الثورة من نشاطها البطولي ، فقد أسهم ـ ٣٠٠ ـ رجل عسكري بألبستهم المدنية في المظاهرات ، وأعلنوا « أنهم أعضاء في سلاح الجو الإيراني في المسيرة المؤيدة للإمام الخميني » .. وأضافت المصادر قولها :

« وكانت هتافات تأييد لسلاح الجو المؤلف من ١٠٠،٠٠٠ رجل قد تردّدت في مظاهرات امس (٢٨ صفر) في وقت سرت فيه تكهنات بوقوع اضطرابات داخل هذا السلاح ، على الرغم من النفي الرسمي لذلك [2] .

« وقرأ بعض أتباع الإمام الخميني رسائل تأييد من مجموعات مختلفة في أنحاء إيران بما في ذلك بيان من ٤٠٠٠ جندي في أصفهان في وسط إيران » [3] .

وتبعاً للمخاوف التي تبعثها ثورة الثكنات العسكرية ، فقد أصرّ بختيار على موقفه الجبان من منع مقدم الإمام .. الأمر الذي إستفزّ الجيش ، وخصوصاً سلاح الجو ، فهم وكل الشعب يتطلعون إلى الغد الجديد ، وفجر الخميني التليد ، يتطلعون إلى شمس الإسلام الخالد .. وإذا بهم يصدمون بصدمة أقل ما توصف به أنها ذات مرارة ولوعة ..

وشوقاً لمجيء إرادة الاسلام وتنفيذ إرادة الشعب ومطاليبه ، فقد بادر عدّة طيارين في محاولة لنقل الإمام القائد من باريس ، فهددهم وصيّ الشاه وخليفته

---

(١) صحيفة الوطن عدد ـ ١٥٧١ ص ١٣ .

(٢) لم تكن هذه مجرّد تكهنات ، ولا اعتداد بالنفي الرسمي . لا سيما وقدتجلّت حقيقة هذا بعد الإنتصار الذي لعب في تعجيله سلاح الجو وعموم الجيش دوراً لا ينكر ، دعماً للشعب .

(٣) صحيفة اللواء ـ عدد ٢٨٧٨ ص ٤ .

بختيارِ وهدّد الموظفين العاملين بالخطوط الجوية كيلا يسهلوا إرسال طائرة لذلك الغرض .

« وإلا فإن أية طائرة ترسل إلى الإمام ستعتبر مخطوفة ، وعوضاً عن إطلاق النار عليها ، قرر رئيس الوزراء إغلاق المطار » وبقي مغلقاً .. كما صرحت مصادر حكومة بختيار ..

فيما أصرّ عدد من سلاح الجو بمحاولة مجازفة مهما كان ثمنها على أن يصل الخميني القائد .. لكنهم لم يتسرعوا فبعثوا له استعدادهم باستعمال القوة ثم طلبوا منه السماح والأذن ، هم وغيرهم من المدنيين ..

« إنّ عدة مجموعات من بينها وحدات موالية للمعارضة في الجيش استأذنت الخميني في إعادة فتح المطارات الإيرانية بالقوة .. إلاّ أنّ الإمام الخميني رفض الموافقة على مثل هذه المطالب » [١] .

وكان رفضه يستبطن حكمة لا ريب فيها .. وأخيراً فقد وصل الإمام الخميني سالماً ، فحمدنا الله وشكرناه على نعمته وآلائهِ ... وبقي في الجيش من عناصر القوة ما تستحوذ على مشاعر عمومه ، وتكبّل أيدي غالبيته ، ولكن ثورة الثكنات لم تقف عند حد ، فقد تصاعد خطرها ، كلما وجه الإمام الخميني نداءً للثوار العسكريين يشجعهم فيه .. ويبقى الأمر بيد الله تعالىٰ ورهن مساعي القيادة الرشيدة المحنكة ، فالجيش قطعة من الشعب لا تنفصل عنه [٢] .

ومهما تكن تكهنات البعض كالمغرضين وغيرهم .. فإن وقوع انقلاب عسكري ما ، لا يعني خفوت نار الثورة والثوار .. ولا يعني انقضاء عمر الثورة العملاقة ذات النفس الطويل الطموح .. لقد سئل الخميني القائد مرة « عن خطر

---

(١) صحيفة الرأي العام ـ عدد ٥٤٦٩ ص ١٩ .

(٢) ولذا فقد اضطرّت قيادة القوات المسلحة بالوقوف موقفاً حيساً أثناء الضربة الاسلامية القاضية التي صنعت النصر ..

وقوع انقلاب عسكري فقال إنّ حركته لا تخشى القوات المسلحة لأن إيران تحت الحكم العسكري منذ ٥٠ سنة »[1] جواب الحنكة والحكمة أصاب كبد الحقيقة .

يواصل القائد بحكمته تجنب الفوضى العسكرية ، وتنمية ثورة الثكنات العسكرية ، داعياً افراد القوات المسلحة إلى الإنابة واليقظة وإدراك مهامهم الحقة كيلا يتورطوا بجريان سيول الدماء ، ولكي يناضلوا ويكافحوا من أجل شعبهم وشبابهم ، ولا ينسوا أهليهم الذين عزلهم الشاه عنهم وصنع بينهم حاجزاً معنوياً ومادياً ...

﴿ ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها . واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً ﴾[2] .

---

(١) صحيفة الرأي العام السابقة .. ومما قاله سماحته « انّ الشعب الايراني سيقاوم الدكتاتورية إلى آخر نقطة دم ... » .

(٢) القرآن الكريم ـ سورة النساء ٤٠ ـ آية ٧٥ .

الفصل السابع

النشاط الثوري الايراني بعواصم العالم

« ... وأدعو الله عند مولى المتقين عليّ (ع) لجميع الذين اجبروا على مغادرة مغادرة وطنهم العزيز بسبب المصائب والقمع البوليسي وأطلب من الله التوفيق لجميع الذين يعملون للاسلام الذي يكفل نجاة البشرية من التخلف بجميع جوانبه .. « وأبشركم بالنصر ، أنتم وأخوانكم الذين يعيشون داخل الوطن ، تحت وطأة الحكم البوليسي وفي السجون وأقبية التعذيب والذين يعانون البؤس والحرمان والظلم » [١] .

من هم الذين يعيشون في عواصم ومدن الدول الإسلامية ، والأوروبية والغربية خصوصاً ؟ من هم الإيرانيون خارج حدود بلدهم الحبيب ؟

يقيم في الخارج آلاف الإيرانيين .. فمنهم الطلاب الذين يدرسون في الجامعات ومنهم العمال ومنهم الموظفون ، كما أن فيهم عدداً كبيراً من المنفيين الذين نفاهم نظام حكم البهلوية الشاهنشاهي ، فيما يقيم أيضاً من اختار العمل والنضال هناك من مواقع ثورية ضد النظام الرجعي الدكتاتوري ، وهم جميعاً يشكلون اتجاهاً اسلامياً رسالي النزعة ، واتجاهاً آخر وطني النزعة .. وتعد أقوى مواقعهم

---

(١) من رسالة الامام القائد ، للطلاب المسلمين بأوروبا ، والذين بعثوا إليه برسالة مواساة لاستشهاد نجله السيد مصطفى . فشكر لهم نبل مشاعرهم وراح يوجههم ويبشرهم ـ دروس في الجهاد والرفض ـ ص ٢٥٥ .

في كل من باريس ، برلين ، نيويورك وواشنطن ، بتلقيّ الدعم من داخل إيران، والجالية الإيرانية هناك .. كما أن عنصر النساء يسهم في نشاط رجال إيران المسلمة ..

فضلاً عن المجاهدين والمنفيين المقيمين داخل الدول الإسلامية ، بما فيها العربية ، حيث يجدون و يجتهدون على خطّ الإسلام حرباً ضد الكفر والفساد ، وعلى رأس المجاهدين المنفيين هؤلاء ، هو سماحة الإمام روح الله الموسوي الخميني سيد المنفيين الذي اتخذ من مدينة النجف الأشرف موقعاً أميناً حصيناً لتوجيه ضرباته القرآنية القوية المستهدفة تمام القضاء على السياسة العالمية الموجهة من الاستعمار العالمي .. أي ليس مجرد القضاء على سياسة الشاه وحكمه ، وإنما يشمل كل السياسات الدائرة في العجلة الامبريالية واللاإسلامية .

واليوم حيث نشهد عهد الثورة الجبارة ، فإننا نلمس لمس اليد كيف أن المنهج السياسي الإستعماري يعيش حالات من الضيق والضنك والاضطراب .. أما أملنا بإسقاط اعتبار تلك السياسة ، وذلك بعد النصر المظفّر ، وقيام حكومة الإسلام الحكيمة ، فهو أمل كبير يتزايد ويتسع طموحاً وتفاؤلاً ..

١ - الخميني يوجّه النشاط الثوري في الخارج

وإذ تتجه عينا الخميني الكبير وتتجه بصيرته ، ويميل بقلبه نحو شعبه داخل إيران ، فإنه لا ينسى شعبه المقيم خارج بلده العزيز ، بل إنّ هناك اتصالات مسؤولة وهامة يقوم بها الشباب الإسلامي بإمامهم القائد المقيم بالنجف الأشرف، تسهل على القائد سرعة الإتصال بهم والرد على مذكراتهم ورسائلهم . وهم إليه يتطلعون ..

لسنا في مكان وزمان التوسع بالبحث والحديث ، ونحن على عجل من من أمرنا ، نتوخى الايجاز وتقليل الحديث من قبلنا .. وعليه فنحن نكتفي بنقل بعضٍ من نصوص ردود جوابية بعثها الإمام إليهم .. لنطلع على مبلغ العناية ، ومدى الاتصال وشدة الأواصر ..

كتب سماحته للطلبة المقيمين بأميركا وكندا ، جواباً على مذكرة بعثوا بها إليه عام ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ .. وهذا نصّ ختام كتابه :

« ... أبذلوا مزيداً من الجهد في سبيل معرفة الاسلام .. وادرسوا تعاليم القرآن المقدسة جيداً وطبقوها .. وزيدوا من سعيكم واخلاصكم من أجل نشر الاسلام وأهدافه الكبرى ، وتعريف الأمم الأخرى بهما .. ومزيداً من الاهتمام بمسألة الدول الاسلامية والمسائل المتعلقة بها .. كونوا مهذبين ومدرّبين .. اتحدوا وتنظموا ورصّوا صفوفكم .. واسعوا لتكوين الانسان المضحي المتوافق معكم فكرياً .. ولا تغفلوا عن فضح مؤامرات نظام الجبابرة في إيران الذي هو معادٍ للاسلام والمسلمين .. أوصلوا أصوات الإخوة المسلمين المعذبين في إيران إلى كل أنحاء الدنيا ، ولتكن مشاعركم معهم .. إستنكروا كل ما يجري في إيران من ظلم وتعذيب وتقتيل وخيانات وانحرافات لعل ذلك ـ وبمعونة الله ـ يساهم في تحرير الأمة الإسلامية واستقلالها ، ورفع ظلم الأجهزة الدكتاتورية ربيبة الإستعمار عنها .. وفي إزالة الخطر المتوجه اليوم نحو الاسلام والمسلمين » .

« أبلغوا سلامي إلى الذين يبذلون الجهد من أجل الاسلام وفي سبيله » .

« والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » [١] .

٢٨ جمادي الثاني / ١٣٩٢

روح الله الموسوي الخميني

واشترك الطلبة المسلمون المقيمون بأوروبا وكندا وأميركا ، فكتبوا مذكرة سنة ١٣٩٣ هجرية ، أعربوا فيها عن قلقهم الناجم عن مساعي الشاه لتشويه الإسلام وعلمائه باستغلاله شرذمة من أشخاص لهم شكل العلماء وصورهم ومظهرهم ، أملاً منه بكسب الشعب بواسطتهم .. ولقد بعث إليهم سماحته بردٍّ

---

(١) كتاب ـ دروس في الجهاد والرفض .

يطمئنهم كيلا يخافوا ولا يحزنوا ، سيما إذا تحملوا مسؤوليتهم من مواقعهم هناك لكشف النقاب عن وجوه رجال الدين المزيفين ، علماء البلاط ، وممارسة بيانهم وفضحهم بكل مكان ، مع إيقاظ الأمة ورفعها إلى مستوى الوعي لتدرك وتميّز ، « أوجه الفرق بين الاسلام الذي أتى به رسول الله (ص) ، والاسلام المزيف الذي نادى به معاوية ونظائره من الحكام الجائرين الظالمين ، والسلطات العميلة للاستعمار .. ولا زالت تبث محطات الإذاعة والتلفزيون والدوائر الرسمية التي تمكنهم من تضليل الجماهير واستغلالها »[1]

« فعلينا قبل كل شيء ، أن نصفّي الحساب مع هؤلاء المتسترين بزي العلماء الذين يعدون اليوم من أخطر أعداء الاسلام والمسلمين »[2] .

وفي سنة ١٣٩٥ هـ السابع من حزيران ١٩٧٥ ، وفي أعقاب الاحتفال بذكرى شهداء الثورة لسنة ١٣٨٣ ـ ١٥ خرداد ـ والتي راح ضحيتها ١٥ ألف إيراني مسلم ، حيث تصدت قوة الشاه للاحتفال بذكرى الثورة ، وهاجمهم الشاه بسلطته الإرهابية القمعية .. فقتل وسجن وجرح .. ونفى فطغى وكانت عاقبة أمره خسرا ..

وجه الخميني القائد نداءً لشعبه الأبي الجريح ، تضمن النداء سلامه إلى أرواح الشهداء ، تحياته المباركة إلى السجناء ، كذلك لم ينس : « وسلامي على الشباب والجامعيين في خارج إيران الذين أعطوا غاية المجهود في خدمة قضية الاسلام ، وقضية أخوة لهم في الدين ، وفي كشف وفضح مخططات الإستعمار وأذنابه »[3] .

يوجه سلامه وتحياته القيادية حتى من خلال ما يكتبه لكل الشعب داخل إيران ، وليس فقط في رسائل خاصة بهم ، ويوجه توجيهاته أيضاً ففي الثامن

---

(١) الإمام الخميني ـ دروس في الجهاد والرفض ـ ص ١٧٦ .
(٢) دروس في الجهاد والرفض ـ ص ١٧٨ .
(٣) نفس الدروس ـ ص ١٩٩ .

من رمضان للعام المنصرم ١٣٩٨ هـ بعث ببيان للشعب ككل ، جاء فيه مثلاً « على المثقفين والطلبة الملتزمين والمخلصين خارج الوطن أن يكتبوا أكثر جرائم الشاه . هذا العنصر الخطر ، وينشروها في الداخل والخارج ، ويُعرِّفوا الشخصيات العالمية الحرة في جميع أنحاء العالم بالظلم الذي يقع على الشعب الإيراني » [١] .

قدّم توجيهاته الجهادية لاتحاد الطلبة المسلمين ، المقيمين بأوروبا ، وذلك في الخامس من ربيع الأول لعام ١٣٩٨ هـ ، وهو عام الثورة الجهادية المستمرة حتى شهرنا هذا وأسبوعنا هذا و يومنا هذا .. فابتدأ كلامه ..

« بسم الله الرحمن الرحيم ـ اتحاد الطلبة المسلمين المقيمين في أوروبا أيدهم الله تعالىٰ » ..

« لقد وصلتني رسالتكم الكريمة ، ومعها تقارير جلسة السنة الماضية وبرامج السنة القادمة [٢] ... الخ .. وللقارىء أن يستشف ـ من هذا النص ـ مبلغ الحرص ، ومدى العناية بالعمل والممارسات والأنشطة السابقة واللاحقة .

واحتوت رسالته القيمة على عدة توصيات بعدة نقاط جاء منها :

« يجب أن تكون هناك قواعد إسلامية في كل نقاط العالم تهتم بتعريف الإسلام ونشر حقائقه التحررية ، ويجب أن تكون ضمن تنظيم واحد ومنسجم تعمل من أجل العدالة وقطع أيدي الظالمين واللصوص الجبناء » [٣] .

وأوصاهم في أحد الفقرات والوصايا بالتحفظ والحذر من اللجان والاتحادات التي قد تسيء إلى الاتحاد الاسلامي التام .. وهكذا واصل الإمام القائد قيادته لقواعده الواعية الموزعة بعواصم الدول الأجنبية يقودها من موقعه المتواضع ببلده العراق ، من مدينة النجف الأشرف ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سُبُلَنا** ﴾ [٤] .

---

(١) دروس في الجهاد والرفض ـ ص ٣٦٦ .
(٢) نفس الدروس ـ ص ٢٦٨ ـ ولاحظ ما توجيه التقارير والبرامج الىٰ عمق تبادل المسؤوليات الرسالية .
(٣) نفس الدروس ـ ص ٢٧٢ .
(٤) القرآن الكريم ـ سورة العنكبوت ٣٠ ـ آية ٦٩ .

٢ـ شباب .. لكنهم أصحاب قضية

إنهم أهل فكر وذوو إرادة . إنهم أصحاب قضية ، ليسوا كمن يخرج من بلده مهاجراً إلى أوروبا قاتلاً عمره بتوافه الأمور وبحجة تعاطي العلم . يتعاطى الرذيلة ، فينحدر منسلخاً من قضيته وانتمائه . ذائباً متميعاً . لا وليسوا مجبرين جميعاً على البقاء خارج بلدهم . وانما بقاؤهم تفرضه عليهم طبيعة جهودهم ومناوراتهم الكفاحية المناوئة للحكم .. لقد شاء البعض إظهارهم بصورة صغيرة ضيقة الإطار . إذ يحلو لبعض الكتاب وخصوصاً الغربيين ، وبتبعية بعض كتاب العرب المقلدين ، أنصاف المثقفين ، يحلو لهم أن يؤكدوا وهماً لا يخفى سخفه وهو : أن ما أثار الشعب في الداخل والخارج هو التطور والتحديث والعصرنة . لاحظ نص ما أوردته « التايم » أدناه :

« وفي سبيل ثورته (أي الشاه) الصناعية . ومخططه الواسع لتحديث بلادهِ وتقدّمها ، أرسل الشاه عشرات الألوف من الإيرانيين إلى الخارج . فظلّوا هناك منفيين على مرارة ، وحقدوا على الشاه » [1] .

يا لها من عبقرية !!.. إذن أين التحليل والتفكير السياسي ؟ تدّعون أنكم أصحاب مدارك ووعي ودوائر معارف ، وموسوعات . أهذه هي كل أسرار الثورة العملاقة الجبارة ..؟ كنا ننتظر آراءً حصيفة فلمسناها مقالات سخيفة .. إنها افكار تحليلية غير خافية الأغراض والمقاصد .. وأغراضها أكثر خجلاً من نصوصها المفرطة في الغباوة .. والواقع أن هذه المبررات ليس لها مكان بين شعوبنا. وقبولها ورواجها عند من يجهلون تماماً روح الفرد المسلم وهم قراء « التايم » وغير التايم .. الذين يسلمون بكل ما تقوله صحفهم . كأنما هي ﴿ **في صحفٍ مكرمة ، مرفوعةٍ مطهرة ، بأيدي سفرة ، كرامٍ بررة ، قتل الانسان ما أكفره** ﴾ . سورة عبس ـ ٨ آية ١٣ ـ ١٧ .

---

(١) التايم ـ ترجمة صحيفة الرأي العام عدد ٥٤٥٢ ص ١٧ .

أجل إنهم أروع صورة مما ترسمها الريشة الأجنبية المغرضة الرامية لتقليل شأنهم وشأن نشاطهم وثورتهم ، واستصغار حجمهم ، وأدوارهم ذات الأصالة الرسالية ..

وعلى أية حال فإن الاتجاه الاسلامي الذي استقطب الشباب هناك وفرض على الاتجاه الوطني أن يتلاحم ويتضامن ، قاد المسيرات عن بعد أجساد من إيران وقرَّب قلوباً وأرواحاً منها .. كانت أجسادهم موزعة في كل العالم وقلوبهم مجتمعة بإيران الحبيبة ... ولهذا كانت المنظمات والفئات كل على حدة تجتهد بتجديد المسيرات منذ سنوات ، متحدة على هدفها الواحد .

« ومع الخلافات الموجودة بين هذه الفئات والمنظمات الطلابية أنفسهم ، إلاّ أنهم متحدون ومتفقون في التحرك ضد النظام ، ثم يتحدون فيما بينهم اتحاداً عظيماً عندما يصل الشاه إلى بلد أوروبي فيستقبلونه باللافتات المهينة ، وكل ما تتطلبه مظاهرات على هذا الغرار » .

« ولقد أعيت الشاه هذه المظاهرات الصاخبة التي تتكرر في كل رحلة من رحلاته إلى أوروبا ، كما أعيت الشرطة لعدم قدرتها على صدها أو التخفيف من حدّتها » وكانت قد « أفسدت على الشاه الحياة الهادئة الطبيعية عندما كان يحلّ في بلد أوروبي » (١) .

وبالمناسبة فإن هناك موقفاً تاريخياً هاماً لنشاط هؤلاء الثوار نرغب بنقله عن نفس المصدر السابق ..

« في سنة ١٩٦٧ عندما أراد الشاه أن يزور ألمانيا الغربية أرسل جهاز الأمن إلى ألمانيا بثلثمائة شخص بزيّ الطلبة ليكونوا في استقبال الشاه في مطار ميونيخ ، وليصدّوا المظاهرات الطلابية التي كان من المقرر أن تستقبل الشاه في المطار ،

---

(١) كتاب ـ ايران في ربع قرن ـ ص ١٥٠ .

وحصل اشتباك عنيف بين الطلبة الحقيقيين والطلبة المزيفين » .. « ومنذ ذلك الحين طلبت حكومة ألمانيا رسمياً من الشاه أن لا يزور ألمانيا ، وإذا أراد زيارتها فيجب أن تكون تحت شروط مسبقة حتى لا تتكرر مأساة مطار ميونيخ » [1] .

هم إذن أصحاب قضية ، هم إذن ليسوا كغالبية أبناء الشعوب الأخرى المقيمين هناك ، من حيث ثقافتهم وأخلاقياتهم ومواقفهم السياسية ونشاطاتهم ، ولو كانوا يمارسون الرذيلة جميعاً لصورهم الغرب بالتقدميين الذين لا يجاريهم أحد ، ولعظَّمتهم التايم وغيرها ..

هم إذن لا يعيشون الفراغ ، ولا يفرغون من الأفكار ، يبذل الكادر الإسلامي أقصى جهده لا لإيران فحسب ، بل للإسلام في ربوع أوروبا وأينما وجدوا .. إنهم يعملون كذلك كمنذرين ومبشرين ويدعون لحقوق الانسان والحرية .. حتى في أميركا .. « ويلاحظ أن نيويورك هي المقر الرئيسي للجنة الإيرانية للدفاع عن حقوق الإنسان ، وأنّ واشنطن ومعظم العواصم الغربية « باريس ، لندن ، وأستردام » هي التي شهدت أعنف التظاهرات والإحتجاجات ضد الشاه . » [2] منذ أن بدأت الثورة ولحد الآن .. المؤمنون الرساليون والوطنيون يتخذون تلك البلدان ميادين للجهاد والعمل بعد ما ضاقت بهم بلادهم الحبيبة نتيجة تعسف الشاه وخنقه للانفاس وكبته للحريات ، مشفوعاً بالقتل والاعدام ، بالتشويه الجسدي ، بالسجن الطويل الأبدي .. لقد اختاروا الدعو ة والعمل وحمل رسالتهم في بقاع الله الواسعة بدل التخلي عنها وخيانة الله .. ﴿ **أولئك الذين يدعون يبتغون إلىٰ ربهم الوسيلة أيهم أقرب ، ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، إنّ عذاب ربك كان محذوراً** ﴾ [3] .

٣ ـ النشاط الشجاع :

لربما نتمكن من تسجيل بعض الصور مما أتيح لنا الاحتفاظ به خلال مرورنا

---

(١) نفس المصدر ـ ص ١٦٤ .

(٢) مجلة الرسالة ـ الصادرة بالكويت ـ عدد ٨٠٥ ص ١٩ .

(٣) القرآن الكريم ـ سورة الاسراء ١٧ ـ آية ٥٧ .

السريع العجول ببعض الصحف والمجلات .. وعسانا نخدم قضايانا ولو بالشيء اليسير وإن افتقدنا الإحاطة التامة .. لقد أوردت إحدى المجلات هذا النبأ .

« فرضت عدة حكومات عربية حراسة خاصة ومشددة على السفارات الإيرانية في عواصمها ، بعد أن قالت طهران في مذكرة عاجلة أن معلوماتها الخاصة تفيد بأن سفاراتها ستتعرض لعمليات اعتداء وتخريب من قبل عناصر ايرانية معارضة مدعومة ببعض التنظيمات السرية المتطرفة » [١] .

كان هذا في فترة حكومة شريف إمامي في شهر رمضان الماضي .. وهذا يدلّ على مدى ما يملكه ثوار الخارج من طاقات وقدرات وإقدام على محاربة الشاه وأيّ حكومة يشكلها في ظله الأسود .. فنظام الشاهنشاهية يرى أنّ الثوار في الخارج يملكون الجدارة الكفيلة بالهجوم المنظم على أغلب السفارات في الدول الإسلامية بما فيها العربية ، والدول الأجنبية ..

في الأول من أكتوبر عام ١٩٧٧ ، نظم رجال الجهاد ، علماء وشباباً وفتيات ، إضراباً عن الطعام مع اعتصام بكنيسة « سانت ميري » بباريس .. كانوا أكثر من ٨٠ مناضلاً و ١١ مناضلة .. يستنكرون استمرار النظام في سياسة القمع والارهاب ...

وسبعة أيام إضراب عن الطعام ، مطالبين بما يلي :

ـ عودة الإمام الخميني من منفاه إلى ايران ـ اطلاق سراح السجناء لا سيما الشيخ منتظري ، السيد الطالقاني ، الدكتور ميتمي ، الدكتور سحابي ، المجاهد سيد مهدي هاشمي ..

ـ مع حلّ جهاز السافاك البوليسي التعسفي القذر ... كما أشار أحد المنشورات لهذه المطالب ..

---

(١) مجلة طلوطن العربي ـ عدد ٨٠ ص ١٧

ولقد اظهروا كفاءات نادرة ، بل لا نظير لها في جميع المجالات لا سيما الهجوم وتفجير التظاهرات وخلق مسيرات الاحتجاج العارمة ، ولعل كل مطلع يتذكر موقفهم حينما وصل الشاه إلى واشنطن لبحث أزمتهِ « الشخصية » مع كارتر وكانت الثورة تخطو خطوات البداية الرهيبة والتمهيد لتقرير المصير ... قابلوا الشاه « الضيف » « صاحب الجلالة » وجهاً لوجه بهتافات واحتجاجات، ولّدت فيه المرارة ، وأقضّت مضجع ليلته ، إذ هوجم حتى بالقنابل المسيلة للدموع ، فظهر في الصحف والمجلات ماسحاً دموعه .. وكان موقفاً مدهشاً .

« .. أُبشِّرُ بالنصر الشعب الذي سلب من الشاه وأسياده مجال التفكير ... أبشّر بالنصر الشعب الذي هزّ شبابه الأبطال البيت الأبيض على مرأىً من كارتر والشاه بمظاهراتهم الصاخبة في واشنطن » [1] .

أما وقد تصاعدت ألسنة نار الثورة فقاربت قصر المرمر الملكي ، فلا بد من رحيله من إيران .. فليُرحِّل أمه وعائلته تمهيداً لهزيمته ، فأخرجهم وحمّلهم أموالاً طائلة ، فذهبوا كاللصوص ، وعلى رأسهم أمه العجوز الشمطاء « تاج الملوك » بحفاوة لصوص محترفين لحراستها وحراسة ما سرقته ، ويحفّ العائلة حفنة من الجلاوزة وكلهم لصوص وسرّاق وقطّاع طرق . مادّيون مخضرمون **﴿لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطان من المسّ﴾** [2] .

وما إن استقرت العجوز الشمطاء في قصرٍ من القصور ذات الثمن الغالي المنهوب ، ومعها إحدى أخوات الشاه في أميركا .. وما إن استقرّ بها المقام مع حاشيتها وحراسها « وليس لهم قرار » حتى هجم عليهم ثوار إيران بعد تظاهرة عنيفة ولم يتركوا القصر إلاّ والنار تلتهمه اذ أضرموها به وأحرقوه ، في حين تمكن البوليس الأميركي من إنقاذ الأسرة العميلة وتم نقلها إلى مكان مجهول تحسباً لتكرار العملية الشديدة النشاط بجولة ثانية ناقمة حاسمة ..

---

(١) الإمام الخميني دروس في الجهاد والرفض ـ ص ٢٥٥ .

(٢) القرآن الكريم ـ سورة البقرة ٢ ـ آية ٢٧٥ .

وكانت شابة إيرانية باسم المتظاهرين قد صرحت للصحفيين بقولها :

« عليكم أن تدركوا أن هؤلاء المتظاهرين لديهم أقارب وأصدقاء قتلهم نظام الشاه ، وعندما نرى رجال الأمن (الأميركي) يحمون عائلة الشاه ، فإن ذلك يخلق لدينا ردّ فعل قويّ .. ولن نسمح لهم بأن يسرقوا الشعب الإيراني ، ثم يأتوا هنا ليعيشوا بأمن وسلام »[1] .

على أثر هذا النشاط الشجاع اضطرت حكومة واشنطن ، حكومة « الحضارة الحديثة » إلى توجيه إنذار للإيرانيين المقيمين هناك ، يهدّدهم بإخراجهم من أميركا ، وكأنه إجراء يستهدف الردّ على عمليات إجلاء الأميركان من بلاد إيران ، وكأنه محاولة تبادل الطرد والإجلاء كما تظن ، متناسيةً ما وقفته من مواقف عدائية ولحد الآن .. ولا نرى أنها تخرج الإيرانيين لأن حساباتها تميل لترجيح انتصار الثورة فيكون ذلك الطرد من كبريات ندمها وخسارة مصالحها، وإن كان النّدم لدعمها الشاه ما زال يؤرقها .

لم يكن شباب إيران المؤمن والوطني يخشى الجلاء والخروج ، فهو مستعدّ له بل استعدّ للفداء وضحّى فعلاً .. ففي فرانكفورت سقط الكثير منهم قتلى والأكثر منهم جرحى ، كما سجل بيان رسمي صادر بفرانكفورت « جاء فيه أنه أصيب أكثر من ١٨٠ من رجال الشرطة ، وحوالي ٢٠٠ من المتظاهرين ، حالة ٣٥ منهم خطرة ، عقب إصطدامات عنيفة وقعت بعد ظهر أمس (٢٧ ذي الحجة المنصرم) في فرانكفورت بين عشرة آلاف من المعارضين لنظام الشاه وقوات الأمن الألمانية الغربية »[2] .

ولم يكن هذا موقف الشرطة الأجنبية عموماً في هذه الأيام الثورية فقط ، فقد كانت كذلك منذ سنين عديدة حيث تقوم بمضايقتهم « وتطلب تسفيرهم

---

(١) صحيفة القبس ـ عدد ٢٣٨١ ص ١٥ .

(٢) صحيفة السفير ـ عدد ١٦٥٦ ص ١٠ .

إلى خارج الحدود ، إلاّ أن الإتحادات الطلابية والصحف الحرة تقف دون هذا الإجراء » * .

وأثناء هذه الثورة سبق أن وقف مع الشبيبة الاسلامية الايرانية ، فئات من الشبيبة المسيحية الألمانية الغربية ، وقد سجلوا صفحة بيضاء في تاريخ دعم وإسناد الشباب الإيراني المسلم ، حيث وقفوا ضد إخراج بعضهم وضد تسليمهم للنظام الحاكم ..

« صرّحت جماعة الطلاب الإنجيلية أمس (١٩ محرم) أن ثمانية من الطلاب الايرانيين الذين اشتبكوا مع الشرطة الشهر الماضي بفرانكفورت قد طردوا وأضاف البيان أنّ طرد الطلاب وإعادتهم مرّة أخرى إلى إيران إنما يعني السجن والتعذيب والإعدام » [١] .

« في شتو تغارت أصدرت جماعة الطلاب الإنجيلية ، ومجلس الطلاب الكاثوليكي بياناً مشتركاً يحتجون فيه على طرد الطلاب الإيرانيين من ألمانيا الغربية الذين شاركوا في إحدى المظاهرات العنيفة المناهضة للشاه » [٢] .

لم يفتر الشباب الشجاع ، إنه ما زال في عنفوان عمره وريعان شبابه وربيعه الزاهر ، ولم تكن الاجراءات البوليسية الأجنبية التعسفية التي لا معنى لها ، متخذة بالمانيا الغربية فحسب ففي الكثير من البلدان المحبة للشاه والمرتبطة معه بعواطف وغرام دام عدّة عقود من السنين تمارس وتتخذ هذه الاجراءات وما نذكره مجرّد أمثلة فقط ...

« في مدينة تالاهاي بولاية فلوريدا نشبت معركة بين الطلبة الإيرانيين الذين يدرسون في المدينة ورجال الشرطة ، وذلك عندما كان الطلبة يتظاهرون ويحاولون إحراق صور الشاه ، وقد تفرقت التظاهرة بعد أن اعتقلت الشرطة ستة من الطلبة . » [٣] .

---

* كتاب – ايران في ربع قرن – ص ١٥٠ – ١٥١ .

(١ – ٢ – ٣ –)صحيفة السفير – عدد ١٦٧٨ ص ١٠ .

﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا ﴾[1] .

﴿ ولينصرنّ الله من ينصره إنّ الله لقوي عزيز ﴾[2] .

وبتصعيد الثورة من الداخل بساحات إيران وميادينها ، إكتسب النشاط في الخارج حرارة ساخنة تجاوزت القوانين وتخطّت الحدود الروتينية فهوجمت السفارات من حيث كونها تابعة لنظام عميل ، وفتحت لتكون بيد النظام الجديد الجدير بصفة النظام حقاً - إذ أنّ كلمة نظام حينما نطلقها أحياناً انما نطلقها من باب المجاز وليس الحقيقة ، أيّ نظام كان ، عدا الإسلام الحاكم - .

في نيودلهي هجم الطلاب على السفارة ، فحطّموا صور الشاه والعائلة المالكة ، بعدما اقتحموا نطاق الشرطة المضروب لحماية السفارة ، أسفر الهجوم عن إضرام النار في صور الأسرة البهلوية الحاكمة ، وتعليق صور الخميني القائد .

اقتحم الطلبة المقيمون في بومباي أيضاً قنصلية بلادهم ، وسيطروا على المبنى الذي برزت عليه بعد لحظات لافتة عريضة كبيرة كتبوا عليها « سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية » .. وأعلنوا احتجاجهم الشديد اللهجة على حكومة بختيار اللاشرعية .. فيما أنضم إليهم خمسة دبلوماسيين إيرانيين هناك ..

أمّا السفارة الإيرانية بباريس فقد تم فتحها بعد هجوم فاحتلال كامل لها من قبل الطلبة الذين أنزلوا صور الشاه لتحل محلها صور القائد الكبير روح الله الخميني ، ثم أعلن الطلاب للصحافة أن عملهم هذا تعبير عن تصميم لإقامة حكم الاسلام وإرادته الحكيمة مع تحطيم الشاه وملكيته السقيمة ..

هذا وإن السفير الإيراني نفسه كان موافقاً على هذه العملية الثورية وقد بعث برسالة إلى السيد القائد معلناً فيها عن ولاءه للثورة . بينما صدر عن مقرّ السيد الخميني « أنّ لجنة تمثل الحركة الاسلامية تقوم بتسيير الشؤون اليومية للسفارة

(١ - ٢) القرآن الكريم - سورة الحج ٢٢ - أية ٣٨ - و ٤٠ .

بالتعاون مع أفراد السفارة حتى تقوم الحكومة الإسلامية في إيران وتعين سفيراً جديداً لها في باريس »[1] .

وفي حين كان الشاه معيّناً امرأة كسفيرة لإيران بالدانمرك ، بادرت هذه السفيرة لتعلن عن « تأييدها التام للإمام آية الله الخميني في نضاله ضد الدكتاتورية الشاهنشاهية والامبريالية العالمية في إيران » .

أعلنت ذلك أثناء مقابلة أجرتها معها صحيفة « برليفس ثيداند » الدانمركية .. « كما أعربت السفيرة عن معارضتها لحكومة بختيار ، وطالبت بحلها وإحلال حكومة تحظى بتأييد الشعب »[2]

أما في أميركا ، فإن الطلاب والجالية الإيرانية ، أعلنوا أنّ سفير الشاه بواشنطن لم يعد يمثلهم أو يمثل الشعب الايراني المسلم ، إنه عميل وليس بشرعي التمثيل .. وحينما لحق السفير بالشاه حيث المغرب العربي ، سعى الشباب لاحتلال السفارة ، بإسم حكم الاسلام ، بإشراف الإمام الخميني . ثم « أعلنت لجنة من الإيرانيين أنها ستشرف على نشاطات جميع الدبلوماسيين الإيرانيين .. بالنيابة عن الإمام آية الله الخميني »[3] . والذي يرأس هذه اللجنة ، الطبيب خليل زرابي ..

﴿ إن ينصركم الله فلا غالب لكم ﴾[4] ... ﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾[5] .

وقبل ختام فصلنا هذا .. نشير إلى ظاهرة طريفة ، فكبريات عواصم ومدن أوروبا والغرب تمثل ملجأ للملوك والأمراء والرؤساء المغضوب عليهم من قبل الله وشعوبهم ، والشاه يرغب بالاجتماع مع نظرائه ، لا سيما وأنه يعتزم الدخول

---

(١) صحيفة السفير عدد ١٧١١ ص ١٠ .
(٢) صحيفة الفجر الجديد ـ عدد ٢٠٠٥ ص ٣ .
(٣) صحيفة الوحدة ـ عدد ١٦٥٥ ص ٥ .
(٤) القرآن الكريم ـ سورة آل عمران ٣ ـ آية ١٦٠ .
(٥) القرآن الكريم ـ سورة الروم ٣٠ ـ آية ٤٧ .

في أحد كبار نوادي المطرودين والمسمّى بـ « نادي الملوك السابقين » [1] أيّ المخلوعين .. ومن هؤلاء « السابقين » الملك « ليكا » ابن الملك زوغ ملك ألبانيا السابق ..

نصبوه ملكاً بعد وفاة والده زوغ ، وأعلن كملك على ألبانيا في احتفال بفندق بريستول بباريس عام ١٩٦١ .. أما الآن فهو طريد ، يعيش بعاصمة إسبانيا مدريد .. وبما أن هناك آلاف الألبانيين يقيمون خارج ألبانيا ـ كالإيرانيين خارج إيران مع الفارق ـ فقد أعلن ليكا أنّ الذين هم خارج ألبانيا أكثر ممن في داخلها ، وبناءً على هذا « فهو ملك ألبانيا والألبانيين خارج حدود بلادهم » [2] وهنا موطن الطرافة ..

ولو عدنا للشاهنشاه آريامهر ، فهل نعثر عنده مثل هذا الذكاء الحادّ والعبقرية ليعلن كما أعلن ليكا .. أم أنه ما زال فزعاً مما لاقاه حتى خارج الحدود بألمانيا مثلاً وأمريكا ؟!.

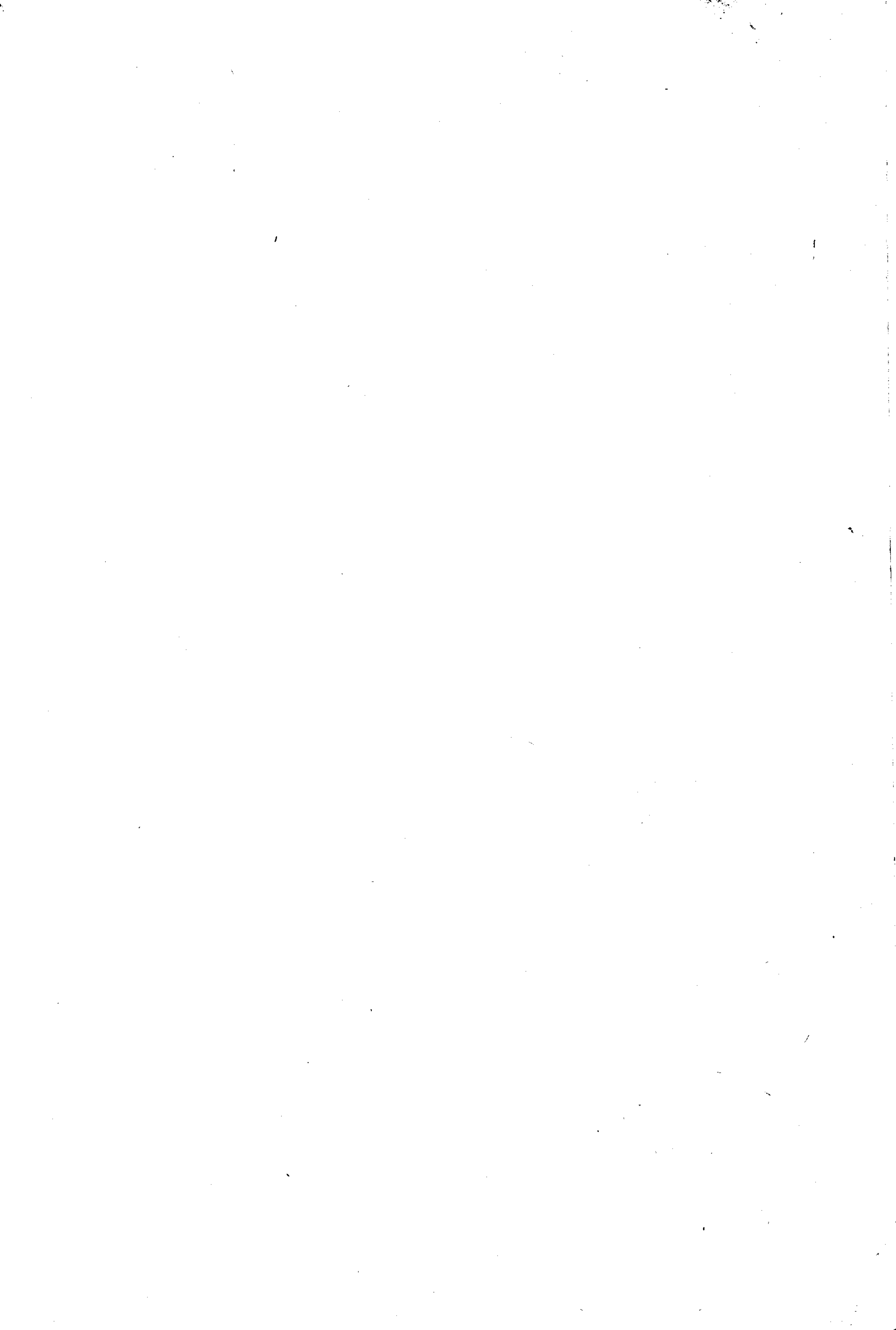
جلّت قدرة الله سبحانه في تصريف الأمور أمراً بعد أمر وتصريف العقيدة والإيمان لتنفعل داخل النفوس حتى تحرز النصر والظفر ، مكللاً بالعزّ والفخر مؤيداً بالقيادة المسددة . ﴿ **إنّا لننصر رُسُلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد** ﴾ [3] .

---

(١) ولنذكر من هؤلاء باختصار .. ادريس ، ملك ليبيا السابق ، ٩٠ سنة . أحمد فؤاد ، ملك مصر السابق ، ٣٠ سنة . الباي رشاد ، باي تونس ، ٣٢ سنة . جمشيد ، سلطان زنجبار . امبرتو ملك إيطاليا السابق . سيمون ، ملك بلغاريا . مايكل ، ملك رومانيا . قسطنطين ملك اليونان . آسفا واسن ابن هيلاسلاسي . فكتوريا لويس ، ابنة قيصر المانيا .. وكلهم عاشوا على دماء ولحوم الشعوب ، وهم يعيشون على ما سرقوه من تلك الشعوب حيث أنّ أرصدتهم بالآلاف والملايين ، وسينضم إليهم الشاهنشاه بالبلايين ، كأن أصحاب السمو والجلالة يترقبون قدومه ليزيدهم سموّاً من سموّه ويضفي عليهم من جلاله .

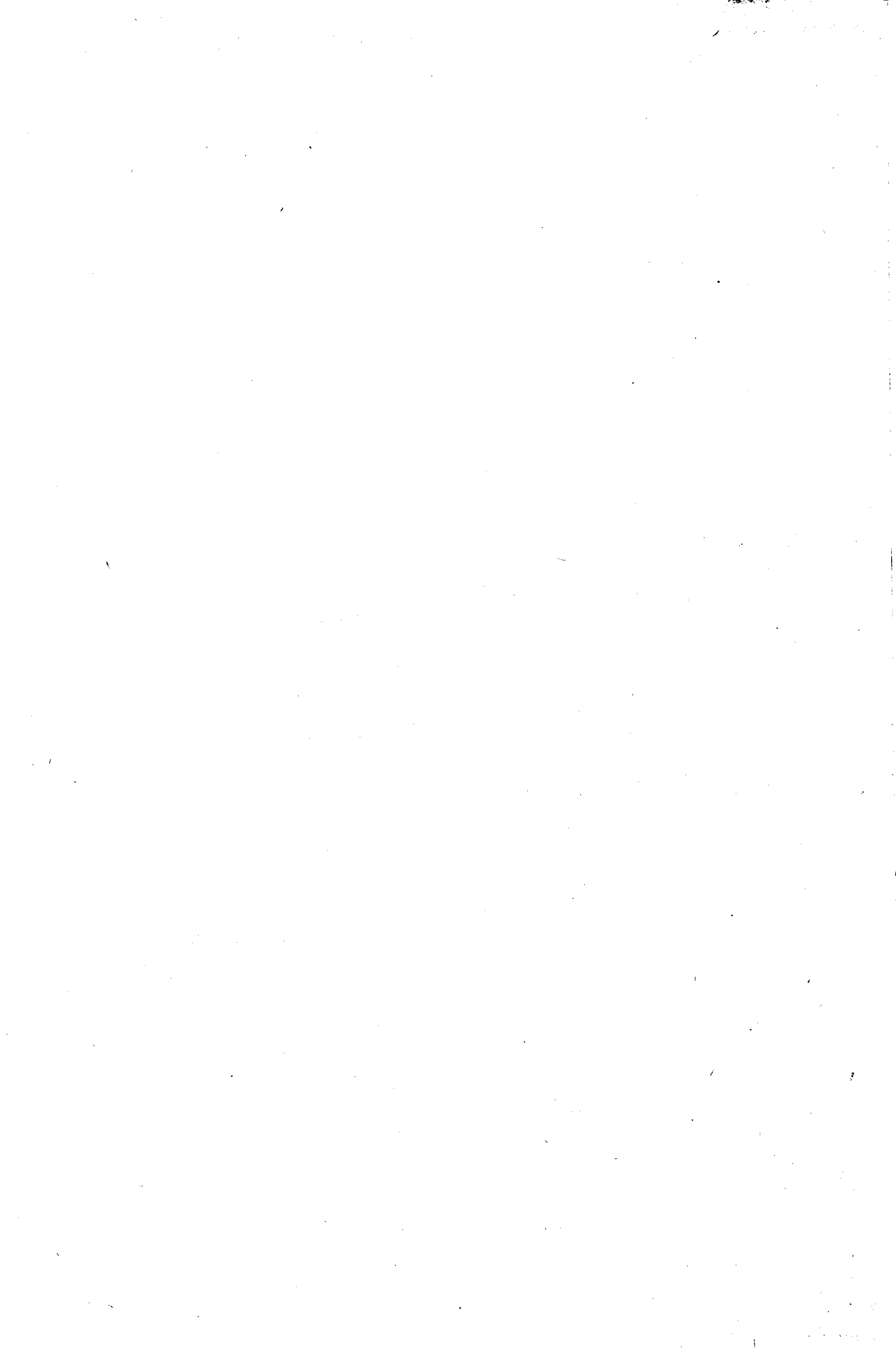
(٢) مجلة المستقبل الصادرة بلبنان ـ عدد ١٠١ ص ٢٨ .

(٣) القرآن الكريم ـ سورة المؤمن ٤٠ ـ آية ٥١ .



الفصل الثامن

السافاك... السجناء... الشهداء



« .. وهاهي دوائر أمن الشاه (السافاك) تحلّ محلّ محاكم التفتيش (الجزويت) التي كانت سائدة في القرون الوسطى ... » [1] .

يضيق بنا الوقت لو خصصنا لكل من السجناء والشهداء ، فصلاً مستقلاً خاصاً ، وفصلاً مستقلاً للحديث عن جهاز الأمن البهلوي وهو ما يجدر أن لا يُغفل .. ونحن إذ نختصر فلا ننسى أن نعتذر « والعذر عند كرام الناس مقبول » .

إنه مما يجب علينا بيانه وذكره هو الجهد المبذول والتضحية والتفاني والفداء العظيم والدم الغزير الذي سقيت به أرض العزة الإسلامية لمدينتي قمّ ومشهد المقدستين وسائر المدن الشامخة كتبريز الباسلة ..

ولا يمكن إدراك ضخامة العطاء وخطورة الثمن الذي دفعه أبطال الإسلام ، ومجمل الوطنيين المخلصين ، سواء داخل السجون وأقبية المعتقلات أو في الميادين والشوارع التي أسفرت عن آلاف وعشرات الآلاف من الشهداء الشبان والكهول ، والفتيات والنساء ـ طاب ثراهم ـ ، ولكي يمكننا تسهيل إدراك القوائم الطويلة جداً للمقيمين في السجون ، لنستوحي طرائق ممارسات التعذيب التعسفي ، ولكي نصدّق ما تورده القوائم الطويلة ـ والتي لم تقف وتضبط العدد ـ بالنسبة للشهداء

(١) من نداء لسماحة السيد القائد سنة ١٣٩٥ هـ ـ دروس في الجهاد والرفض ـ ص ١٩٧ .

والشهيدات . فعلينا أن نلقي نظرة على هذا السافاك الذي سفك الدماء سفكاً طوال مدة انشائه .

٢ - زمرة السافاك حثالة البشر :

« وهاهي دوائر أمن الشاه (السافاك) تحل محل محاكم التفتيش « الجزويت » التي كانت سائدة في القرون الوسطى ، وتبطش في أوساط الشعب وغالبيته المتدينة ، ممن يناوئون الحزب الملكي المفروض ، مرتكبة أشد أنواع الممارسات بشاعة ضد إنسانية الإنسان من صنوف التعذيب الوحشي والتنكيل الهمجي » [١] .

وهل أكثر من الوصف والتمثيل بمحاكم التفتيش الدموية الرعناء التي أقيمت في أوروبا؟. أجل هناك تمثيل قد يكون أشد قرباً وأحدث في تاريخه كالفاشية ، والنازية ، وهي وليدة أوروبا أيضاً .. ونقلت ببشاعتها وهمجيتها من أوروبا إلينا بشكل مباشر وغير مباشر ، بل بتلقين مقصود ...

وقد صرح موظف بوكالة المخابرات المركزية الأميركية ـ سي . آي . إي وكان يعمل لها كعميل داخل إيران ، بالقول التالي :

« إن عميلاً للوكالة ـ سي . آي . إي ـ درب البوليس السري الإيراني (السافاك) على أساليب تعذيب استخدمها النازيون الألمان خلال الحرب العالمية الثانية » [٢] .. ثم إنه صرح قائلاً « وإن الشاه كان مصدراً للمعلومات بالنسبة للوكالة » أي إنه عميل وجاسوس ، ولكنه أعظم عميل للتجسس على الأنشطة الثورية الاسلامية العملاقة .. أعظم عميل بوصف جلالته « ملك الملوك » .

« كن مخلصاً للشاه وافعل ما تشاء » [٣] .. هذا هو شعار دوائر الأمن

---

(١) الإمام الخميني .. نفس الدروس السابقة . والنداء تعقيب على مجزرة ٧ حزيران ١٣٩٥ هـ .
(٢) صحيفة الوطن ـ عدد ١٦٥١ ص ١٢ .
(٣) كتاب ـ إيران في ربع قرن ـ ص ١٦٣ .

ورجال السافاك .. إنه أسلوب تعسفي يوهمهم بإمكانية مكافحة الثوار والثورة .. وكإيحاء سلبي إلى أن الحرية متوفرة بشكل مطلق « وافعل ما تشاء » باحراز الإخلاص لهذا الشاه الآريامهر ..

ولم يكن الجيش وحده تحت رعاية الاستعمار والصهيونية . كذلك هو شأن السافاك الذي تعتني به قوى الاستعمار أيما عناية لا في إيران وحدها بل في أيّ اقليم لهم فيه قدم ـ وما أكثر تلك الاقاليم ـ .

« ولخدمات البوليس أهمية عظيمة لدينا ، لأنهم قادرون على أن يلقوا ستاراً على مشروعاتنا ... وأن يستنبطوا تفسيرات معقولة للضجر والسخط بين الطوائف . وأن يعاقبوا أيضاً أولئك الذين يرفضون الخضوع لنا » .

بروتوكولات حكماء صهيون ـ البروتوكول الخامس عشر .

لقد كان من قوة نشاط السافاك أنهم نفذوا بأكثر المرافق الحياتية . بل بكل المرافق وبين كل الفئات . خصوصاً بين صفوف طلاب الحوزة العلمية بقمّ المقدسة ، وغيرها من مواقع العلم والحوزات ، بحيث أنهم وفي سنة ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣ م حينما أراد العلماء والطلاب بقمّ أن يفجروا تظاهرة ضد الشاه . دخلوا بين صفوف الطلاب بزي تنكري أي بملابس العلم ، وكانوا « ألف رجل » . وقبل أن تنطلق المظاهرة من مكانها بدأ بين الطرفين إشتباك حادّ . ومعركة قوية .

« وقد فوجيء الناس مفاجأة شديدة عندما شهدوا الصراع بين رجال الدين أنفسهم يبلغ هذا المبلغ العظيم ، وسرعان ما أنكشف السرّ وعرف الجميع بالمؤامرة . لكن بعد أن أسفرت المعركة عن أكثر من ثلثمائة جريح وبضعة من القتلى »[1] .

---

(١) نفس المصدر ـ ص ١٦٤ .

ولم يقف نشاطهم العدواني الخطير داخل إيران ، وانما امتدّ إلى خارج إيران ، إلى بعض الدول الإسلامية ، وحتى الدول الأجنبية [١] .. وكمثال على دورهم الفاسد داخل الدول الاسلامية بما فيها العربية نذكر مأساة لبنان وجنوبه على وجه الخصوص ، الأمر الذي يفسرّ صرخة سماحة السيد موسى الصدر بخطاب له في الشهر الثامن من عام ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ ، ومما قال مثلاً .

« ماذا تريد المخابرات الإيرانية عندما تتصدى لطائفتنا وتمزقها وتخلق كل يوم مؤسسة وإماماً ، وتصرف أموالاً وتحيك مؤمرات لكي تلعب بمصيرها . ومن سوء الحظ أنّ أناساً يقبلون العمالة ويتحركون بدافع من المخابرات الإيرانية ، ويبيعون أنفسهم للشيطان » [٢] .

ليس هذا فقط ، فالسافاك تعبث وتعبث بالأرض فساداً وتُخبّث بين الرعايا الإيرانيين وعموم الشيعة المسلمين في الدول بكل العالم ، كما وإن دورها الخبيث داخل الدوائر الرسمية الإيرانية في الخارج كالسفارات ، كان دوراً مقيتاً مزعجاً ومخجلاً حسبما يكشف السفير الإيراني في باريس سنة ١٩٦٢ . إذ قال :

« إني أعيش بين مجموعة من رجال المخابرات الإيرانية ، وحتى الدبلوماسيين الذين ينبغي أن أستعين بهم على الشؤون الهامة إنما هم من رجال الأمن ، وهم بعيدون عن الدبلوماسية وآدابها . وقد أحرج هذا الأمر موقفي أمام الحكومة

---

(١) وتكررت مطاردة الشخصيات المجاهدة حتى في عواصم دول أوروبا واغتيل عدد منهم .. وكان أحد من خطّط له السافاك وفشل في مهمته هو الأخ المجاهد صادق قطب زادة سنة ١٩٧٦ حيث أن العميل البهلوي الموكول باغتيال صادق قد وصل إليه وتعرّف عليه وليس له بعد غير تنفيذ المهمة برميه بعدة طلقات .. وتردد العميل حتى مرض فمات بإحدى مستشفيات باريس في العام الماضي . ومن طريف تصريف الله للأمور ، وأخلاقيات المؤمنين أن يحضر الأخ صادق زادة جنازة الشرطي هذا مع ثمانية إيرانيين ، لا بد أنهم ممّن كانوا مخططاً لاغتيالهم في وقت آخر .. هذا مختصر قصة نشرتها عه مصادر أمنية وبوليسية فرنسية (لونوفال أوبسرفاتور قبل أسابيع ، فترجمتها صحيفة الوطن عدد ١٥٩٥ ص ٨ .

(٢) كما أشار سماحة الشيخ محمد مهدي شمس الدين نائب رئيس المجلس الشيعي الاعلى اثناء خطاب له بمناسبة عودة الامام الخميني القائد ـ صحيفة السفير عدد ١٧٢٠ ص ٨ .

الفرنسية ، إذ أني ، إذن رئيس دائرة الأمن في باريس لا سفير إيران فيها »[1] .

أما بشأن العبث بين صفوف وطلاب ورعايا إيران فلنقرأ :

« ولقد أرادت أجهزة الأمن أن تتغلغل بين صفوف الطلبة وتفسدها إلاّ أنّ الجبهات الطلابية عرفت بالخطة فحاربت رجال الأمن المتبرقعين ببرقع الطلبة ، ولذلك نجد هذه المنظمات محتفظة بنقاوتها وأصالتها إلى حدّ بعيد »[2] .

أخيراً أخذ الشاه يندم على مؤامرات السافاك وإطلاقهِ لها العنان ، فأقال الجنرال المدعوّ « نعمة الله نصيري » رئيس جهاز السفك والسافاك ، وإنما أقاله فلكي يُهدّيء الوضع ويمتصّ غضب الشعب ، لكن المضحك أنه عينه سفيراً لإيران بالباكستان ولم يدم ، إذ ما لبث أن استدعاه ، فقبض عليه متهمه بالفساد ، وهذا علاج متأخر ينبغي أن يسبقه علاج الشاه من فساده بالذات .. أدرك الشعب أن معاقبة المفسدين يجب أن لا تكون بتنصيبهم سفراء ، كما تفرض التقاليد الدبلوماسية السائدة ، وكما جرت عادة عقاب « التقدميين الدبلوماسيين » .

أمّا الجنرال الذي خلفه فلم يطق ضغط الاضطرابات وشدة وطأة الأحداث إلاّ باستعمال أساليب نازية محضة ، فما لبث أن مات إثر انفجار بدماغه[3] ، وهكذا تكون نهاية من لا يؤسف عليهم .

وبمجيء بختيار أخذ لا يمل تكرار أنه سيحل جهاز السافاك ، في حين أن الجهاز قد حل من قبل الشعب الشجاع الذي حطّمه فلم تبق له قيمة بعد أن هزمه .. وزعم أنه سيحول الجهاز إلى مجرّد جهاز مخابرات ، كما زعم « أن أيّ دولة في العالم لا تستطيع العيش بدون بوليس ، إلاّ أننا نستطيع أن نعيش بدون تعذيب »[4] .

---

(١) ايران في ربع قرن ـ ص ١٦٤ ـ ١٦٥ .
(٢) نفس المصدر ـ ص ١٥٠ .
(٣) صحيفة الرأي العام ـ عدد ٥٤٤٧ ص ١ .
(٤) صحيفة القبس ـ عدد ٢٣٨١ ص ١٥ .

والحق أنه لا يستطيع العيش بأيّ شكل من الأشكال . إنه يوسع من فجوة مصيره المحتوم .. ذلك لأن الشعب بلغ من المواقف الصارمة ما تؤهله لتحقيق انتصاره حاملاً رسالة الله ورسوله وأهل بيت الرسول محارباً أعداء الاسلام .. وهو لا يخشى السافاك سواء حُلّ أو شُدّ .. فإنّ موقفه من السافاك واحد هو محاربته وتحديه مع كل قادته ومتعلقيه .. فنقرأ هذه الصورة البطولية :

« .. وعندما فتك الرصاص بالمتظاهرين . ثارت ثائرتهم وتمكنوا من إلقاء القبض على عدد من رجال السافاك ـ البوليس السري ـ الذين كانوا يرشدون الجنود إلى مواقع المتظاهرين ، ويساعدونهم في اعتقالهم . وقام المتظاهرون بشنق هؤلاء وتعليق جثثهم على الأشجار وأعمدة الكهرباء »[1] .

﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون في الأرض فساداً ، أن يقتّلوا . أو يصلّبوا . أو تقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف . أو ينفوا من الأرض . ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾[2] .

٢ ـ أفواج السجناء :

يتجلى مما مضى سعة نطاق أدوار دائرة الأمن واستهتارها ، ومن هناك يتضح لنا سعة نطاق اعتقالات المؤمنين والوطنيين داخل إيران بالذات .. منذ عدة سنين وحتى الآن .. واعتقال ثلّة من العلماء الأعلام . كما جرى لآية الله روح الله الموسوي الخميني . حفظه الله وأدام بقاءه . فقد سجن في سنة ١٣٨٣ هـ ومعه جملة من المجاهدين .. وتكررت عمليّات القبض والسجن لتشمل المجاهدين بما فيهم الشبان من مختلف الأعمار . وصبر لها رجال إيران وصبر لها شبيبة إسلام إيران . وهم لثقل الصبر يتحملون ..

بينما كانوا يرون في سجنهم أفضل مهيء لحجة الشعب ، وصيغ استنكاره

---

(١) مجلة الوطن العربي ـ عدد ٩٩ ص ٣٨ .

(٢) القرآن الكريم ـ سورة المائدة ٥ ـ آية ٣٣ .

الشديد ، ويرون في حياة الاعتقال خيرتجارب للجهاد ، وخير دروس يرتشفها المؤمنون ، إنها مدرسة كما يعبرّ عنها المجاهد الشيخ منتظري .. ولهذا كان العدو كما هو في كل مكان . يهجم على العلماء والمؤمنين فيعتقلهم ويسيء إليهم ثم يندم خشية إفلات الزمام من يده ، فيحسب حساب المخاطر ضده إن واصل سيره على خطّه هذا ، فيعجز ويختار إطلاق التار . وهو هكذا بكل مكان ، أساليبه نفسها وأخلاقياته العكرة ذاتها ، والصبر الجميل غذاء العلماءوالشباب

إذ يتجملونبالصبرويتحلون بالتربص ، وليس الصبروالتخلي عن القضايا العادلة .. هكذا همرجال الرسالة .. يقول الخميني القائد بعدما خرج من السجن عام ١٣٨٣ هـ .

« وقد شاركت مدينة النجف الأشرف ، وكذلك مدينتا مشهد وقمّ بنصرتنا وقد عرفوا أننا على طريق واحد .. فمنا من يسجن ومن يزجرومنّا من يهان ، ونحن الآن على ما كنّا عليه من الإتحاد ، ولا يزال هؤلاء العلماء موجودين . كثّر الله من أمثالهم .. » [١] .

أولئك الذين عاشوا للاسلاموضحّوا من أجل أن يحكم هذا الاسلام ويفرض إرادته .. أمّا السجن والتعذيب والقتل فيهون جنب رفعة هذه الأطراف وليس المهم أن يطلق سراح المعتقلين ، فلربما اعتقالهم حجة لدحض الحكم الزاعم بالتحرر من الحرية .. مما قاله سماحته تعقيباً على اعتقال المجاهد السيد محمود الطالقاني والمجاهد مهدي بازركان وغيرهم سنة ١٣٨٣ هجرية ..

« فلولا هذه التضحيات والتعرّض للاعتقالات لما صلحت شؤون المجتمع ، ولا سبيل إلى النصر إلاّ بتجاوز العقبات والصعاب وتحمل معاناة السجون والمعتقلات .. وإنّ الهدف أسمى من أن ينحصر بإطلاق سراح بعض الأفراد ، علينا أن نتطلع دوماً إلى الهدف ، وهو إقامة النظام الإسلامي ، واستقلال الوطن،

---

(١) كتاب ـ دروس في الجهاد والرفض ـ ص ٨٧ .

وطرد عملاء إسرائيل وتحقيق الوحدة والتضامن مع الأقطار الإسلامية » [1] .

وكان الشاه مولعاً بفنون الإعتقال والاعتداء على مسلمي إيران ، وما زال ولعه يمارسه عشاقه .. كما أنه مغرم جداً بطرائق التعذيب وفنّ التعذيب الحاسم الذي ينهي المعذّب ويعدمه تماماً بعد ما يتركه يلفظ أنفاسه بعذاب قاهر وبمرارة قاتلة .. وهو شديد الشوق لسماع أصوات المعذبين لا سيما خصومه الأشداد ، بحيث أنه طالما يجلس بقصره مطرباً مستأنساً لسماع أشرطة تحوي زعقات المؤمنين وزفرات الوطنيين ، وليس أدلّ على ذلك مما كشفه عنه صديقه المقرّب إليه بعد ما انشقّ عليه ، وهو « خيبر خان » الذي نشر مذكراته بأميركا فتناقلتها الصحف قبل أعوام ، ومما كشف النقاب عنه صراحة ، المعنى أعلاه في النص أدناه :

« إنّ من هوايات الشاه ، الاستماع إلى أشرطة التعذيب التي سجلها جلاوزة العذاب في غرف التعذيب . فقد يستمع الشاه إلى هذه الأشرطة بدقة وعناية ، وإن الشاه استمع إلى شريط تعذيب الدكتور حسين فاطمي وزير خارجية مصدق أكثر من خمس مرات ، وإلى شريط تعذيب كريم بور الصحفي الذي أُحرق حياً في سجن الأمن أكثر من عشر مرات .. أمّا صور المناضلين الذين يعتلون المشانق أو يعدمون بالرصاص ، فلا بدّ أن ترسل منها نسخة إلى جلالة الشاه [2] .

﴿ **وشهد شاهد من أهلها** ﴾ [3] .

والله سبحانه يعلم أنني ما إن قرأت هذا النصّ حتى دهشت ولم أتمالك إعادة النظر فيه لقراءته ثانية .. فعلى ضوء ذلك النصّ وعلى ضوء ما فيه ، وهو مما لا يمكن تكذيبه ، فما تحكم على صاحب نفسية كتلك ؟. ماذا تقول ؟. نفسية خسيسة أو حقيرة ، رذيلة ، سافلة ، متمحّضة بالشيطنة ، قل ما تشاء قوله .. إلا أنك لا تصل حدّ الكفاية في الحكم وشفاء ما في صدور المؤمنين من غيظ

---

(١) نفس الدروس ـ ص ٦١ .

(٢) ايران في ربع قرن ـ ص ١٦٦ .

(٣) القرآن الكريم ـ سورة يوسف ١٢ ـ آية ٢٦ .

مرير وحنق يكاد لا يُطاق ، .. لا تصـل لعبارة تعبّـر عنه وتكـون جامعة مانعة .. وعلى العموم فلا نستكثر ذلك على الشاهنشاه .

وهو على ما هو عليه من فساد سجيّة ولؤم طبع ، واصل تعذيب وحرق شبان المعارضة وتذويبهم وصهرهم وتصفيتهم جسدياً ، فمضى رجال آمنوا بربهم ووطنهم وعزتهم .

« إن بناء السجون الجديدة في مختلف أنحاء إيران أصبح السمة المميّزة لإنجازات النظام الإيراني في السنوات الأخيرة ، وذلك من أجل استيعاب معارضي هذا النظام الذين ضاقت بهم السجون الحالية » [١] .

ونشبت الثورة الجبارة ، فرأى الشاه أن ينتقم وينتقم ممّن في الشوارع وممّن في السجون .. وفضحت أعماله التعسفية السافرة ، فزعم أنه لم يعذب أحداً ، وهكذا ادّعى للرأي العام العالمي .. بيد أنه فضح حتى بواشنطن ، حيث أعلن ناطق بأسم وزارة الخارجية الأميركية ما يلي :

« إنّ الوزارة تلقت مؤخراً تقارير تؤكد أن بعض المسؤولين الإيرانيين المحليين عادوا إلى ممارسة التعذيب بحقّ المعتقلين والسجناء الإيرانيين » .

« وأشار إلى أنّ هذا الأمر نسف كل التقارير التي كانت قد وردت سابقاً وأشارت إلى توقف السلطات الإيرانية عن ممارسة التعذيب » [٢] .

« إنّ الحكومة الإيرانية تواصل وبصورة منتظمة ، إخضاع سجنائها السياسيين للتعذيب وللمعاملة الوحشية ، برغم التأكيدات العديدة من قبل الشاه بأن مثل هذه الممارسات قد توقفت .. هذا ما أكده تقرير لجنة العفو الدولية في الأسبوع الماضي ، نشر رسمياً في ١١ كانون أول الجاري (١٩٧٨) وقد جاء ليدحض مزاعم السلطة الإيرانية التي تدعي عكس ذلك » .

---

(١) صحيفة الوطن الصادرة بلبنان ـ ٢٠ آب ١٩٧٨ ص ٦

(٢) صحيفة السفير ـ عدد ١٦٨١ ص ١٤ .

« ومن بين الشهادات التي تضمنها التقرير ، حالة معتقل سابق يبلغ من العمر ٥٦ سنة ، من مدينة زنجان الشمالية ، فقد امتلأ جسمه بحروق أعقاب السجائر على يد عملاء السافاك ، من بعد أن اعتقل ووجد معه بيان سياسي ، كان قد أصدره أحد زعماء المعارضة الدينية ، الإمام آية الله شريعة مداري .. » [١] .

« إنّ مصير المعتقلين السياسيين في إيران أصبح يشغل المعارضة ، والمنظمات الإنسانية ، والدولية ، وذلك بعد تشكيل حكومة عسكرية في طهران » [٢] .

« أكدت المحامية الفرنسية ، ماري فرانس شميدلين ، التي أوفدها الاتحاد الدولي لحقوق الإنسان في مهمة في طهران ، أنّ مدير البوليس السياسي السابق ، الذي ٣٦ من كبار المسؤولين فيه ، لاتهامهم بالقسوة ، (هذا المدير نفسه) يتّسم بقسوة نادرة » .

وحينما أطلق سراح تاجر بريطاني يعمل ببيع الأسلحة لحساب شركة بريطانية وسجن بتهمة بيع الحشيش ، قام بفضح ما يجري في السجون ، فصرّح « ريتشارد سافين » بما تقشعر له الأبدان وما تلتهب لها الضمائر ويستنير له الوجدان ، لقد ألفِ وعاش فَروىَ بعضاً مما يتذكّر لمراسل صحيفة « انترناشيونال هيرالد تريبيون » [٣] بروما ، وهو « بالمناسبة يعدّ كتاباً عن تجربته هذه » ، ولعلّه يصدره في الوقت المناسب لخدمة الثورة ، من موقع إنساني وإحساس نبيل .. وليغير أنظار الأوروبيين عن الشاهنشاه « الديمقراطي التقدمي المتعصرن » .

بينما أوردت صحيفة تشرين السورية خبراً وحواراً مع سجينة إيرانية أطلق سراحها بعد سجن دام سبع سنوات لعثور البوليس على منشور معها ،يتضمن مواداً مضادة لنظام الحكم .. لقد أطلقوا سراحها .. إنها ليست سجينة الآن لكنها لم تصدّق ! لماذا ؟ لا بدّ لأنها غير مطمئنة ، ولكن لم فقدان الاطمئنان هذا ؟ لا بدّ لأمر هامّ .. إنه يعود لأساليب البوليس .. فطالما يقبضون على من يطلقون سراحه

---

(١) مجلة الهدف ـ عدد ٤١٨ ص ٥٠ .

(٢) صحيفة تشرين ـ عدد ٩٥٦ ص ١٠ .

(٣) لمن يرغب بالاطلاع على شيء مما نشره فذلك في مجلة الهدف المذكورة ..

بعد مدّة قصيرة كسُنّةٍ سار السافاك عليها ، إنها خائفة كذلك من الذين أطلق سراحهم معها ، والأطرف من ذلك أنّ كثيراً من السجناء يأملون اطلاق سراحهم نظراً لقرب اليوم العالمي لحقوق الانسان ، لكنهم مع أملهم يتألمون خشية العودة مرة أخرى ، إنهم قلقون وهم لم يخرجوا بعد ..

قالت ـ حينما سألوها ـ أن السجناء أكثر من ألفين ، بينما زعمت الحكومة أنهم ٦٠٠ فقط ، والحال أنّ منظمة العفو الدولية وغيرها من الهيئات أجمعت أنهم بالآلاف ..

« واستطردت قائلة وهي تبتسم ؛ لقد أرادوا أن يرغموني على الإعتراف بأنني أنتمي إلى جماعة سياسية لا أعلم عنها شيئاً وقد عذبوني بعد ذلك » .

وأخذت تندد بمعاملاتهم الوحشية البشعة ثم أشارت إلى « أن الجلد بالسياط شائع في السجن ولكن هناك أيضاً الشحنات الكهربائية ، أو تعليق أثقال في الذراعين ...

هذه صور بسيطة ، تقرّب الواقع إلى الأذهان ، صور عمّا يعانيه المؤمن والوطني ، وعمّا ابتلي به الرجل والمرأة الإيرانيين ، وإنها تركات إستعمارية تهدد الأحرار والأجيال إن بقيت الإجراءات البوليسية على هذه الحال .. ومهما يكن فلا بدّ للمؤمن أن يستفيد ويتعبأ مما يعانيه ويتصلّب كأعظم حصيلة من حياة السجون . ﴿ **وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحّص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور** ﴾ [١] .

إن بعض الصحف والمجلات ، ومجمل أجهزة الاعلام بمختلف تبعيّتها للأنظمة ، تخطيء أخطاء خطيرة على سمعتها وسمعة رجالها ، حينما تتخبط فتلفّ وتدور لتخلص بنتيجة تقضي بأن الثورة قامت كحصيلة للاضطهاد والعسف، وهذا من خطل الرأي إن كان وحده ، وإن لم يكن الاضطهاد يُفسّر ويكشف عن أسرار ممارسته ..

---

(١) القرآن الكريم ـ سورة آل عمران ٣ ـ آية ١٥٤ .

إنّ التفسير الاسلامي ، أو التفسير الحقيقي لخلق الأحداث الثورية من منطلق إسلامي رساليّ ، هو الصائب بلا جدال لبيان الواقع بدءاً ونهاية .. وما العسف والقمع والاعتقال إلاّ ردّ فعل السلطة على تنامي الوعي الإسلامي ، ولإماتة الروح الإسلامية ، وإسكات الأصوات المطالبة بالحرية وصولاً إلى منصة السياسة الاسلامية ... وليس هيّناً على القيادة والقاعدة أن تعطّل حدود الله ومبادىء الاسلام الخلاّقة ، ثم تحارب وتشوّه ويُسخَر منها علناً .. فللثوار وللثورة نـار ملتهبة لكن الآريامهر جنّ جنونه ليطفئها فصبّ عليها الزيت والبنزين... في حين أراد إخمادها ...

إذن فهي مشتعلة سلفاً ، لكن الشاه تمنّى النجاة من حرارتها فدخل بها ، كمن يهرب من الرمضاء للنار .. وعليه فالاسلام ومنعه والدين وحب الحدّ منه هو الذي أوقد شعلة الثورة وأحرق فتيلها ..

« وتمنع الحكومة من ممارسة أبسط حقوقها كإحياء اللغة ، والتراث .. الخ . في الوقت الذي تسيطر فيه أقليات على مقاليد الأمور » [1] .

حدّثني أحد شبان طهران ـ قبل أشهر مضت ـ أثناء لقاء بمدينة النجف الأشرف ، فلمست ركة وضعف لغته العربية ، فلم أرضها منه وله ، فاعتذر لجهله لغته العربية الاسلامية ، وعزا ذلك إلى السياسة الحكومية الجائرة التي منعت تعليم لغة القرآن الكريم بمدارس إيران منذ عدّة أعوام .. ترى فهل هذا يهون على الشبيبة الاسلامية ، وطلائع إيران المؤمنة ..

ورغم ذلك يأتيك من يحلو له الكلام بلا أيّ أساس فكري واقعي ، وكأن الاضطهاد يأتي اعتباطاً ، متجاهلاً كونه كفاحاً ضد الإسلام وحرباً على التراث ورجاله وشبابه الذين يتكاثرون يوماً بعد يوم .. أجل إنّ السرّ يكمن في الدين الذي هو ثورة ، وكلّه ثورة ، وهو الرفض وكلّه رفض لأي فساد وظلم وحكم ، هذا الدين هو الذي منعوه وأرادوا أن يمنعوا أيّ ممارسة دينية علمية ..

---

(١) مجلة فلسطين الثورة ـ عدد ٣٧ ـ ص ٢٧ .

« إذ أنّ أيّ نشاط سياسي ، وأيّ تعبير عن الرأي وأيّ تجمّع ممنوع في إيران . بل إنّ جهاز الاستخبارات (سافاك) يمارس إرهاباً قلّ أن تجد مثيلاً له في العالم . وانتهاك حقوق الانسان والوسائل التي يستخدمها هذا الجهاز في ملاحقة العناصر المعارضة والقضاء عليها أشهر من أن تُجهل » [١] .

« وبالتالي فالصوت الوحيد المسموح سماعه هو صوت السلطة وأدواتها ، وأيّ صوت آخر يُتّهم بالشيوعية أو الرجعية .. » [٢] .

في السجون حيث يأمن الشاه نشاط شجعان الشعب ، لأنه سيكبّلهم ويغرقهم في سبات طويل كما يتوهم ، في تلك السجون كانت الثورة تقام ، والانتفاضات والأضراب عن الطعام ، أو التمرّد يقع دون خوف أو وجل .. فمثلاً ..

« في مدينة مشهد تمرّد نحو (٢٠٠٠) سجين سياسي مطالبين بالإفراج عنهم ، واحتجزوا عشرة من رجال الشرطة كرهائن لديهم ، وأشاعوا الفوضى في السجن » [٣] .

حسبما قلنا فالسجن قد تحول إلى مدرسة ، خصوصاً عند المومنين الذين يرون ذلك اختباراً إلهياً لهم ، ويعنونونه بعنوان البلاء ويمنحونه مفهوم الابتلاء المقتضي لمفهوم الصبر كيما يحدث توازن فكري ومعنويّ ونفسيّ داخل المؤمنين المجاهدين .. يقول فضيلة الشيخ المجاهد حسين علي منتظري والذي سجن عدة مرات فعاش بعدّة سجون ، وأخيراً أطلق سراحه قبل حلول يوم عاشوراء المجيد اليوم التاريخي الثوري ذو الحساسية السياسية ، ومعه جماعة أخرى .. قال منتظري عن آخر مرة سجن بها متحدثاً للصحف ..

« فور اعتقالي ، وضعت في الزنزانة الإنفرادية لمدة ستة اشهر ، ومن ثم نقلت إلى السجن العام الذي أطلق عليه اسم « محلّ الندم » وقد أطلقت الحكومة

(١ـ٢) مجلة فلسطين الثورة ـ عدد ٣٧ ـ ص ٢٧ .

(٣) صحيفة السفير ـ عدد ١٦٨٦ ص ١ .

هذا الاسم على السجن باعتبار أن اعتقال الأشخاص وتعذيبهم فيه سيؤدي إلى ضعف معنوياتهم ، وندمهم على أعمالهم . ولكن أكثر السجناء السياسيين على العكس من ذلك يصمدون ويحافظون على مبادئهم السياسية .. فالسجن يعتبر للمناضلين الإيرانيين مدرسة لبناء الانسان الثوري . إنه دائماً يؤدي إلى اكتساب التجربة .. » [1] .

ويخرجون من السجون ،والخميني القائد من منفاه بالنجف الأشرف فباريس يوجههم ، ويدعوهم إلى مواصلة الرفض والمعارضة والجهاد ، دونما كلل أو ملل ، وهذا أمر عجيب ، وأعجب منه أن النداء يصل إلى الجميع ، والجميع يستجيب .. رغم أن هذا مريض وذلك مصاب بعاهة ، نتيجة بشاعة الإعتداء على الإنسان .. وذاك متعب مرهق الأعصاب ، وهذا لديه نقص أو تعكير صحي بحاجة إلى الطبّ والأطباء .. لم يجلسوا ـ المصاب منهم والصحيح ـ خرجوا من السجون لا إلى البيوت وإنما إلى الشوارع التي تؤدي إلى الميادين الواسعة ليسمعوا بالثورة بانتفاضات طالما ظلّوا يسمعونها فقط عن بعد وقلوبهم في شوق لها . وتندهش أجهزة الإعلام ، ويأسرها العجب من هؤلاء . « إن هؤلاء السجناء عادوا إلى استئناف نشاطهم بعد ما قويت المعارضة ولم يعد باستطاعة الحكم الإيراني [2] ... الخ . فكيف إذا أطلق سراح الجميع ؟..

أجل لم يستطع النظام حتى حراسة رؤوس الحكم رغم أنها مخفية وإن لم تظهر عائمة فوق سطح المستنقع ... ولسوف يتحرر ويخرج كل السجناء وينعتق كل الشعب العملاق .. « ... وسلامي إلى السجناء الذين يقضون أيامهم في أقسى ظروف العذاب في سبيل إعلاء كلمة الإسلام وأهدافه المقدسة . » [3]

٣ ـ مواكب الشهداء ..

﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً ، بل أحياء عند ربهم يرزقون .

---

(١) صحيفة السفير ـ عدد ١٦٩٠ ص ١٠ .

(٢) مجلة المجالس ـ عدد ٣٩٣ ص ٣٦ .

(٣) الإمام الخميني القائد في أحد نداءاته ـ دروس في الجهاد والرفض ـ ص ١٩٩ .

فرحين بما أتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألاّ خوف عليهم ولا هم يحزنون .. يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأنّ الله لا يُضيع أجر المؤمنين .. الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم .. الذين قال لهم الناس إنّ الناس قد قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل .. فأنقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ، واتبّعوا رضوان الله ، والله ذو فضلٍ عظيم ﴾ [1] .

إنه الوحي الأمين .. الوحي المدوّن المبين ، الذي حرّك أوائل المسلمين حدا اليوم ويحدو بمسيرة المؤمنين ، وهم يقطعون الطريق والشوارع الإيرانية بمئات الآلاف والملايين .. كلهم يقين ، لا يألمون للجراح بقدر ما يأملون بالفوز والنجاح فتمخّضت موجاتهم الثورية عن جرحى ومصابين وأسفرت عن حشر أفواج السجناء وحشدهم حتى ضاقت مباني المعتقلات ، ناهيك عما تمخّضت عنه من قتلى نالوا درجة الشهداء بشكل جماعي وبمواكب فداء وتفاني .. فالموت : هذا المكروه لمجرّد إسمه أضحى أحبّ الأمور للرجال والشباب ، بل حتى النساء المسلمات بإيران كنّ يستقبلن خبر موت أبنائهن وإخوانهن وأزواجهن ، استقبال الحياة الحرة العزيزة حتى كان الموت من نصيبهن بالذات ، إذ استقبلته فصُرِعَتْ مئات من أخواتنا ، وإنه لفخر لا يوازيه فخر آخر ..

فالموت ـ كما فهموه ـ إنما هوثمن حتمي الدفع لا محيص من تقديمه ، وإلاّ فلا محيص من الذل وفقدان كرامة الحياة والحرية .. الموت من أجل الحياة .. إنه ليس بموت حقيقي طالما كان استشهاداً في سبيل الرسالة ؛ أما الموت الحقيقي فهو النهاية بلا قضية رسالية سامية . وعليه فقد شكل مفهوم الشهادة ولعب دوراً خطيراً في تحرير الأرض والشعب المسلم عبر التاريخ ، وكل شعوب المسلمين بتفاوت فهمهم. واليوم في هذا العصر الحديث فاز شعب إيران الحبيب

---

(١) القرآن الكريم ـ سورة آل عمران ٣ ـ آية ١٦٩ ، ١٧٤ .

بقصب السبق في مضمار الإيمان العملي بمفهوم الشهادة ، كما اعترف الأصدقاء والأعداء ، الأصحاب والأجانب .. فمثلاً قال فرنو سابقاً :

« إن النفس الفارسية فخورة ، ولكنها سريعة التأثر ، وتشعر أنها ضحية مصير ، جعل منها لعبة الأقوياء ... قد وجدت في عهدها ، إكليل الاستشهاد المؤلم . هناك خطوط شيعية أساسية في العاطفة القومية الفارسية (على حد تعبير فرنو) ، فقد كانت بلاد فارس الشيعية تُجِلُّ الاستشهاد على الدوام .. » [1] .

إنه كلام فقط أمّا دلالاته العملية فكثيرة عبر تاريخ شعبنا بفارس وما عليك إلاّ مراجعة بعض الصفحات مبتدأ من هذا القرن الأخير على أقلّ تقدير .. وما نعيشه اليوم ونعاصره من عنفوان ثوري إسلامي مجيد ليس إلاّ تجربة جبّارة ، ومصداقاً خلاّقاً لحقيقة إيمان شعبنا الإيراني بمفهوم الشهادة ، فاليوم نشهد عظمة الإقبال وبشوق للشهادة من أجل قضية عادلة ذات أبعاد أرضيّة وأبعاد رسالية واسعة ، ونحن إذ نعاصر آخر أكبر تجربة استشهاد وأعمق برهان فداء عمليّ ما برح يمارس تأكيده بالحبر الأحمر والأشلاء المقطّعة ، لحدّ الآن ، فليست هي خاتمة التجارب ولا نهاية البراهين حتى وإن تمّ الإنتصار وهو ما لاَ ريب في قربه .

إنّ ما قاله « فرنو » ينسحب على مجمل شعوب الإسلام بتفاوت ملحوظ بخطوط بيانية ولنترك للمستقبل القريب تأييد ذلك .. أمّا أن يقال بأن « الشيعة » وأحفاد الإمام عليّ عليه السلام ، قد ركنوا إلى المسالمة والصمت وكرهوا الجهاد والاستشهاد ، كما حضرتني كلمة للاستاذ محمد حسنين هيكل ـ مستدلاً بمواقف بعض من ينسبون إلى أحفاد الأئمة من أبناء علي عليهم السلام في عصرنا هذا .

مما قاله هيكلّ ،

« إنّ الاستشهاد القديم ، في القرن الأول للهجرة ، لم يلهب حماسة القرن الرابع عشر للهجرة ، إلى مستوى إيمانه وفدائيته .. » .

« بل ترك أثراً عكسياً » .

---

(١) كتاب ـ يقظة العالم الاسلامي ـ ف . و ـ فرنو ـ ج ٢ ص ١٠ .

« خلق الرغبة والإصرار على عدم الاستشهاد .

« هكذا لم يصبح عليٌّ ، وأبناؤه وأحفاده في القرن الأول ، مثلاً أعلى للأحفاد في القرن العشرين .

« لم يصبح مثلاً ، وإنما أصبح أمثولة .

« لم يصبح نموذجاً ، وإنما أصبح عبرة .. » [1] .

كان على الاستاذ هيكل أن يجيد تشخيص أبناء عليّ وأحفاده الحقيقيين ، كان عليه أن يحسن استيعاب الوجود الهاشمي النقي الذي يمثّل امتداداً للشجرة المحمّدية العلويّة الحسينيّة ، فيتعرّف على العلماء الهاشميين والكيان الهاشميّ بكلٍّ من إيران والعراق ، بلبنان وسوريا ، بالهند والباكستان وغيرها ، بل يكفيه الانفتاح على التراث الفكري الرسالي والثقافة الحديثة الممتدّة منه ، كيما يلمس عكس فهمه الذي حصر امتداد آل الرسول بعائلة قطعت صلتها ومزّقت وشائجها تماماً باصالة النسب الهاشمي الأمجد

شاهدت الأستاذ هيكل وقرأت عنه ، فخبر وصورة لقائه بالإمام القائد روح الله الموسوي الخميني ، بباريس ظهرت على بعض الصحف ، فقد اجتمع الأستاذ بالإمام في هذه السنة ، ولربما تذكّر ما كتبه قبل سنين ، ومهما يكن الأمر فقد عثر هيكل على حقيقة امتداد المجد الهاشمي التليد ، وعثر على من يمثل الاستشهاد كمثل لا كأمثولة .. ولا ريب أنه شخص حجة الاسلام الخميني ونظراؤه من الأعلام ، فحكم لهم بأنهم أبناء عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين وبأنهم « مثلاً أعلى للأحفاد في القرن العشرين » وليس غيرهم .. فيما لا نشكّ بكونه أيقن عكس ما ذهب إليه سابقاً وحسابه للآخرين بلا أساس ما ، أنهم المثل .. أيقن أنصار الفكر الاسلامي الهاشمي والجهادي الاستشهادي من خلال فعاليّات العظمة النادرة لشعبنا الإيراني ..

---

(١) كتاب ـ العقد النفسية التي تحكم الشرق الأوسط ـ ص ١٠٤ .

وسمع العالم ولتسمع الدنيا كلّها ، ما قاله وسيقوله أولاد هاشم الأعلام ..

« ... التضحية في هذا السبيل هي من سيرة الأنبياء العظام ، لا سيما النبي الأكرم (ص) وسيرة وصيّة القائد العظيم أمير المؤمنين عليه السلام .. » [1] .. بل إن هذا المتكلّم أكد رغبته بالموت شوقاً للشهادة :

« ... وإن قائدنا هو الذي قال : « والله لا بن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمّهِ » ونحن ، وإن لم نصل إلى هذه الدرجة ، لكن يجب أن نسير على نهجه ، فإن كنا نخاف الموت فذاك يعني أننا لا نعتقد بما وراء هذا العالم »[2] .

ولا غرو ، فهذا ما كان عملياً من قبل علماء سبقوا ومضوا شهداء .. قبل سنة ١٣٨٣ هـ ، بل قبل ولادة الخميني القائد ، حيث والده العالم الشهيد وغيره طاب ثراهم جميعاً وسدد الله خطى أولادهم وتلامذتهم الأعلام .. دع عنك جهاد قرون خلت ملأها العلماء فضلاً عن العلويّين الأقحاح بجولات ثورية تحررية تشهد لها تدوينات التاريخ ، ومنابر الإسلام الحسينية ..

جهاد متواصل ومسيرة متصلة متسلسلة تتفاوت قوة استدارة بعض حلقاتها والضحايا كثير وهويّات منح الشهادات النزيهة مكثفة الأعداد عبر التاريخ وتكثفت اليوم في إيران متراكمة لتوزع على طلابها حتى من النساء الفاضلات وهنا أزمة جهل من يتوهمون استيعابهم الكامل للإسلام ..

من حيث يتجاهلون استيعاب الخميني وباقي الأعلام .. إنهم يتذرّعون بكثرة سفك الدماء وفاجعة تراكم الاشلاء من هؤلاء وأولئك الشهداء .. ونسوا أن سفك الدماء من باب التضحية ولأجل غرض عظيم كان هو منطلق الرسول والإمام أمير المؤمنين صلوات الله عليهم .. فقد قتل الكثير بين أيديهم وقتل كبار الصحابة كعمار بن ياسر وأمثاله الأجلاّء المجاهدين ـ أثناء جهادهم الثوريّ

---

(١) الإمام الخميني ، من بيان صادر من النجف ٣ شوال ١٣٩٨ هـ ـ دروس في الجهاد والرفض ـ ص ٣٧٧ ، ٣٧٨ .

(٢) الإمام القائد من خطاب عقيب خروجه من السجن عام ١٣٨٣ هـ ـ نفس الدروس ـ ص ٧٦ .

بصفّين ضد معاوية ابن أبي سفيان ديكتاتور الرجعية القديمة ـ .

« .. وأيضاً أنتم ثرتم ضد ديكتاتور العصر الذي يمتصّ دماء الشعب تحت نفس تلك الشعارات (الأموية) .. في حين أن عدد ضحايانا لم يبلغ عدد ضحايا معركة صفّين بعد .. » [1] .

هكذا فلنتفقّه ولنتعلّم،ولنأخذ بنظر الإعتبار حجم الخسارة بالأرواح التي قدّمها الإمام أمير المؤمنين بصفّين وغيرها بغية إحقاق الحق .

قيل بأن شهداء معسكر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بصفّين هم ٢٥ ألف شهيد ، لكن شهداء قمّ وأخواتها من المدن ، ناهز العشرة آلاف فهل يعني وقوف الثورة لو بلغ نفس الرقم التاريخي بصفين ؟. كلا وهيهات . فإن طريق تكثيف الاستشهاد أفضل بما لا يحصى من بقاء كابوس الظلم والاستعباد ..

إن رقم ضحايانا ضخم جداً فعدد شهداء شعبنا الشجاع كثير كثيف وأرقامه بالآلاف ، عدد هائل ومهول .. يتضمن مئات النساء ، ففي يوم واحد ، يوم الجمعة الأسود كما سميّ ، استشهدت ٦٠٠ [2] فتاة شابة وامرأة أمُ .. مسلمات ومنهن المؤمنات التقيّات وكلهن عفيفات محجبات .. تلك هي المرأة الإيرانية المسلمة الباسلة . تلك التي شوّه الاستعمار شخصيتها ، تنطلق لإثبات عكسيات المنطق الاستعماري ..

« تلك المحجبّة إلاّ من الشهادة ، ترفع الملاءة للإمام حتى يرىٰ الوجه شقياً حتىٰ يعرف كم كابلت في الغيبة .. » [3] .

---

(١) الإمام الخميني القائد ، من بيان في ٩ شوال ١٣٩٨ هـ ـ الدروس ـ ص ٣٨٩ ـ ٣٩٠ .

(٢) كما أخبر الخميني القائد اثناء مقابلة اعلامية بفرنسا راجع الفصل الخاص بجهاد نساء الاسلام داخل ايران ـ الفصل الرابع ـ .

(٣) صحيفة السفير ـ وسبق أن اوردنا النص بالفصل الرابع ايضاً .

حتى الأطفال كابدوا واستشهدوا .. « في بادىء الأمر ظننت أنها دمىٰ .. ولكن يا إلهي .. لقد أدركت أنها جثث أطفال » إنه صحفي أميركي نقلت عنه وكالة اليونايتدبرس كما سجلت إحدىٰ أعداد صحيفة الوطن . إنه لم يصدّق ما رآه ببلدة « غازفين » الإيرانية ، فأمعن النظر جيداً وأحصىٰ عدداً وإذا بها ٣٥ جثة طفل معدّة للدفن بإحدى المقابر .

صورة واحدة من مئات وآلاف الصور الجماعية التي أعدّها الشاه باستديوهاته الأميركية التصميم والتخطيط والمنهج .. والآن فلننظر إلى صورة واحدة وفردية غير جماعية ، فلو أردت التحدث عن استشهاد الرجال والشباب فحدث ولا حرج إذ هم يشكلون النصيب الأكبر من حجم التجربة الاستشهادية الرائدة .. وهم أهل السبق العقائدي الرهيب الذي هزّ عروشاً وليس عرشاً واحداً بإيران .. وهذا واحد منهم وقد راقبه بعض الصحفيين وهو ينتهي رويداً رويداً ويلفظ أنفاسه بقناعة ورضى كبيرين :

« وقال محمد علي صفو زادة ، وهو مدرس في السابعة والعشرين من عمره كانت قد أصابته عدة طلقات نارية في رئتيه (قال) : لقد أمضيت ثلاث سنوات في السجن وعذبت خلال أشهر ، والآن سأموت .. وتمتم وهو يحتضر : ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾ . [1]

فما أعظم هذه القناعة والرضىٰ ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة إرجعي إلىٰ ربك راضية مرضية فأدخلي في عبادي وأدخلي جنتي** ﴾ [2] .

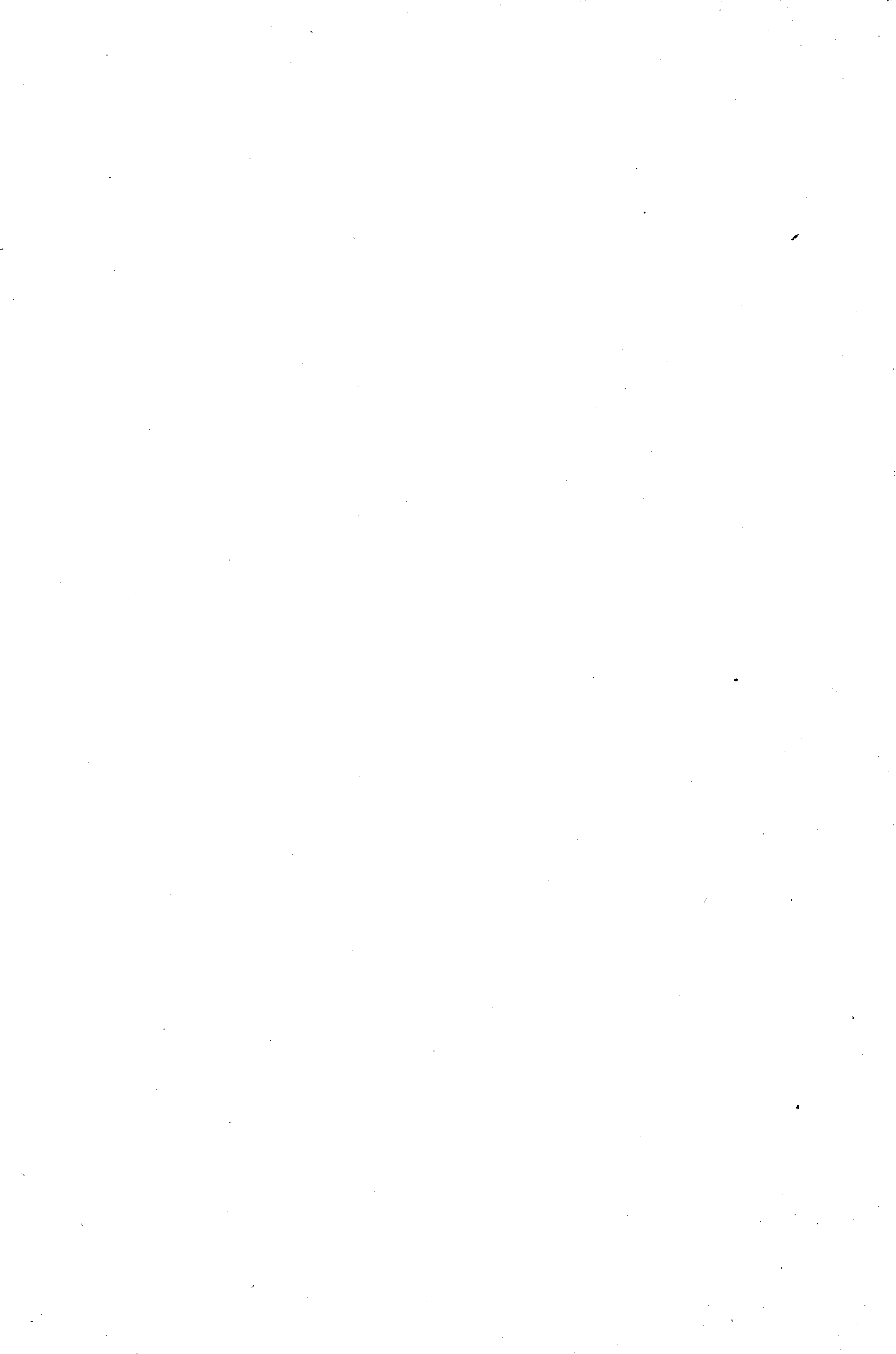
فتحية إلى الذين عانوا الأمرين ومرارة الخطر ، السجن والمواجهة بالرصاص تحية إلى الشهداء الأبرار من إخواننا الأحرار وسلام على أخواتنا الباسلات ، وعلى أرواح الطفولة البريئة ضحية أجلاف البهلوية .. سلام على أحياء شعبنا

---

(١) صحيفة اللواء ـ عدد ١٤ كانون الأول ١٩٧٨ ص ١٢ ـ والآية من سورة آل عمران .
(٢) القرآن الكريم ـ سورة الفجر ٨٩ ـ آية ٢٧ ، ٣٠ .

وعلمائه وتحية الى الأحياء في العالمين ، عالمنا والعالم الثاني ـ وصلوات على أرواح الشهداء ، صلوات تشمل الأحياء السالمين الذين سلَّموا لأمر الله ورضوا به حامدين شاكرين ولبلائه مستقبلين ﴿ **الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون** ﴾[1] .. المهتدون المؤمنون الذين ينهون عن تسمية الشهداء بإسم الأموات ﴿ **ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات ، بل أحياء . ولكن لا تشعرون** ﴾[2]

(١) القرآن ـ سورة البقرة ٢ ـ آية ١٥٦ ، ١٥٧ .
(٢) القرآن الكريم ـ سورة آل عمران ـ آية ، ١٦٩



القسم الثالث

العمل والاعلام المعادي للثورة

الفصل التاسع

مجمل التشويهات والتحرك المضاد

يختصّ هذا القسم ببيان مساعي التشويه ، وبث الشبهات حول الثورة الإسلامية ، ليشوّهوا معالمها الناصعة ، وليثيروا الشكوك حولها بكل مكان .. كيلا يؤيدها الرأي العام العالمي .. والفصول هنا أربعة ، أوّلها حول التشويهات، ويأتي بعده فصل الشبهات ، ويعقبه بحث عن المغالطات أمّا الفصل الثالث فنردّ به على ما قيل عن الثورة بأنها عفوية تلقائية .. بينما يأتي الفصل الرابع ليقف على محاولات التقليل من شأن هذه الثورة العملاقة التي فرضت شموخها وجبروتها على العالم ، فلا مجال لمن يريد تصغيرها أو أقلمتها ، وما يحاول ذلك إلاّ الصغار الأقزام ...

نتناول في هذا الفصل بعض الخطوط البيانية للجهود الاستعمارية الرامية إلى طمس جمال الجهاد القائم وجلاله وقوة اتجاهه ، ونزع ماله من رصيد في نفوسنا وتأييد عقائدي كامن في قلوبنا .. نتطلع – وكل الشعوب تتطلع – إلى عظمة فعاليّات الشعب الشجاع ، والمصير الحتميّ الحسن كعقبى لكل من آمن واتقى – وفيما تتطلع الدنيا كلها وإذا بأجهزة الشاه وأجهزة إعلام الغرب تواصل تشويه معالم الحقائق .. حتى أصابها الإعياء والأرق ففشلت من كل وجه وبكل أسلوب ، لكنها ما برحت تمارس تقديم صفقات خاسرة ..

وستخسر بكلا جبهتي السعي الخائب .. بداخل إيران وخارجها .. وعليه فلنا أن نقسم الفصل إلى قسمين حول عالمين مورس التشويه بهما .

أوّلهما : العالم الداخلي لإيران العزيزة ..

ثانيهما : العالم الخارجي : أوروبا وأميركا خصوصاً .. ثم بإضافة الجهود الصهيونية ، مع عدم بخل أغلب الأنظمة العربية في الكرم والجود لصاحبهم « صاحب الجلالة » .

ولا ريب في أن جهود العالم الخارجي ، تعتمد أحياناً على ما يبذل من جهود في العالم الداخلي ، كيما يدعم الأجنبي زعمه بما يجري في إيران كحجة لا تردّ . وعليه فمساعي العمل داخل إيران ، هي نصف مادة العمل والتشويه بالخارج .. هذا وإن للقراء الأجانب وطيد الثقة بصحفهم « المقدسة » ورجال إعلامهم المموّلين بأموال الشاهنشاه وأجوره « المباركة » .

١ ـ التشويه الداخلي لعرقلة مسيرة الثورة :

والآن لنتعرض إلى شيء من الممارسات البهلوية ، والتي كانت من الخطورة بحيث أنها لم تكن لمجرد تزويد الخارج بمواد التشويه فقط ولا لمجرد التشويه بين صفوف الشعب الإيراني فحسب ، وإنما استهدفت وبقساوة دحر الثورة بإرباك الثوار وعرقلة خطى اقدام السائرين بمسيرة التاريخ الأسلامية الباسلة .. فإنّ إخراج الشاه لتظاهرة تأييد له وتنديد بالحركة يعدّ ـ فوق كونه تشويهاً على الصعيدين الداخلي والخارجي لشمولية الحركة وحقيقة كونها عامة مستمطبة جماهير الشعب ـ يعدّ هزيمة معنوية ونكسة نفسية شعبية حيث يرى الثوار تظاهرة توصف بأنها من الشعب وجماهيرية ، تخرج لمعاكسة اتجاه خطّهم الاسلامي الواحد .. هزيمة ونكسة كما كان ينتظر ، وحسبما كان يحلم الشاه ويتخيّل في عالم الأوهام البهلوي .. بيد أن مستوىً اليقظة الجماهيرية ، ومبلغ الوعي الشعبي كان كفيلاً بتدمير عالم أحلام البلاط والكونغرس والكنيست : ثالوث مراكز المؤامرات ...

إنّ تاريخ التشويه قديم طبعاً ، وليس عندنا سعة وقت لبيان قدم التشويه في تاريخنا الإسلامي .. أمّا بخصوص العصر فالشاه طالما شوّه الحقائق وزّيفها وطالما وقف له العلماء الأعلام وقفة « الذين لا يخافون في الله لومة لائم » ..

ضد كل أسلوب جديد أو قديم .. وليس من جديد إلاّ واستفاد من القديم ..

« أيها السادة : لا تظنوا بأنّ الجامعة الإسلامية التي يريدون تأسيسها يبغون بذلك الإنسجام مع العقائد الإسلامية ، أو المحافظة على التراث الإسلامي !! بل هي كرفع المصاحف يوم « صفين » [1] .. » .

وراح يؤكد هذا الاسلوب الإستعماري الذي استفاده العدو ، وطالما استفاد من معاوية معاني المكر والخديعة ، فقد أنجب عمل معاوية فئة الخوارج وبقي هو وهم يتلاعبون بحقائق القرآن ، ويزعمون أنهم أهله من حيث يشوّهونه .

ذاك أسلوب واحد ، وثمة أسلوب إستعماريّ يقضي بضرورة زعم نظام الحكم أنّ له فئة من علماء الدين يدعمونه بذلك .

« من هم هؤلاء العلماء الذين أيدوا الحكومة وأيّدوا الشاه ؟! إنّ علماءنا رجال بارزون معروفون ــ منهم من يقطن في قمّ ومنهم من يقطن في مشهد ومنهم من يسكن النجف ومنهم في طهران وسائر المدن ، (حفظهم الله تعالى .. هؤلاء هم علماؤنا فمن منهم أيّدكم ؟! نتحدّاكم أن تذكروا اسم واحد منهم . » [2] .

٢ ــ محاولة تزوير هوية الثورة :

واندلعت نار ثورة اليوم المشهودة ، وشبّت بنيرانها وشعلتها الوهّاجة فضاق الشاه بها ذرعاً إذ خنقه دخانها واكتوى بنيرانها .. فكوادر المؤمنين هم أجانب إذن !! والعلماء وأتباعهم يحبون الفوضى والخراب دخلوا البلاد بطرق غير مشروعة ! إنهم ليسوا أبناء الوطن .. هكذا راح الشاه يهذي .. لقد أصيب بهستيريا وجنون فأتهم الشعب كله بأنه أجنبي وليس مواطناً صالحاً .. وهذا ما يحتاج إلى سخرية على الأقل .

---

(١) الخميني القائد ــ من خطاب سماحته بقم عام ١٣٨٣ بعد الخروج من السجن أنظر ــ دروس في الجهاد والرفض ــ ص ٧٨ ..

(٢) الخميني القائد ــ نفس الخطاب ونفس الدروس ص ٧٣ .

« إنّ هذه المدن وكل الشعب الإيراني ، حسب منطق الشاه الأعوج ، دخلوا البلاد بجوازات سفر مزورة وتسللوا إلى الداخل ! إنهم حفنة من المخربين والفوضويين ! إنّ كل علماء الاسلام ... تسللوا من خارج الحدود إلى داخل إيران » [١] .

إنه تشويه للهوية القرآنية لهذه الثورة المستمرة قدماً .. وقد بذل نظام الحكم شتى المحاولات لتزوير الهوية التي وزعها العلماء على كل الشعب ، فأراد ختمها بختم أجنبي ذلك لأن حاكم طهران العسكري ـ أوفيسي ـ « يأسف لأنقياد فئات صغيرة غير وطنية لجهات تحاول التغرير بها ، واتخاذ الاحتفالات الدينية مبرّراً للإصطدام بقوات الأمن » [٢] .فليس لجهات أجنبية فحسب وإنما كل منقاد لها يعدّ من غير الوطنيين .. ولم يفلح هذا الجنرال العسكري .. فحمل ختماً أحمر شيوعياً ليختم به الهوية الثورية ، كما فعل الشاه الذي لم يفلح منذ سنين، إذ فشلت كل التجارب ، فاضطر الجنرال ليضع ولو خطاً أحمر أو نقطة حبر حمراء فوق الهوية مع تحذير « من أن الشيوعيين يحاولون استغلال الحماس الدينيّ لدى المسلمين خلال شهر محرم .. » [٣] .

أمّا أكثر تصاريحه « صدقاً » و « صواباً » و « حقيقة » فقوله : « إنّ هذا النوع من الأعمال وتوزيع المنشورات الهدّامة وترويج الإشاعات لن يؤثر على القوات المسلحة ، بل سيجعلها أكثر ثباتاً في وقفتها » [٤] أية قوات هذه أمّ أيّ ثبات في أية وقفة ؟!. إنّ الجيش للشعب وقد تجاوب مع أهله ففرّ وهرب الكثير كما لا ينكر الجنرال « الجليل » ثم إنّ التجاوب الموضعي مع القضية في تزايد وتحوّل من حالته الداخلية الموضعية إلى حالته الحركية ذات الفعالية ، أمّا ثقة الجنرال بالجيش ناظراً وبعين أميركية إلى القوات والجنرالات الأميركان فهي ثقة عارٍ سوف يغسلها الدم الذي وقع في الثكنات كما لا يجهل الجنرال .. وهو

---

(١) كما يسخر السيد الخميني اثناء خطاب له بالنجف الأشرف ١٣٩٨ نفس الدروس ص ٣٠٣ .

(٢) صحيفة السياسة الصادرة بالكويت ـ عدد ٣٧٤٨ ص ١٦ .

(٣-٤) صحيفة البيرق الصادرة بلبنان ـ عدد ٤٠٩٧ ص ٧ .

الذي سبق وأن كشف النقاب عن شيء ما وبتحفظ وبتشويه . « عن أنّ بعض الجنود قُتلوا في أعمال أخيرة من قبل خائنين ليس لهم أيّ خطّ وينفّذون أعمالاً غير إنسانية بأوامر أجنبية .. » .

ولما لم ينفع أيّ أسلوب توسلوا إليه وتشفعوا به ، لجأوا إلى تلطيخ هوية الثورة إذ لا سبيل إلى تزويرها بأي ختم ما ... وهنا نلاحظ عملية التلطيخ ذات الأسلوب الغامض تقريباً إذ حثوا « الزعماء الدينيين على إبلاغ أتباعهم عدم السماح للخائنين بالتسلّل إلى صفوفهم والتسبب بالاضطرابات بأسم الدين »[1] وكيف يسمح العلماء بذلك وهم يدركون وجود خائنين خطرين جداً طالما حثوا أتباعهم على عدم السماح لبقائهم أحياء إذ كان أبرزهم الجنرال وبعض جنده والسافاك وأزلام الشاه ، أليس للزعماء الدينيين قدرة الحثّ بهذا الخصوص ، فكيف يجهل عليهم إمكانية تجنب الخائنين أينما كانوا .

هذا ولا شك أنّ للزعماء بيانات تتضمن حثّاً وتوجيهاً للشعب بشتى الأمور لم تسلم من تشويهات السلطة ، ومن تلاعب الجنرال هذا ومن أمثاله ، فهم أحرى بالتفهم ، ولهم يجب النصح من باب أولىٰ ، إذ أنّ « نظام الشاه يشوّه عامداً بيانات آية الله الخميني إلى أنصاره في محاولة لتشويه سمعته » .. « وكان أنصار الخميني قد نفوا بشدة أن يكون الزعيم الديني قد دعا أنصاره إلى إراقة « سيل من الدماء » أثناء الاحتفال الحالي بشهر محرم »[2] .

وعليه فلم تجد نفعاً محاولات تزوير هوية ثورة الاسلام والقرآن الكريم .. ثم لم تجدِ نفعاً محاولات التلطيخ .. أمّا أشدّ المحاولات يأساً وقنوطاً ، فهي القيام بتظاهرات مختلقة مصطنعة لصالح النظام الغاشم ، باستغلال عواطف دينية عند السذج والبسطاء من الناس .. كما يخبرنا ويميط اللثام النصّ الخميني أدناه :

---

(١) صحيفة البيرق السابقة ..

(٢) صحيفة الغارديان ، عن صحيفة السياسة ـ عدد ٣٧٤٨ ص ١٦ .

« .. إنهم حملوا عدداً من السذج في الباصات إلى جانب عملائهم ومخابراتهم - وقالوا لهم أنهم يريدون أن يأخذوهم إلى الزيارة في قمّ ، حيث مقام السيدة فاطمة (ع) بنت الإمام موسى بن جعفر (ع) ، وعندما أكتُشِف لهم الأمر فرَّ عدد منهم ! والذين لم يتمكنوا من الفرار رفضوا ترديد الشعارات وأصبحت التظاهرة المصطنعة كأنها موكب تشييع جنازة ! وحتى الدوائر التي أُمرت بالمشاركة بالإضراب والتظاهرة الزائفة تجاهلت تلك الأوامر نهائياً »[1] .

﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلاّ أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون ﴾[2] .

٣ - هويّة بديلة مزيفة :

بمعنى أنّ هوية جديدة أريد لها أن تقابل هوية الثورة غير المزورة وغير الملطخة هذه الهوية الناصعة الجليلة .. فاليأس الحكومي حتمّ صنع وطبع هوية جديدة ، هوية مزيفة كبديل ، وذلك باختلاق ثورة مضادة ، أو إضرابات وتظاهرات جديدة تقابل تلك التظاهرات وتدحر مسيرة العظمة الإسلامية غير أنّ ما علينا بيانه هو فشل أسلوب الخدعة والجذب عن طريق العواطف الدينية لزيارة مرقد أو مقام مقدس ، فاضطرت إلى ملجأ جديد بفتح خزائن الأموال ، وإغراء بسطاء الناس وسخفاء الموظفين والماديين ..

« وذكر كثير من الفلاحين ، أنّ البوليس السياسي أعطى كلاً منهم ١٥٠٠ تومان[3] » .

« وباستثناء بعض المناصرين للملكية الذين أخذوا يمزقون صور الإمام ، فقد اعترف كثير من المتظاهرين بأنهم مأجورون وقال بعضهم أنهم أخذوا ألف

---

(١) الإمام الخميني ، من خطاب ١٠ ربيع الأول ١٣٩٨ هـ - بالنجف الاشرف دروس ص ٢٨٢ .
(٢) القرآن الكريم - سورة التوبة ، آية - ٣٢ .
(٣) مجلة الوطن العربي - عدد ٦٦ ص ٢١ .

ريال « حوالي سبع جنيهات » لكل واحد للإشتراك في المظاهرات »[1] .

ومهما يكن ثمن الثورة الرخيصة والمبلغ الزهيد للتظاهر من أجل الشاه ، فإنما هي شكليات ومظاهر سطحية سوف تحطم النظام ، إذ ستولد لديه الندم التام والمتكرر في كل عملية إخفاق يائسة تعيسة شقية ، لقد خسر الشاه فكره وتخطيطه كما خسر من الأموال ما قد فضحه به حتى الحائز عليه .. لكنه استمر على هذه الخطة ، إذ ليس له عيش بغيرها .. وإن استمر الندم يأكل به .

« ولجأ الشاه بعدما استنزف كافة أوراقه ، إلى السافاك ، لتدبير تظاهرات مضادة للتظاهرات الشعبية المناوئة له ، ولكن السافاك لم يستطع سوى جمع العشرات .. بل وقل بضعة مئات من الصبية الذين لم يغصّ بهم شارع واحد في مدينة أصفهان ، حملوا العصيّ وراحوا يهتفون تأييداً للشاه ، بينما كان الجيش الإيراني يجبر أصحاب السيارات على إلصاق صور الشاه على زجاج سياراتهم .. ولكن تظاهرة الصبيان المُضَلَّلين كانت مدعاة للسخرية ، ولا شكّ أنّ القصر نادم عليها »[2] .

أصفهان أيضاً حيث تكرّرت فيها مشاهد تزييف وصنع المسيرات بتكلّف يلحظه عوام الناس وأبسط أصحاب الوعي النسبي ، يدركون بأنّ هذه المسيرات لا تشكل سوى سطحيات وفقاعات سريعة الزوال لأن رجالها « ليسوا سوى جنود نظاميين في ملابس مدنية »[3] يصنعون الصخب ويحشرجون فتبح حناجرهم بلا جدوى .. أو أنّ الموكب الذي شكلته سيارات كبيرة لا تحوي أو تحمل غير الفلاحين « وبدا أنّ معظم المشتركين فيه هم من القرويين الذين جيء بهم من الريف »[4] ، عمليات إجبارية لتحشيد سيارات الأهالي ، لصنع رتل مسيرة منها ، أو سيارة مارة لا تحمل صورة « صاحب الجلالة » توقف لتجبر على ذلك ، وما إن تتحرك لتنعطف حتى تسقط الصورة وفوقها تسقط لعنات الله

---

(١) الأوبزرفر ـ ترجمة صحيفة الرأي العام عدد ٥٤٧ ص ١٧ .

(٢) مجلة الهدف ـ عدد ٤١٨ ص ٥٣ .

(٣-٤) صحيفة السفير عدد ١٦٧٣ ص ١ عن وكالة الأسوشيتدبرس .

وسائق السيارة ، إطلاق أبواق السيارات والإشارات الضوئية كعلامة تأييد للتظاهرة الحكومية أمرٌ لا مفرّ منه ، لكن السوّاق وبعد أن يتجاوزوا خطوط الخطر ، يكفّوا عن ذلك كأمر لا مفرّ منه أيضاً كرهاً وحقداً وثورة .

أصفهان ، شيراز ، تبريز ، عبادان . وغيرها من المدن الثائرة شهدت تزييفاً لمسيرات بهلوية ساخرة حدّ الإفراط . لاحظ هذه المسيرة مثلاً .

« إفتتح الجنرال ناجي المسؤول عن تطبيق الأحكام العرفية ، هذه المسيرة في الساعة الحادية عشر ، يحيط به كبار مساعديه ، وأمامهم مائة من « المجاذيب » يمسكون صورة الشاه بيدٍ ، وبالأخرى عصاً أو سكيناً ، يرقصون رقصة الموت على مشهد من بعض المارة ، وراءهم ثلاثمائة سيارة تقريباً معظم أصحابها من عائلات الجنود أو رجال البوليس السياسي ، يهتفون بشعارات متنوعة ، وخمسون شاحنة عسكرية امتلأت بالمزارعين المبهوتين ، ثيابهم رثة ، وهم يلوحون بصور العائلة المالكة ، يشجعهم الجنود بإطلاق زخّات من الرصاص في الفضاء ، وتطوف هذه المسخرة طيلة ساعات عديدة بكل شوارع المدينة مهددة متوعدة محطمة بعض واجهات المغازات (المحلات) التي لا تعلق صورة الشاه » [1] .

بل إنّ الشاه وضع تحت تصرف الصحفيين طائرة خاصة ، ليلاحقوا حضور « المشاهد الخاصة » ، وليقوموا بدور التغطية الكلية ، فتسهل التعمية التعسفية لبصر وبصيرة الرأي العام العالمي .. وقد حظي كل صحفي بأروع لحظات ضحك أثناء وبعد حضوره « المشاهد الخاصة » والمسرحيات الفكاهية الشاهنشاهية المرحـة ..

أمّا تبريز تلك المدينة التاريخية ذات السمعة المشرّفة ، والمتمتعة بفعاليات ونشاط كبيرين ، فقد أراد الشاه أن يسيء لسمعتها بتزييف المسيرات فيها ، وإقامة المهرجانات على وجه الخصوص كأفضل أسلوب من صنع مظاهرة بمعنى

---

(١) اللونوفيل اوبسير فاتور ـ ترجمة صحيفة الأنباء عدد ١٠٧٢ ص ٩ .

أنه عجز عن تزييف المسيرات بإتقان .. فأمل أن يزيف المهرجانات بإتقان وكفاءة، وهي محاولة قد تكون مضمونة الإتقان ، وإن كانت يائسة ، فراودة الأمل لها أكثر من المسيرة ، لكنه من يضمن صمت الشبيبة الثائرة «بإتقان» .. فما أن أقيم مهرجان واحد حتى ردّت الثورة عليه بتفجير تظاهرة كمحاولة جوابية عمليـة ..

«حاول الطلاب الردّ على هذا المهرجان بمظاهرة معادية ، ولكن دبابات الجيش طوّقت كل المعاهد والأبنية الجامعية ، واستطاع الطلاب أن يوزّعوا بالألوف منشوراً مليئاً بالسخرية كشفوا فيه الستار عن ألاعيب النظام في حشد مظاهرة الاحتجاج الحكومية على مظاهرات الاحتجاج الشعبية [١] .

وبذلك فقد حقّ بالشاه الفشل وأضحى عنوان السقوط ورمز الخسران ، في الدنيا والآخرة ، لقد انهار وتداعى قصره ، وليته تداعى على رأسه كما قد يتمنى لينتهي وينعدم .. فالشباب نشيط لا يطاق والشعب كل الشعب شجاع لا يخاف .. وبالتالي فنصيب الشاه الفشل الذي لا يقاس .

لقد حشدت الشبيبة طاقاتها بتبريز ، كما بكل إقليم في ايران العزيزة. واستعملوا وسيلة المنشورات ، وهم الذين ما فشلت بأيديهم أيّ وسيلة حملوها ، بينما كسرت كل أسلحة الشاه دونما سلاح يقيه البقاء ، كانت منشورات تبريز بالآلاف ، تدعو لليقظة والوعي والتماس الفطنة وتحذر من الإشاعات ، وتُجنب القاريء والمستمع له والسامع عنه مغبّة التشويهات كما تحثّ على التلاحم الوثيق بين جميع القطاعات والمقاطعات .. وهكذا توقظ المنشورات .

«إننا نطالب جميع الإيرانيين بالإتحاد للخلاص من الحكم الفاسد ودحر النظام .. وإننا في آذربيجان لن نتخلّى عن إخوتنا في المقاطعات الإيرانية الأخرى، وسنعلنها حرباً مقدسة .. سيكون النصر فيها لحزب الله» [٢] .

---

(١) مجلة الوطن العربي ـ عدد ٦٦ ص ٢١ ، ٢٢ .

(٢) نفس المصدر السابق

﴿ الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب ﴾ [1]

* * * *

ولا يفوتنا تسجيل ما يجدر بنا ذكره من مشروع ضخم وخطير كلّف الشعب غالياً حينما صمم الشاه على تعميق التشويه بضربة قوية توهم بأنها فعالة تبلغ منتهى الأرب وأقصى الغاية ، فأغلق إحدى صالات السينما بمدينة عبادان على من فيها من الصبيان والشبان ، ثم فجرّها بالقنابل ليوهم العالم والدنيا بأنها عملية تخريبية من قبل الثوار .. وفعلاً أتّهم الثورة وحمّلها وزره الثقيل وأشاع الأمر عالمياً .. ولم أنس وقتها ما عانيته لإقناع قلة من الناس عندنا ممن استحوذت عليهم الشبهة الشاهنشاهية ، إذ كان اختيار الشاه لدار السينما مدعاة للتصديق النسبي لدى البعض ، تحسباً لشدة حقد الثوار على السينما ومشتقّاتها .. وهكذا ذبح « صاحب الجلالة » أربعمائة نسمة بيده وبلحظات قليلة ..

« ومن الشواهد الأخرى لتدبير هذه المؤامرة هو قول الشاه قبل وقوع الحادثة : بأن المتظاهرين الذين يعارضوني يعدّون شيئاً مخيفاً وهائلاً ! ومن ثم قوله بعد وقوع الحادث بأن : هذا هو الذي حذّرت منه ! ! » [2]

وهذا من أخطر مشاريع وعمليات تزوير وتلطيخ هوية الثورة الاسلامية النزيهة ..

وقد سبق لسماحة الإمام كاظم شريعة مداري أن صرّح « قبيل وقوع مأساة عبادان قائلاً : « إننا لم نوافق أبداً على أسلوب تدمير دور السينما والمصارف ونحن أيضاً نعارض تدمير دور الدعارة بالعنف » .

---

(١) القرآن الكريم ـ سورة الزمر ٣٩ ـ آية ١٨ .

(٢) الإمام الخميني ـ من بيان ١٧ رمضان ١٣٩٨ ـ دروس ٣٦٩ .

وبالرغم من كل تلك الممارسات ومجمل ممارسات التشويه والتكلّف في جمع المؤيدين بملابسهم الإيرانية على أقل تقدير ، وبالرغم من عزله التام عن مجتمع الإسلام وسحقه سحقاً جماهيرياً شعبياً فإن للأجانب رأي وكلام .نشتم منه روائح خاصة .

« الشاه يتمتع أيضاً ، بقاعدة شعبية واسعة وخاصة في صفوف الجيش ، وأوساط الفلاحين ، كما في صفوف الطبقة الصناعية التي نشأت مؤخراً .. والذين أفادوا جميعاً من عملية الإصلاح الزراعي » [1] .

﴿ ويريد الله أن يحقّ الحقّ بكلماتِهِ ويقطعَ دابرَ الكافرين . ليحقّ الحقّ ويبطل الباطل ولوكَرِه المجرمون ﴾ [2] .

ـ التشويه العالمي .. لتعكير الرأي العام :

بعد ذلك نعطف لبيان بعض المبذول من المساعي ، والمعمول به من الممارسات الرامية إلى قلب الحقائق على رأسها .. إمعاناً في الاستهانة والاستخفاف بالرأي العام العالمي ، وسخرية بالإنسانية وكل إنسان مغفل .. فتكرّست طاقات أوروبية غربية ، وبالأخصّ الأميركية ذات الشغف والولع بهكذا لُعب .

فتمّ للشاه ورجاله ، استئجار عدد كبير من رجال الإعلام الأجنبي وشراء كثير من رؤوس الصحافة ، بأثمان غالية لتسخيرهم للمهمة تحت طائلة العملة الصعبة ونزيف اقتصاد الشعب ، وكانت الأرقام المالية مغرية يسيل لها لعاب المهرة بتلك الألعاب ، فنسوا مزاعم الحرية والتقدمية والضمير والإنصاف وحقوق الإنسان وغيرها من الديمقراطيات المعرضة للمزاد العلني بأسواق النخاسة والسوق السوداء .. فمجّدوا الشاه أيّما تمجيد ومنحوه كل وسام ولقب ووصف

(١) مجلة التايم كمانقلت الهيرالد تريبيون ـ ترجمة صحيفة الرأي العام عدد ٥٤٦٤ .

(٢) القرآن الكريم ـ سورة الأنفال ٨ ـ آية ٧ ، ٨ ص ١٦

قديم أو جديد ، حتى رفعوه إلى مستوى الأب الروحيّ لشعب إيران الكبير ، عظّموا الشاه تعظيماً فوق طاقته ومستواه ، وأكدوا تطور البلاد وتحديث الشعب وعصرنة الواقع . كل ذلك في ظل عرش الشاه المتصدّع ..

بينما استمدّوا من التشويهات الداخلية حججاً حسبوها دامغة فرصّعوا بها مقالاتهم « النزيهة » وسجلوا أخبار ما تسخر به الجماهير ، من تأييد للشاه ، فأضافوا بذلك زخماً من المهازل التي تحوّلت مع زخم السخريات من العالم الداخلي إلى أرجاء العالم كل العالم الخارجي .

وما عملية الإستئجار بالشيء الصعب ، دلك لأنّ الشخصيات رخيصة وزهيدة إلى أضحل ثمن بخس كاستئجار الانثى هناك أو شرائها بالجملة .. فكيف والشاه يقدم الآلاف والملايين مع استدرار العطف والشفقة لحاله التي أضحت مدعاة رثاء أصدقائه الذين دعمهم ودعموه ..

وعليه فإن هناك نماذجاً ، كأحد مديري تحرير مجلة « نيوزويك » وكبير مراسليها العالميين المدعوّ « أرنو بورشغريف » ، و « روبرت موس » المعلق في الصحيفة اللندنية « دايلي تلغراف » ، « لورد شالفونت » وزير بريطاني سابق، ومعلّق في صحيفة « التايمز » اللندنية أيضاً .. وغيرهم كثير جداً .

« وآخرون ، كلهم تقاضوا رشاوى نقدية وعينية من البلاط الإيراني للكتابة عنه مديحاً .. » [١] .

هكذا فضح رجال الصحافة بعضهم بعضاً ، فقد فضح بعض من لم يسهموا أو من لهم ضمير أو عداء إزاء أولئك ، واتسع النطاق على مستوى الصحافة ذاتها وذلك على يد رئيس قسم البروتوكولات بالمكتب الصحافي للبلاط الملكي الشاهنشاهي ، وهو إيراني يدعى « سياماك زاند » هرب من إيران بلا عودة .. وممّا تضمنته الفضيحة هذه ما يلي :

---

(١) مجلة الكفاح العربي - عدد ٢٥ - ٧٠٨ ص ٥٦ .

« والتركرونكايت » الصحافي الذي تولى مع رفيقيه « باربارا والترز » نقل أفكار الرئيس المصري أنور السادات ، ورئيس الوزراء الإسرائيلي « مناحم » بيغن » تقاضيا هما أيضاً استحقاقهما ، بعضها من وكالة الإستخبارات المركزية الأميركية وبعضها على شكل « خدمات » ومنح من السادات ، وأخيراً على شكل « جوائز » مالية من المنظمات الصهيونية :

هؤلاء هم بعض « عباقرة الإعلام الغربي الشرفاء » إضافة إلى كل الأسماء التي ورد ذكرها منذ أشهر عند افتضاح تمويل وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية الـ « سي . آي . إي » لعدد هائل من الصحافيين . الأميركيين العاملين في الخارج » [١] .

وأنكر أصحاب الأسماء ، حينما وجدوا فضيحتهم ببعض الصحف الأجنبية ونفوا كونهم تقاضوا أموالاً من الـ « سي . آي . إي . » أو من « العصبة المضادة للتشهير » وهي منظمة صهيونية ، مقرها بأميركا .. وقد أعلن « زاند » بأن الصحافي الفرنسي « جيراردي فييه » وهو كاتب قصص بوليسية ـ فهو تجاري الأدب ومن هنا تعرف طبيعة موقع متجره وبأي سوق ـ هذ الكاتب كما ذكر زاند ألّف كتاباً عنوانه « الصعود الذي لا يقاوم لمحمد رضا شاه إيران » . وليس المهم الكتاب أو عنوانه ، فهو يقاوم ويسحق بل لا نسميه صعوداً إطلاقاً ، لكن المهم أن نعرف كم حصل هذا التاجر على سلعته الرخيصة : لقد استلم من زاند شخصياً ما قيمته ١٢ ألف دولار .. الخ .

والحديث قد يطول بنا لمعرفة أسرار الإساءة للثورة الاسلامية ومصدرها ودوررجال الصحافة العرب الذين يقلّدون الأجانب ، من حيث مضمون المقال أو من حيث دافعه ومبلغ الدفع له [٢] .. ويمكن مراجعة المقال لأهمية إعتماده

---

(١) مجلة الكفاح العربي ـ عدد ـ ٧٠٨ ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٢) بعدما تورد المجلة ذلك تقول مثلاً « فلماذا توجّه الاتهامات إلى الصحافيين العرب بالذات بأنهم « قبضوا ويقبضون » ؟ في الوقت الذي يتم فيه الصمت عن الآخرين » . نقول : من الإنصاف إذن عدم الصمت عن العرب « وعن الآخرين » معاً .. ونحن هنا إذ نذكر « الآخرين » فلا صمت عن العرب عند المناسبة الموضوعية .

على الأخير العميل السابق زاند «إنها جاءت على لسان مسؤول رسمي إيراني هرب قبل أسابيع (من تصاعد الثورة) إلى لندن متخلياً عن مركزه الهام في بـلاط الشاهنشاه» .

ولو أن الحكومة الإيرانية البهلوية قد تجاهلت زاند لكان خيراً لها ، فمن أسخف الردود السياسية والدبلوماسية ، ما قالته السفارة الإيرانية بلندن نيابة عن النظام ، كرد وإسقاط لاعتبار زاند الذي هرب ، فقالت السفارة .

«إنه طرد أخيراً من منصبه في البلاد .. أما قضية الهدايا للصحفيين فقالت : إنّ هذا أمراً مألوفاً في بلدان الشرق الأوسط» .

• ـ التكريس الأميركي للتشويه :

لمسنا من الإعلام الأميركي حالتين سلبيتين إزاء الثورة الفذّة .

الأولى : تتمثل بالصمت والسكوت دون أن تحرّك ساكناً وكأن لم يكن شيئاً على الأرض من دماء وهزّات إسلامية .. وكأن الحقيقة حنظل يورث المرارة القاهرة ، فلا تريد إعلان حقّ وإظهار حقوق قد فرضت نفسها فتجلّت ، ذلك لأنّ أميركا وإن أعلنت ـ فرضاً ـ عنها وعلّقت عليها ، ولو من باب التشويه والتضليل ، فإنّ الناس ستُستفزّ خصوصاً من يعون قضايانا فيدركون أخيراً بيت القصيد .. ولذا رأيناها تلوذ بالصمت .

الثانية : تمثّلت بما اضطرت إليه أميركا بعد ما اختارت بين الموقفين ثالثاً لا مناص من اختياره ؛ امّا موقف الصمت ، ولكن إلى متى ؟.

وإما موقف التصريح بالحقائق ، ولكن ذلك مستحيل بمعزل عن تشويه وجه الثورة الناصع البياض .. ولذا فقد اختارت التصريح مع التشويه والتضليل إذ تحرّجت بصمتها الطويل ، وعجزت عن اعلانها بالصدق والتحقيق .

فوصمت الثورة وقيادتها بالرجعية السوداء ، واتهمت بإرادتها الرجوع إلى

القرون الوسطى و ... الخ . أمّا الشاه فهو من لا مثيل ولا نظير له . فرد متطور جداً ، متعصرن غير متعصب ، متحدّث ممتاز يتناسب والعصر والقرن العشرين والحضارة الحديثة .. كّرروا هذا وألحوّا على تركيزه بتكريس الصفحات للمقالات الطويلة العريضة ، ولم يكّرروا ويكرّسوا كونه يتناسب وطبيعة خزائن أميركا ويتفق مع جريان البترول ذلك النهر المقدس ذي الموقع الروحي الأعظم من موقع الإنجيل الذي شربوا ماءه وهم مستعدون لبيعه بثمن أبخس مما باعه الأحبار ...

الخميني ، متعصب ، ورجعي .. رجعيته سوداء ، تميّزاً عن الرجعية البيضاء التي لم نعرف عنها شيء .. التقدمي المدعوّ بالسيناتور هنري جاكسون ، رئيس مجلس الشيوخ لشؤون الطاقة والمصادر الطبيعية ، يرى أنّ من الرجعية أو من التعصب مثلاً أنّ « آية الله الخميني سوف يؤثر على الزعماء العرب « المتشدّدين » عندما يعود إلى إيران » [1] . وسوف يؤثر على سياسة الأسعار النفطية ..

ولكننا لم نفهم مقصده بما ينسبه من تشدّدللمتواطئين . أيّ تشدّد يقصد أم بأي كرسي يزداد المتشددون تشبثاً ؟.. تشويهات ومجرد تضليلات ، وإن كنّا نفخر بأن يحدث التأثير عاجلاً أو آجلاً .. من التشويهات ما قيل بأنه مدعوم من الخارج ومساند بقوة ليست عادية ، كما ورد المعنى ضمنا بهذا النصّ الصغير « كان يهاجم في السابق شاه إيران في اذاعات سرية » [2] .

لا ندري أية إذاعات هذه أم أية سرية تلك . ولماذا هذه السرية ؟ ومتى بالتحديد ؟ لماذا قيل بكلمة الغموض والإبهام « في السابق » . ليت هذا الزعم يصح فإنه ليسعدنا .. ترى هل بمنزل السيد بالنجف إذاعة تبث على الموجات « السرية » ..؟ على كل حال فالشاه يستحق كيل ضربات الخميني سراً وعلانية ..

إنه زعم يهون قياساً لما وصف به من من تعصّب « للغاية » وأنه ألف كتاباً

---

(١) صحيفة الرأي العم ـ عدد ٥٤٦٤ ص ٧ .

(٢) اليوإس نيوزاند وورلد ربيوت ـ ترجمة صحية الأنباء عددها اليوم ٢١ / ١١ / ١٩٧٨ .

لمريديه حول شخصه المتعصب ، حسبما ذهب إليه هنري جاكسون .

« الخميني وضع في منفاه بالعراق كتاباً بعنوان « قصة رجل متعصب للغاية» يعيد إلى الأذهان كتاب القائد النازي الألماني أدولف هتلر وعنوانه « قصة كفاحي » [1] .

لا أريد القول بأنني بحثت فلم أعثر على هذا الكتاب ، إمعاناً في نكرانه .. وإنما في الواقع ، لا أملك فائض وقت ، ولا رغبة تنقب عن شيء في عالم العدم، واللاوجود .. لا يهمني مضمون الزعم فلننساه جميعاً ولكن أليس مؤسفاً صدوره عمن يفترض به أن يكون مسؤولاً عن كلامه أو أيّ تصريح يدلي به ؟!..

واقعاًثمة نماذج وقحة للغاية تكذب بلاثمن وتفتري بلا مراعاة لمحكمة المستقبل التي تفضح أمثال هؤلاء الذين انسلخوا وانمسخوا فلا قيم ولا مثل ولا إنسانيات ، ولا حتى الحفاظ على الذّات بأقل تقدير .. بينمانجد ثمةشخصيات تحرص على الصراحة ، فتصرح بحقائق تعاكس التضليل الذي يكرس البعض له من عمره ما يسلخه ويمسخه .. وكلا الشخصيتين من قومية واحدة أو كل الشخصيات من معدن واحد .. ف « رامز كلارك » أميركي أيضاً كجاكسون وكلارك وزير العدل السابق .. تسمعه يقول عن الخميني القائد بأنه « أبعد ما يكون عن التعصب » [2] وليس الكلام لرامز وحده .

« أعلن أحد الخبراء الأميركيين بشؤون ايران أنّ الصورة التي أعطيت عن الزعيم الديني آية الله الخميني بأنه : « معادٍ للتقدم ويسعى إلى دولة إسلامية متعصبة » . هي صورة خاطئة تماماً » [3] .

أمّا « ريتشارد كوثام » وهو أميركي أيضاً ، أستاذ العلوم السياسية في جامعة

---

(١) صحيفة الرأي العام ـ عدد ٥٤٦٤ ص ٧ .
(٢) صحيفة الوطن ـ عدد ١٥٧٨ ص ١٣ .
(٣) صحيفة السفير ـ عدد ١٦٩٧ ص ١ .

بيشبرغ ، التقى بالسيد القائد بباريس ، وأدرك تخرّصات المتخرّصين وافتراءات المفترين ، وممّا قاله :

« إنّ الخميني يدعو الى إسلام فاعل إجتماعياً وإن الشعب يجب أن يحصل على حريته من أجل تطوير شخصيته الوطنية » .

ربما ذكرنا هذه النصوص في غير مناسبتها ، ولكن زعم هنري جاكسون وما ساد أميركا وغيرها من نظرة تعصب لنا ولقيادتنا هو الباعث على الردّ وليس النقاش الفكريّ بالبراهين الدامغة ، الردّ ولو من باب ﴿ **وشهد شاهد من أهلها** ﴾ قرآن كريم ..

٦ ـ مساعي الصهيونية وبعض الدول المذعورة

ما كانت الحركة الصهيونية لتدّخر وسعاً ، أو لتبخل بمال من أجل دعم الشاه وتشويه كل من الإسلام بالذات والإمام الخميني شخصياً ومن ثم الحركة الثورية القائمة حالياً ..

ترى هل للمجهودات الأميركية والصهيونية وغيرهما قدرة على الحدّ من الثورة ، أو تشويهها إلى الأبد ..؟ كلا .. وهذا ما تعرفه القوى المذكورة .

فلماذا إذن متابعة وممارسة هذه المساعي المخفقة سلفاً ؟.

سؤال لا يفتقر إلى جواب ، وهو جدير بالإجابة والفهم .

نقول : إنّ أهم ما تستهدفه أميركا مثلاً ، من وصمنا بالتعصب هو اعطاء سابقة ذهنية للأميركان ـ وغيرهم طبعاً ـ ، لما ستسفر عنه مواقف الإسلام الحاكم المبدئية حيال الإمبريالية الأميركية وأشباهها من قوى معادية لنا ولمبادئنا . إنها لكي تدفع اللوم المرتقب من قبل الشعب الأميركي لحكّامه ورؤسائه ، فقد سبقتهم بأدعاء تعصبنا ضدهم والحال نحن براء إلاّ من حتمية وقوفنا المتناسق مع رسالتنا القاضية بمقاطعة كل ذوي الأطماع والاستهتار ..

نفس هذا التفسير ينسحب على القوى الصهيونية المتأكدة جـــداً من طبيعة موقف إسلامنا ، وماهية الثورة والحكم المنتظر لما بعد انتصارها ، وهي تعي موقف الثورة إزاءها مسبقاً ، وبعد مباشرتها فعالياتها النشطة القائمة لحدّ الآن .

إذن فهم يمهدون لتبرير معارك الاسلام الإيرانية القادمة ضد الكيان الإسرائيلي والوجود الصهيوني ، وهي معارك قريبة عهد كما توعدّهم الخميني القائد ولم يزل مقيماً بباريس . فكيف به لو انتقل إلى طهران ليمسك بناصية الحكم وزمـام المعركة الرهيبة ضد اسرائيل ، والسابقة الذهنية التي أعطتها الصهيونية لبيان سرّ تحرك الإمام الخميني مخطط الحروب المقبلة ، هي أنه ينطلق من موقع عدائه للسامية ، زيادة على تهمة المنطق الأميركي بالتعصب ، فما على يهود العالم إلاّ أن يكثفوا الدعم الكامل بشرياً ومالياً للوقوف ضد الموجة الخمينية المعادية للسامية . حسب نظريتهم المعتادة بالتذرّع بالحرص على هذه السامية صاحبة الجلالة ..

وبعد : فالتضليل والتعمية من قبل الأطراف هذه ليس وصولاً لإحباط الثورة وضربها فذلك ما أضحى حكمه مستحيلاً بلطف الله ، وإنما جاءت عمليات التعمية كمبادرات عاجلة لتسويغ ما يجري مستقبلاً ، إنها متأكدة من ظفر الثورة بالنصر وقبض الثوار للحكم .. بعد هذه المقدمات أرى ضرورة نقل ما ورد من فقرات صغيرة بإحدى الصحف ، حول الجهود المعادية لا للسامية بل للانسانية جملة وتفصيلاً بما فيها العداء للإسلامية .. .

« بدأت الأوساط الصهيونية في الولايات المتحدة حملة تشنيع ضد الإمام آية الله الخميني . وقد وزّعت تلك الأوساط على الصحف بعض الأقوال والخطب المنسوبة الى الإمام الخميني في محاولة لاظهاره ضد السامية .

« كذلك بدأ بعض المعلّقين الأميركيين المعروفين ، ومنهم جوزف كرافت ، انتقادات للإسلام ، لأنه حسب زعمهم «حركة رجعية من العصور الوسطى المظلمة » [1] .

أجل : « شنشنة أعرفها من أخزم » .

---

(١) صحيفة القبس ـ عدد ٢٣٨٤ ص ـ ٢٠ .

« أحد المراقبين قال : لو أنّ الخميني وعد إسرائيل بالبترول لكان في نظر هؤلاء أكبر متمدن »[1] .. حتى لو كان رجعياً بمقياسهم ...

وهذا من أطرف التعليقات أو التعقيبات المصيبة جداً

وصدق الله ربنا ﴿ **لتجدَنّ أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا ، اليهود والذين أشركوا** ﴾[2] .

* * * *

إنّ هناك وحدة واتحاداً حديثي عهدٍ ـ أكثر من ذي قبل ـ بين إسرائيل وعدد من الأنظمة ـ فنها الظاهر المباشر ومنها المختفي اللامباشر .. عدة حكومات وقفت مواقف هي نفسها مواقف إسرائيل في هذه الأحداث .. ولقد ظننت أنّ المواقف ستتغير كلما تصاعدت الأحداث الثورية . ولكن لا .. فالمواقف نفسها والوجوم والجزع باديان لحدّ الآن حيث وصل الإمام إلى طهران .. فبعد ما قيل أن القائد متعصب معادٍ للسامية قيل كذلك أنه طائفي

فما الذي يدعوني لفصل هذه السياسة عن نظيرتها الإسرائيلية ؟ وسوف نذكر هذا الجانب في الجزء الثاني ، وإنما اقتضت الإشارة هنا في إطار التشويهات على الصعيد العالمي .. وما بذل من جهود وأموال طائلة .

وأخيراً .. فلنأخذ شاهداً أجنبياً يشهد بحقيقة .. هي :

« أنّ نسخة الشاه لتبرير الأحداث ، ما كانت لتأخذ بها الصحافة ، ولا كانت لقيت من الصحفيين مثل هذا الترحيب ، لو كان هؤلاء يدركون تركيبة إيران الاجتماعية ، وتاريخها الحديث ، ذلك أنّ النظرية الاجتماعية للشيعة

---

(١) صحيفة القبس ـ عدد ٢٣٨٤ ص ٢٠ .

(٢) القرآن الكريم ـ سورة المائدة ٥ ـ آية ٨٢ .

راحت تفسّر من جديد كدعوة للنهوض ضد الشاه والنظام القائم [1] .. الخ .

وبذلك فقد خاب السعي وفشلت المساعي وهدرت الأموال المغرية للاعلام .

﴿ إنّ الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدّوا عن سبيل الله ، فسينفقونها ، ثم تكون عليهم حسرة ، ثم يغلبون ، والذين كفروا إلى جهنم يحشرون ﴾ [2] .

---

(١) هيرالد تريبيون ـ ترجمة الرأي العام ٥٤٦٣ ص ١٦ .

(٢) القرآن الكريم ـ ٨ / ٣٦ .

الفصل العاشر

مجمل الشبهات والاخطاء والمغالطات

﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ـ إن السمع والبصر والفؤاد ، كل أولئك كان عنه مسؤولا ﴾ [1]

« اللهم أكشف عن بصائرنا ستائر الأوهام حتى نرى الحقائق كما هي كيلا نضلّ ونشقى » [2] .

• لنختصر كلاً من هذين الفصلين تحت عنوان وفصل واحد بعدما كدنا نوّسعهما فنطيل المقام على القراء الكرام ..

إننا في القسم الأول من هذا الفصل نريد بيان حقائق لا غنى لنا عنها « كيلا نضلّ ونشقى » .. فلم يكتف المشبوهون بمشاريع التشويه التي طبقت فاستحوذت وأضلت لا سيما على صعيد العالم الخارجي ؛ لقد أضافوا جهوداً إلى تلك الجهود الخاسرة ، فتمثلت بمحاولات الإمعان بتلطيخ هوية الثورة والثوار ، والإمعان في الكيد لصنع شبهات يطلقونها كيما تحوم حول رؤوس الناس لتنفذ إلى الأدمغة فتفسد العقول وتميت القلوب والأفئدة **﴿ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾** .. قرآن كريم .

---

(١) القرآن الكريم ـ سورة الإسراء ، آية ٣٦ .

(٢) الإمام أمير المؤمنين علي ـ عليه السلام .

ولعل مما ليس في محله أن نفصّل لنؤكد حقيقة أن الاسلام بمفاهيمه وتوجيهاته التحررية السامية كفيل بحراسة المثقفين المؤمنين وتحصينهم بقلعة القرآن الأمينة، وعليه فإن أي مسلم ينبغي عليه أن يأخذ من المفاهيم الاسلامية ما يكفل له الحفاظ على شخصيته من موجات التشويهات وتيارات الشبهات المستهدفة للثورة الكبيرة هذه أو أي حدث إسلامي هام .

١ ـ « كان الشاه يلصق التهمة تارة باليسار الدولي ، دون تحديد الجهة المسؤولة ، وتارة يقول أن تحالف اليمين المتطرف مع اليسار (حلف الشياطين الحمر والسود) هو الذي يقف وراء التظاهرات .. » [١] .

هذا نمط من الصيغ العاجزة . فنظام الحكم حائر مضطرب غير قادر على حفظ سمعته حتى خارج الحدود الايرانية .. بينما ترى صوراً أخرى أشدّ ظواهر الحيرة والعجز حينما نستعرض بعض الشبهات التالية ..

٢ ـ الشيوعية ـ حزب تودة : ـ لقد كّرر النظام العميل ربط الثورة الجبارة بخيوط حمراء راخية لا قوة فيها ، متجاهلاً أن عظمة الثورة التي ترتبط بخيوط متينة مكوّنة « حبل الله » الممسوك بقوة ، لا يمكن أن يصدق عنها زعم رخيص كهذا ..

« هنا لا بد من الاشارة إلى أن القوى التي تقود الانتفاضة لا تلتقي إيديولوجياً مع الاتحاد السوفياتي ، وحزب توده الذي يمكن أن يكون كذلك ، لا يلعب إلا دوراً هامشياً في الأحداث الحالية .. » [٢] .

ولكن من يمكنه تنبيه الشاه من غفلته وعار جهله وتجاهله قبل أن يعلن ويصرخ ؟..

لا أحد يستطيع .. ولكن كل مثقفٍ واع يستطيع أن ينبّه الناس الى الحقيقة

---

(١) مجلة الدستور ـ عدد ٣٩٤ ص ١١ .
(٢) مجلة فلسطين الثورة ـ عدد ٣٧ ص ٢٨ .

وكذب مزاعم الشاه وتصريحاته للمراسلين حينما أعلن بمؤتمر صحفي .

« ان المظاهرات هي ، **بكل تأكيد** ، من عمل الشيوعيين الذين يعملون تحت أسماء مختلفة بهدف تعميم الفوضى .. وأضاف : ان معظم رجال الدين الايرانيين ليسوا ضد النظام الملكي » . وظنّ الشاه ان الأمور قد استتبت له في نهاية المطاف .. بل هو على يقين من أن الأمور سوف تستتب له لأنه قال بأن رجال الدين ليسوا ضد الملكية وكفى به « صديقاً » وبقوله « حجة » .

٣ ـ الاتحاد السوفياتي : ـ وقيل ـ وأصحاب الاقوال من ذوي الأجور الباهظة والضمائر الضائعة كثيرون ـ ان الاتحاد السوفياتي هو سيّد الموقف الايراني المتحكم بضوابط الثورة الجارية .. صحيح أنّ السوفيات يودّون تحديد فاعلية دور الشاه بوسط آسيا والقرن الأفريقي ، ولكن هل صحيح أنه تمكن من بلوغ مشروعه لهذا الحدّ وهذه الدرجة .

« ان موسكو لا ترغب في رؤية جمهورية إسلامية . (والكلام للمراقبين السياسيين) ، تقوم في إيران تحت هيمنة علماء الدين المتشددين . فربما تشكل هذه الجمهورية خطراً على المناطق الإسلامية في جنوب الإتحاد السوفياتي والمتاخمة لإيران » [٢] .

وهنا مَنْ يا ترى يوقظ أصحاب الرأي المذكور ، الذين يحتجون برغبة السوفييت في منع التقارب بين الصين وإيران الذي يعني أخطر تقارب ضدهم ـ أي السوفييت ـ ولحجّتهم هذه يبرهنون بشدة العنف الذي ظهر في الشوارع عند مجيء رئيس الصين لزيارة « جلالة الشاه » ـ في الشهر التاسع من عام ١٩٧٨ ـ في خضم الاحداث ، وقد استنكر الخميني القائد هذه الزيارة وعاب على الضيف أن يأتي للبلاد في هذه الظروف ، حيث إنه لم يتورّع عن تعظيم وتمجيد الشاه ومدح

---

(١) مجلة الدستور ـ عدد ٣٩٤ ص ١١ .

(٢) مجلة الوطن العربي ـ عدد ٩٦ ص ٣٩ .

مكتسبات وإنجازات ثورته البيضاء في حين أنه لم يسر في الشوارع فقد نقل الضيف بالطائرات ، كيلا تزعجه جثث الشهداء المقطعة في الشوارع .

وعليه فاتهام الثورة بأنها شيوعية تصريح بالعجز واليأس غير المباشر « وهذه الحجّة تستهدف بالطبع استنفاز الشعور المعادي للشيوعية في ايران وجوارها ، وفي العالم ككل » [1]

٤ ـ القوى الماوية الصينية : ـ فهناك من اتهم الثورة بأنها تستمد كفاءتها وتحركاتها من الحزب الماوي الصيني بعد أن ظهر على شكل مجموعات ماوية .

« وتبنت هذه المجموعات في بداية انطلاقها مع أواخر الستينات إستراتيجية وتكتيكات هي مزيج من الماركسية ، والدعوة الاسلامية الشيعية (حسب منطق الكاتب وفهمه الخاص) . وحاولت في آن معاً ايصال برنامجها وإيجاد تأييد لها بين الأقليات القومية والعرقية المتعددة التي يتألف منها المجتمع الايراني » [2] .

وليس أدلّ على يأس صاحب هذا الزعم ، من ضعف تودة الذي أقدم هو من ماو .. ثم ليس أدحض لهذا الرأي من المجيء الساذج لرئيس الصين الى ايران ..

٥ ـ الهند : ـ كما أرادوا تلطيخ الصورة الجميلة للثورة السامية بأنها ذات علاقة وعرى وثيقة مع الهند ، أي الهندوس كأصحاب دين مكروه ... وقد ألمح كاتب أجنبي لذلك ، مع عدم إخفائه حقيقة انها تشويه وشبهة ليس إلا .

« دأب الشاه على تشويه سمعة رجال الدين ، وادّعت أجهزة الحكم تلك بأن الخميني أقام ارتباطات مع القوات المعادية لإيران في الهند .. » [3] .

---

(١) مجلة الدستور ـ عدد ٣٩٤ ص ٢٥ .

(٢) نفس المجلة ـ ص ١٠ .

(٣) التايم ـ ترجمة صحيفة الرأي العام ـ عدد ٥٤٦٧ ص ١٦ .

٦ ـ بريطانيا العظمىٰ : ـ صحيح أن لبريطانيا دوراً سياسياً خطيراً حتى قد تركت أعمالها آثاراً في نفوس الشعوب ، بحيث قد يتبادر إلى ذهن العجوز المسنّ معنى السحر كلما سمع بأسم بريطانيا ، ولكن بريطانيا كانت عظمىٰ ولم تعد كما كانت .. ومع ذلك لم ينس بعض المشبوهين اعادة اعتبار العظمة لبريطانيا فزعموا أن هذه الثورة الباسلة من صنع الأدمغة البريطانية .. والحق كما علّق كاتب على هذا الكلام بأنه :

« هزلي يستهدف العجائز الايرانيين ، الذين ما زالوا يعتقدون أن لبريطانيا أصابع سحرية وأنها وراء ما يجري في كل مكان » .

٧ ـ العرب : ـ هذا ولم تهمل المصادر ما قيل عن أن الأنظمة العربية لا تبرأ مما يقع فهي وراء الثورة ، كما أشارت مجلة الدستور المذكورة ، والحقيقة أن هذا الزعم قد منح الأنظمة العربية شرفاً وفخراً من حيث لا تدري بل لا تريد .. ففي حين أنها أشدّ الأنظمة شوقاً لسلامة الشاه وحفظ عرشه نجد هذا الرأي الرخيص الذي قد يستهدف الفئات القومية الفارسية كيلا تسهم في الثورة .

أما فرنسا فقد يستساغ القول عنها بأنها وراء الثورة بحكم إقامة القائد الكبير روح الله الخميني بباريس ... فلماذا لم يستبعد عنها ؟؟.. لا شك أن المسؤول عن تخطيط وبث الشبهات وتوزيع الأدوار الوهمية لبعض دول العالم ، وصياغة نصوص الشبهات لا يملك وقائع مسبقة تنهض بهذه الشبهة ، ولا سوابق ذهنية هيّأها الأعداء قبل وصول السيد القائد الى باريس ، ليبنوا عليها شبهتهم الرخيصة وبذلك فإن القطار قد مرّ ففات الأوان ولات حين مناص ..

٨ ـ الولايات المتحدة : ـ وهنا أطرف شبهة وأسخفها .. حيث ادّعى البعض أن أميركا هي التي تقف وراء ما جرى ويجري ـ أما الردّ على هذا فليس

---

(٢) مجلة الدستور ـ عدد ٣٩٤ ص ٢٥ .

صعباً وأن كان طويلاً يتضمن عدة نقاط .. وما على القارىء إلا أن يردّ عليه بنفسه على ضوء ما قرأ ، وما سيقرأ ..

ولكي يعززوا زعمهم خصّصوا للمهمة الوهمية هذه وكالة المخابرات المركزية الأميركية فوصفوها بأنها العقل المدبّر لأحداث الثورة .. ولكنها أخطأت وعثرت على ضعفها ففلت الزمام من يديها .. لاحظ هذا الرأي ..

« وفجأة اكتشفت المخابرات الأميركية ومعها السافاك بأن نتائج اللعب بالنار صعبة للغاية ، فخرجت الأحداث عمّا كان مخطّطاً لها » [1] .

منطق استعماري كما لا يخفى ، فالثورة ذات عظمة وشموخ لا يزول عنها بهذه الافتراءات .. وهو منطق قديم في الفكر الاستعماري وليس حديثاً أو جديداً

فثورة العشرين الخالدة التي قادها العلماء الأعلام في العراق ،وفجَّرتها حناجر الشعب وقبضات أكفّ الفلاحين بالفرات الأوسط ، هذه الثورة التي حكمت نهائياً على التواجد الأجنبي الانكليزي بالطرد والخروج .. هذه الثورة نفسها ، اتهمت بأنها صنيعة البلاشفة الروس .. وبهذا فإن الشيوعية هي صاحبة الفضل الأول في إشعال ثورة العشرين وتخطيطها وقيادتها « فخرجت الأحداث عمَّا كان مخططاً لها » وفق التعبير السابق ..

ولا شك بأن الانكليز لا ينفون هكذا زعم بل هم ينشرونه وقل انهم يصوغونه بعد طول تفكير إمعاناً في التشويه والكيد لكل حقيقة .. هكذا هم الأميركان اليوم .. إنّ على الكاتب وعلى كل مسؤول في جهاز إعلامي أن يتكلم بالمعقول لا بالهزيل المرفوض ، لا تقليداً للاستعمار وتراثه أما يخجل عربي ينطق بالضاد ..

---

(١) مجلة المجالس ـ عدد ٣٩٩ ص ٤٣ .

وإن لم يكن مغرضاً بقوله ، أما يستحي من تسرعه وارتجاله للأقاويل .. حيث أنه يعتمد على تصاريح الشاه ..

إن أميركا تأسف وبشدّة لأنها لم تقم أية علاقات مع المعارضة كما صرّحت، ولم ترتبط معها مسبقاً وصولاً الى كشف نقاط قوّتها لتصدّعها ، واكتشاف نقاط ضعفها لتعمّقها ، وبذلك تُميت الحركة قبل أن تبدأ أو تضمن عرقلتها وإحباطها حتى وإن بدأت ، حسبما تحلم..وبالرغم من هذا الأسف الشديد الأميركي ، يأتي الكاتب ليزعم أنّ المخابرات المركزية هي التي خططت وفلت الأمر من يدها . بالإستناد إلى مصدر موثوق هو «الشاه صاحب الجلالة» الذي قال عن المخابرات المركزية الأميركية .. وكفى بقوله «حجّة» .

« قال : إنها بدأت منذ ١٥ عاماً إقامة اتصالات مع المنشقّين عنه للاحتفاظ بنفوذ لأيّ واحد قد يتمكن من الاطاحة به .. » (١)

والحق أن الثورة نظيفة ونزيهة ، يختص بصنعها المؤمنون فقط دون أيّ خط أجنبي عميل وهذا ما آلم اميركا وزاد عذابها حتى صرّح أحد المسؤولين في ادارة كارتر بتعبيره التالي :

« ان الغليان في ايران يحرّكه فريق من المنشقين يضمّ مئات مختلفة منها جماعة الشيعة المتطرفة التي تعارض خطوات الشاه الاصلاحية في الميادين السياسية والاجتماعية .. » (٢) .. الخ .. وهكذا هم في تناقض واضطراب وحيرة ، من يتهمون ؟ . ولمن يحمّلون تبعة الواقع .. ترى من يمكنهم تسخيره لهذا الأمر ؟.

﴿ وكذلك نُفصّلُ الآيات ولتستبين سبيل المجرمين ﴾ . (٣) .

---

(١) مجلة التايم ـ صحيفة الانباء ـ ١٩٧٨/١١/٢١ ص ١٨ .

(٢) اليو إس نيوز اند وولدربيوت ـ ترجمة نفس الصحيفة المذكورة .

(٣) القرآن الكريم ـ سورة الأنعام ٦ ـ آية ٥٥ . .

﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾[1] .

وبعد فسوف نعود الى استقلالية الثورة لنتحدث عنها بمكان آخر .. « ان هذه الثورة نظيفة من أية تيارات خارجية عن الاسلام »[2] وحسبنا الآن الاشارة الى أن كل شبهة ينبغي أن تدرس وتفحص كيلا تنفذ الى عقول وقلوب الناس .

« وإنما سُمّيتِ الشبهة شبهةً لأنها تُشبهُ الحق : فأما أولياء الله فضياؤهم فيها اليقين . ودليلهم سَمتُ الهدى .. وأما أعداء الله . فدعاؤهم فيها الضلال ودليلهم العمى .. » [3] .

إلهي « واجعل لي عندك مقيلاً آوي إليه مطمئناً . ومثابة أتبوّأها . وأقرّ عيناً ... وأزِل عني كل شك وشبهة . واجعل لي في الحق طريقاً من كل رحمة » [4] .

مع الأخطاء والمغالطات :

نختصر موضوع المغالطات . الذي كان ينبغي جعله فصلاً موسعاً ، إذ اننا نريد فهم عدة أمور ببساطة وسرعة فالوقت يضيق بنا ..

هناك جوانب هامة جداً ، كالجانب الاقتصادي ، ولكن هل يحسن بذوي الاقلام والمثقفين أن يجعلوا منه الجانب الأساسي الفعّال المحرك للثورة ، وهل يا ترى يمكن لمطّلع ولو على عنفوان الثورة وصرامتها ، تصديق ذلك ، أو استساغتهِ .. أو يقولون أنها ترجع الى التطور أو التصنيف الطبقي ، الجانب الاجتماعي

---

(١) القرآن الكريم ـ سورة ق ـ آية ٣٧ .

(٢) صحيفة الرأي العام ـ عدد ٥٤٧٠ ص ١٨ .

(٣) الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام ـ نهج البلاغة ج ١ ص ٩٧ .

(٤) الإمام علي بن الحسين عليهما السلام ـ الصحيفة الكاملة السجادية ـ دعاء يوم عرفة ـ الدعاء ٤٧ ٤٧ الفقرة ١٢٩ .

أو الجانب السياسي ، أو يقتصر على تفسير الثورة بجانب الاضطهاد والقمع ، أي السياسة الخاطئة للشاه وفيما يلي موجز عن ذلك :

١ ـ ثورةٌ اقتصاديةُ الدوافع والأهداف :

نتحاشى نقل ما انتقيناه من نصوص تقضي وتجزم بأن ثورتنا هذه مدفوعة بسوء سياسة الشاه الاقتصادية وتأزيمه للأوضاع مما آلم الشعب وأساء الى مشاعره، هكذا قال الأجانب وقلّد « الأعراب » .

يقولون عن المضربين وعموم المتظاهرين أنهم يطالبون برفع الأجور وزيادة الرواتب وتحسين المعيشة .. ولا حاجة للإشارة الى بعض تلك المصادر الإعلامية المكروهة التابعة للأنظمة المشبوهة ..

لربما يعلن بعض المضربين والمتظاهرين مطالب تتضمن رفع الأجور كمطلب يسوّغ انتفاضتهم مع الشعب وكمطلب غير أساسي ، لأننا وجدناهم لم يكرروه فيما بعد . لذا أشارت إحدى الصحف لهذا المعنى ضمناً وبهذا النص :

« العمال المضربون لا مطالب سياسية ولا حتى اقتصادية لهم هذه المرّة . على عكس المرّة الماضية .. » . فإضرابهم ـ وهم عمال النفط ـ انما جاء حفاظاً

على مصالح الأمة الاسلامية . وتحقيقاً لإرادة الله وأوامر العلماء الأعلام كما قال عمال النفط بالنص : « إن الاضراب في صناعة النفط خصوصاً ، الذي يمنع سلب ثروة البلاد هو عمل يعبّر عن طاعة الله » . قالوا انهم يطيعون أوامر القيادة العليا « إن آية الله الخميني قد طلب إليهم أن يضربوا .. وإنهم لذلك أضربوا » (١) .

وبعد فلماذا تصرّ الأجهزة الاعلامية على وصفهم بأنهم يطالبون برفع

---

(١) صحيفة السفير ـ عدد ١٦٦٣ ص ١ .

الأجور ، وهم يعلنون رسالتهم ، والخميني القائد يعتبر كل لحظة إضراب « خدمة تسدى للأمة الاسلامية » .. لماذا لا تذكر تلك الأجهزة المشبوهة مطالب الشعب الحقيقية ، وهي القرآن والاسلام كحكم ونظام ..

هذا وإن لتدهور الاقتصاد وفساده دور لا ننكره في ترك آثار نفسية مؤلمة ، بيد أن ذكره بمعزل عن الحقيقة الصحيحة مدعاة للانتقاد .. لا سيما وأن الثورة العظيمة الشاملة لعامة الناس تسحق هذا الرأي ، كما وأن عامة الناس الذين يدركون عموم مفاسد حكم الشاه ، لا يدركون مبلغ تدهور الاقتصاد بقدر إدراكهم لمبلغ تدهور الدين والتضييق على رجال الدين ..

أما ما يذكر أحد الكتّاب من مثال للتدهور الاقتصادي ، وذلك بعملية تطوير المخابز الإيرانية وإنتاج الخبز من الأجهزة الحديثة ، مما أسفر عن رفض الشعب لهذا الأسلوب ، مؤثراً شراء الخبز الذي ينتجه التنور [1] ، فهذا مثال لا يدلّل على العلل .. لا علل التدهور الاقتصادي .. ولا علل الثورة .. وأن صحّ رفض خبز المصانع ، فليس ذلك وحده غذاء الثائرين ووقودهم .

قدِّم أهم دوافع الثورة .. لتتصدر قائمة الاسباب ، ثم أدرج الباقي ستجد أن الاقتصاد له رقمه وموقعه ، لكنه ليس الرقم الأساسي ولا الكلي كما يحلو للبعض أن يجزموا به على سنّة ماركس والطريقة الشيوعية ..

اذن فثورتنا إسلامية رسالية .. تتضمن الثورة الاقتصادية وتستوعبها .

٢ ـ الثورة الاجتماعية :

ثمة تطابق بين طهران كعاصمة وإيران ككل ، وبين بعض بلدان أوربا من حيث مجمل الشكليات والماديات اوممارسة الإستهتار وسيادة الأخلاق الغربية ونفوذ الأساليب السلبية الغربية ..

---

(١) صحيفة السفير ـ عدد ١٦٥٦ ص ٩ .

وبالرغم من ذلك فإنه من غير الصحيح جعل الثورة إجتماعية القوام والدافع كما قيل : « إنها مشكلة المجتمعات التي تواجه التطوّر فيرتقي أشخاص ويسقط أشخاص . ثمة مزيج من حقد طبقي مجبول بالنجاح أو الفاشل في المسعى إلى الأحســن .. » . إنها مشكلة الطريقة الماركسية لتفسير الأحداث ليس إلاّ .. في حين ثبت بالنظر والتجربة خطأ المنهج الماركسي في التفسير ، فالصراع الطبقي وهمٌ ونظر لا يرتقي الى مستوى البقاء والدوام .

كما سبق لنا وأشرنا تحت عنوان « كل الطبقات الشعبية » إنها فكرة سيئة إذا بقيت على شمولها وتعميمها في كل زمان ومكان ، في حين أن الطبقات كيان واقع بكل مجتمع وما على النظام أو الفكر إلا أن يرعاه ..

ما قيل عن أن الثورة نتيجة أخطاء اجتماعية ارتكبها الشاه ضد الأمة المسلمة والشخصية المؤمنة صحيح ، لكنه خاطيء في جعله الثورة ككل نتيجة لذلك أساساً ، فالسفور واضطهاد النساء وتقييدهن بحياة تحبّها الحكومة ، كان من الأسباب ـ ليس إلاّ ـ لتهيئة الأجواء ، وإن خير جواب على اولئك الذين يغالطون أنفسهم ، هو كلام كاتب أجنبي سبق أن سجلناه وهو : « وليس بين الكتابات والأبحاث الدينية (الاسلامية) ما يشدّد على وجوب الثورة واستعمال العنف ضد رفع الحجاب .. » [1] .

إنها ثورة إسلامية ، ليسَ من أجل شخصية المرأة المسلمة وانما تكون المرأة أحد أهم دوافعها وأهدافها .. فالثورة تتضمن الثورة الاجتماعية وتستوعبها تمامـاً ..

٣ ـ ثورة ضد التقدم والتطور :

حينما نشخص التقدّم ونعيّن التطور نكون قد عرفنا الأمر بوضوح فالشاه تقدّمي جداً متطورٌ ومتحضر ، وقد جلب الكثير من وسائل التقدم والتطوير

---

(١) هيرالد تريبيون ـ ترجمة صحيفة الرأي العام ـ عدد ٥٤٦٣ ص ١٦ .

لشعبه وبلده و ... هكـذا هـم يكتبون ، أجانب أو عرب ، إنه رجـل تحديث ؛ ملك كـل شيء حـديث ؛ رائـد العصرنة بـلا منافس ؛ كـل ظاهرة قديمة أزالها وأحل مكانها كل ما هو عصري وفق مطلب حضاري متقدم للغاية .. ولهذا ثارت ثائرة الشعب ليحارب الحكم « الشاهنشاهي » هذه هي نظريات أوروبا والغرب التي تفسّر الأحداث ، نظريات رأسمالية غربية تعسفيّة لا تختلف من حيث التعسف عن النظريات الماركسية ..

« نظرية الإفراط في التقدم » .. فالشعب لم يطق هذا التقدم ، كذلك نظرية الاستغلال ، وكل منها نظرية حتمية أبدية حازمة .. « أما الكاتب الغربي « المتقدم » فإنه يفلسف الأمور ويبررها ويجعل من الاستغلال نظرية أبديـة حتمية .. » [1] وسوف نعود لنقد هذه الظاهرة المهدِّدة لمستقبل ثقافة شبابنا الإسلامي بما فيه العربي ، وذلك بعد صفحات ..

إن الثورة عقائدية عملاقة ، ضد«التقدمية»ضمناً وتستوعب حرب التطور.. ولكن بعد تشخيص كل من هذا التطور وذاك التقدم الاستعماريين وإلا فهي بذاتها ثورة التقدمية الاسلامية من دون جدل .

٤ ـ ثورة ردّ الفعل ..

سبق أن أشرنا الى ضحالة حجة من يذهبون إلى كون أخطاء سياسة الشاه الأمنية هي التي دفعت إلى الثورة [2] .. ولم يقولوا أنها ساعدت أو هيأت ومهدت كلا بل يجزمون لك بما يذهبون إليه .. إنه مارس الاضطهاد والقمع والاعتقال والاعدام و .. الخ .. مارس الكبت ومنع الحريات وفرض الرقابة وأجهزة الانصات والإرصاد .. لهذا ظهرت قيادة وقادة وصنعوا قاعدة ، دون أن يفسروا لنا علّة

---

(١) مجلة الكفاح العربي ـ عدد ٣٣ ـ ٧١٦ ص ٥ .

(٢) ص ١٤٤ ـ ١٤٥ من هذا الجزء ...

ممارسة الاضطهاد ، ذلك أن هذه الممارسة مسبوقة بدافع خطير هو الاسلام الذي لا يقوى الشاه على دحر تيّاره المتمثّل بشبابه ورجاله ... فكان أن ضَمِنَ لنفسه النجاة والخلود برميهم وقمعهم واعتقالهم واضطهادهم وتضييق حرّياتهم .. الخ .. فالحق أن حضور الاسلام هو الأول والأساس في كل الدوافع ، إنه خير تفسير وليس ثمة غيره .. فهو الذي خلق القاعدة والقيادة ، وجاء الاضطهاد فتحملوه بجلد وجهد وجهاد وصولاً الى نصر ينشدونه وحكم يهدفون تحقيقه.. فجاء جهّال ليقولوا أنهم إنما ثاروا « كرد فعال » .. وهكذا برزت القيادة الراشدة المتمثلة بالسيد الخميني ..

ورد مثلاً أنه « جاء نتيجة حركات القمع التي مارسها الشاه فهذا القول يحتاج الى دراسة وبحث فهل هو كذلك ؟ » .

ويجيب البروفسور الذي كتب مقالة بصحيفة أجنبية قائلاً :

« إن هذا القول غير صحيح . فالخميني كان شخصية سياسية بارزة عندما كان قوام السلطنة رئيس الوزراء الإيراني في فترة ما بعد الحرب (العالمية الثانية) لتحرير آدر بيجان من الإحتلال الروسي . وكان قد طلب من آية الله بير وجردي زعيم المسلمين الإيرانيين في ذلك الوقت مناقشة الأمر مع الخميني .. »

« وعندئذ أرسل بيروجردي نائبه ، إلى الخميني الصغير »[1] .. ثم يشير البروفسور « محمود صناعي » أن السيد الخميني يزيد عن كونه زعيماً دينياً سياسياً فهو فيلسوف كبير ...

وعليه فتلك تبريرات لا موضوعية فيها .. يقول الكاتب الفرنسي كروزيير . « فالرجال لا يثورون حتماً ، لأن أوضاعهم الحياتية لا تطاق ، وإنما تدفع هذه الأوضاع الثائرين الى الثورة .. »[2] .

---

(١) الفارديان ـ ترجمة صحيفة الرأي العام ٥٤٦٥ ص ١٧ .

(٢) كتاب الثائرون ـ لبريان كروزيير ص ٩ ترجمة خيري حماد ج ١ بيروت سنة ١٩٦١ .

ان الثورة هذه ما جاءت حصيلة الاضطهاد ، إذ تساءلنا عن سبب هذا الاضطهاد وهو السعي للحدّ من الاسلام .. فالثورة إسلامية الدوافع والأهداف

٥ ـ ثورة العقيدة والقرآن الجامع لكل دافع :

لم يكتبوا الحقيقة هكذا ، لم يقولوا بحقيقتها الحقّة ، ولم يكتب عنها إلاّ المؤمن وقلّة من الناس ..

أنها حث الاسلام ، ومطالب القرآن الكريم .. وتحريض العلماء واستجابة الشعب ، إنها لقاء على مستوى القمة العقائدية بين القيادة والقاعدة باتجاه الله والقبلة الواحدة ..

ثورة دينية مبدئية محضة ، تحمل معها وبقابلية عالية كل الدوافع الأخرى التي قد يشكل واحد منها دفعاً لثورة ما كالثورات المتعددة التي يصنعها الشعب أو يصطنعها الاستعمار .. ثورة اقتصادية مشفوعة بميولها الاجتماعية ، ضد التطور المزّيف والتقدم المخادع ، يدفعها الا ضطهاد ويشجعها بدل أن ينهيها ويميتها ...

وهي ثورة سياسية ، لها مواقفها الجليّة الواضحة إزاء السياسة السائدة في العالم ، وإزاء بعض الدول .. ثورة تقرير مصير شعب ايران من موجات الأحزاب الرخيصة ..

وهي إلى جانب كونها أممية شاملة إنسانية ، فهي من جميع الحيثيّات ذريعة لا نطلاقها واستمرارها حتى النصر ... كما وأنها سابقة لأوانها ، قديمة التخطيط ذات عمر طويل وعقداها الأخيران حافلان بالفعالية والفداء .

* * *

والآن لننتقد ظاهرة سادت في الصحف والمجلات حول تلك المغالطات الشنيعة ـ والظاهرة تنحصر في كون أصحاب الأقلام لا يتورعون عن الاصرار

على مذهبهم ، الاقتصادي ، أو مذهبهم الاجتماعي ، أو ميولهم الى التقدمية المزخرفة والتطور المزركش ، أو جزمهم بأساس ردّ الفعل هذا الجزم والاصرار والحسم ، مما يخالف البحث أو الكتابة الموضوعية الجادة ، كما يبعد صاحب القلم عن أن يحافظ على قيمته وشخصيته ، وذلك لتكرار إخفاقه بتتابع إصراره.. أنها ظاهرة تلفت النظر ويجدر إعادة الاهتمام بها بكثرة كما تغير الأقلام الصحفية من طريقتها وصولاً الى الموضوعية وسلامة التقارير ..

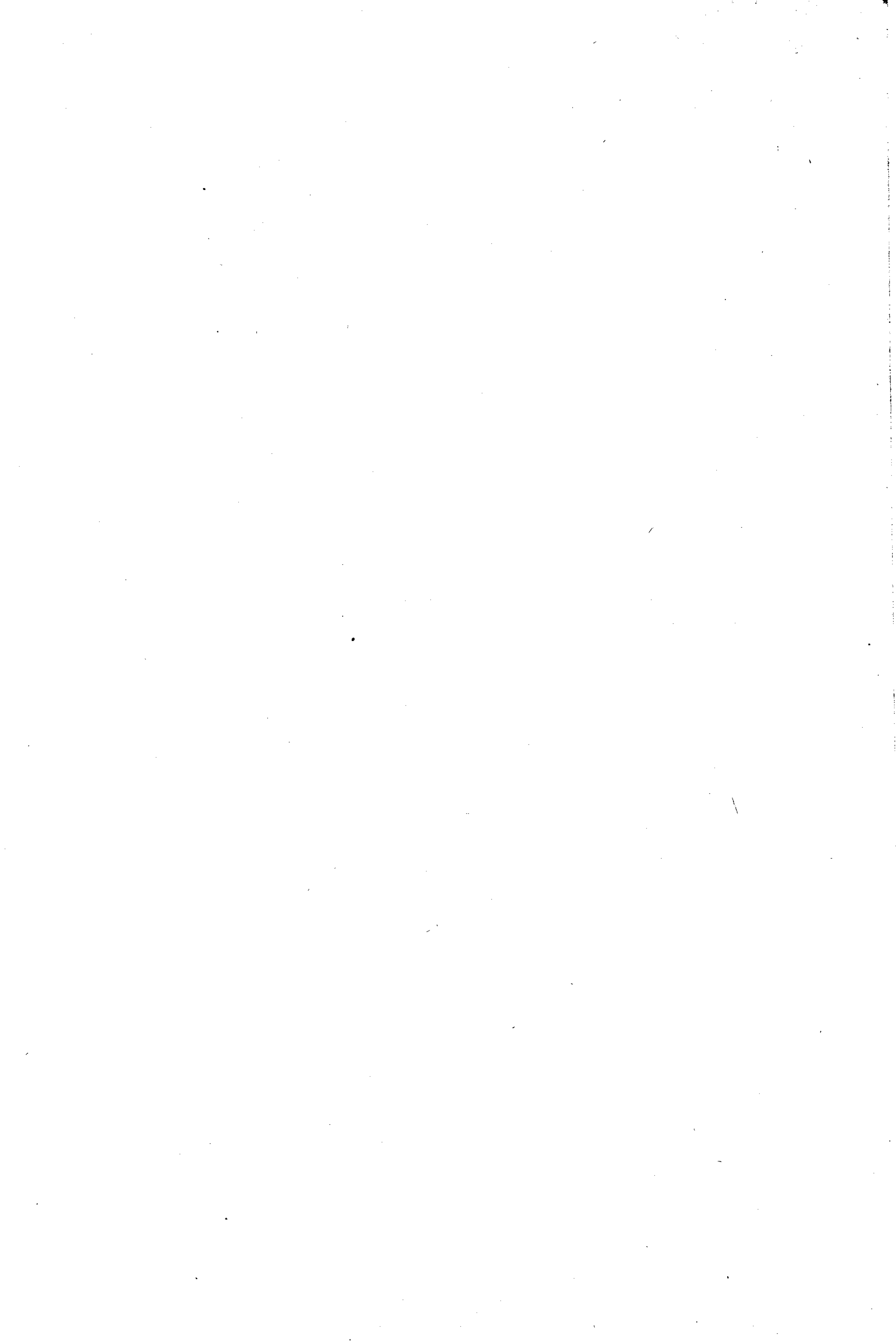
وحسبنا أن نؤكد أن الدراسات العلميه والبحوث الراقية انما تعتمد على تجنب الجزم في مواطن لا يحسن بها الإصرار والجزم ..

خصوصاً وأن الحركة الاسلامية العملاقة ، والثورة الخلاقة هذه ، وأي شيء يمتّ للاسلام بصلة ينبغي أن لا يقاس على غيره من الحوادث والأمور التي تسود العالم .. إنه دين الشمولية والعمومية دونما استثناء فالثورة المنسوبة إليه تتناسب معه بشموليته ومن جميع حيثياته وكليات الحياة الانسانية .. إنها ارادة الله في الدين والدنيا ..

فما قدّره وقضاه لا بدّ منه بلا نقاش ، وما هذا بخفيّ إلاّ على من تفترسهم الأخطاء والمغالطات ، لنأتي نحن فنبين لهم ، لا مخافة وقوع المستحيل وهو أن تفشل الثورة القائمة من جراء آرائهم ولكن ولكن لنبين لهم وهذا حسبنا ﴿ **ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حَيَّ عن بيّنة وإن الله لسميع عليم** ﴾[1] .

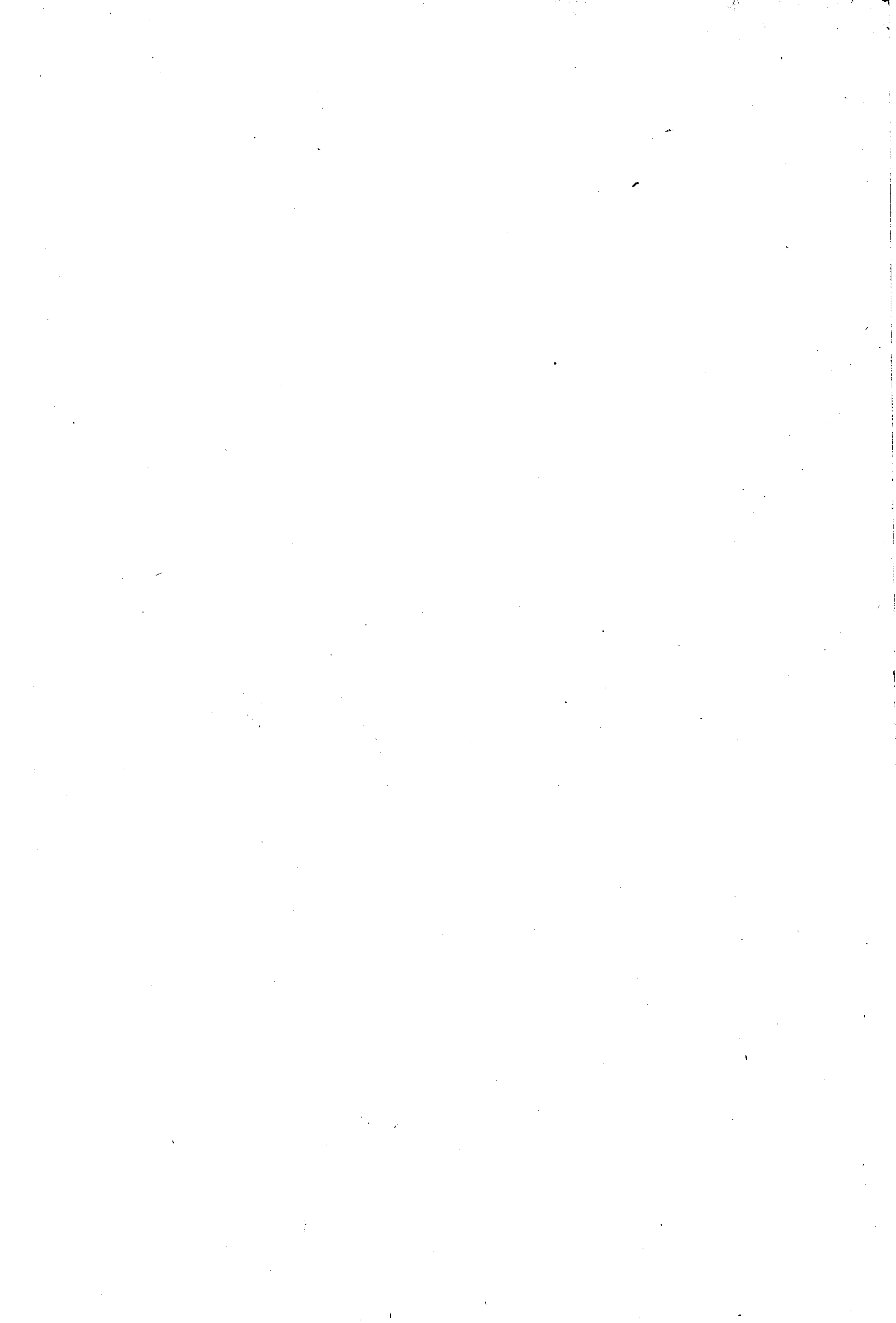
---

(١) القرآن الكريم ـ سورة الأنفال ٨ ـ آية ٤٢ .



الفصل الحادي عشر

دقة التنظيم والاستقطاب نتيجة الشعور بالانتماء



« يجب أن تكون هناك علاقات منظّمة بين حوزة قمّ وحوزة طهران وكل المحافظات ، ويجب أن لا يكونوا متفرّجين ، يجب تنظيم هذه الثورة بحيث إذا نهضت قمّ يوماً ينهض الشعب الايراني بأسره .. يجب أن تتّحد كل الأجنحة فيما بينها وتتضامن ، يجب أن يتكون تنظيم واحد من كل المنظمات ، يتكون حزب إلهي بوجه حزب رستاخيز (حزب الشاه الرجعي) ، يجب أن يكون حزب الله . تحدثوا كلكم معاً ، ثوروا كلكم معاً ، تحركوا كلكم معاً .. » [1] .

﴿ وتعاونوا علىٰ البرّ والتقوىٰ ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ [2] .

﴿ إن الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء ، إنما أمرهم إلىٰ الله ، ثم ينبّئهم بما كانوا يفعلون ﴾ [3] .

١ ـ وصف الثورة بالعفوية :

عثرنا على كثير من الأقوال ـ بمرور تصفّحنا للمجلات والصحف ـ التي تقضي بحرمان هذه الثورة المباركة من صفة التنظيم والتنسيق ، وتنعتها بالعفوية

---

(١) الخميني القائد ـ من خطاب لسماحته بالنجف في ١٣٩٨ ـ دروس ص ٣١ .
(٢) القرآن الكريم ـ سورة المائدة ٥ ـ آية ٢ .
(٣) القرآن الكريم ـ سورة الأنعام ٦ ـ آية ١٥٩ .

والارتجالية ، رغم أنها أوقعت العالم بأسر الذهول والاعجاب لما أبدته من فعاليات ودوام سير على الخط الأوحد الذي أرادته ، ورغم أنها دّمرت المؤسسات النظامية وشلّت النظام بكل شؤونه المنظمة حتى هدمت النظام بكل شؤونه المنظمة حتى هدمت أقوى مؤسستين تعتبران ركيزتان ، وهما جهاز السافاك والمؤسسة العسكرية، فضلاً عن تقويض ثلاث حكومات والرابعة مشلولة لا طاقة لديها ، يائسة تخطو بالكاد ، فلا تأمل النجاح والنجاة ..

واذا أعذرنا بعض من قال بالعفوّية لبراءته وجهله لممارسات التخطيط الثوري الاسلامي ، فلا عذر لمن لمسنا تعمّده بتأكيد ذلك كمحاولة يائسة للتقليل من منزلة الثورة وشأنها الرفيع ..

أما نصوصهم بهذا الخصوص فقد تحاشينا تسجيلها توخياً للإيجاز والحق ان جهوداً جهادية كالتي نشهدها عن بُعد ـ من حيث المكان ـ هي جهود لم يسبق لها مثيل وما لها من نظير ، الأمر الذي يوحي بيقين يقطع كل شك أنها وليدة ترتيبات مبّينة وتنسيقات مسبقة ، وتنظيم لا يضاهيه تنظيم آخر قط ..

في الواقع أن البعض لو سمع بنشوب معركة أو اندلاع ثورة أو وقوع انقلاب من قبل قوة شيوعية أو حزبية ما ، يكون لديه مسلم بديهي انها منظمة وستنجح مئة بالمئة . أما لو سمع بأنها من قبل قوة دينية إسلامية فيقع بقلبه عكس ذلك مسلّم وتنبوء بسوء العاقبة .. لماذا يسود العقول المثقفة هذا الفهم الساذج ؟. للجواب نقول بلا تطويل :

لا ريب أن مثل هؤلاء يفتقرون الى استيعاب كل من الاسلام ، وقيادة المراجع ، واستعادة الثقة بحنكة وحكمة القيادة وهذا راسب من رواسب السنين الخالية ، وتركة من تركات الاستعمار البالية .. في حين يمنح هؤلاء كل الثقة الثقة ومواصفات النصر مع مستلزماته للحزب المعين . أو للشيوعية في حركتها ، بينما يشهد العصر بما لا يدع فرصة للجدال أن الشيوعية ـ كأقدر تنظيم معروف ـ خسرت الكثير من جولاتها وخابت بكثير من مبادراتها في العالم .. في حين تجلّى الاسلام الثائر بعنفوان وحرارة لا تقاس بالأشباه حيث لا شبيه ..

إن ثورة الاسلام الايرانية التي بلغ عمرها أشهراً طويلة ، لهي من روائع الثورات بما لها من مؤهلات وكفاءات ، أما القول بأنها غير منظمة ، ، وهي على عتبة الظفر ، فهو قول يزيد من عظمتها وجلالها ...

سوف نتناول الآن الشواهد الدالة على كونها متمتعة بأقوى تنظيم ، لا بمجرد تنظيم فحسب .. وسوف ننتقي الشواهد والمصاديق من غيرنا .. بعد أن نشير هنا لكلمات القائد الكبير ..

٢ ـ معالم التنظيمات الخمينية .. الادلة النظرية :

هنالك الشيء الكثير جداً من التوجيهات الخمينية المسؤولة خلال السنوات الطويلة المنصرمة ، فإرشادات التعبئة والبناء وكيفية الأعداد الكميّ والنوعي وسبل التنسيق والتنظيم من قبل السيد القائد الى القياديين الآخرين خصوصاً ،

والشعب عموماً ، عدا نظريّات التنظيم المعمول بها من قبل القادة الذين يوجهون ويرتّبون شؤون الشعب في الداخل . هذا فضلاً عما تفرضه متطلبات العمل والاستعداد للجهاد من تعزيزٍ لناحية التنظيم وفضلاً عما تفرضه الظروف العصيبة من حتمية بلورة الأمور للصالح الرسالي العام ، لتتكفّل نجاح السعي وعدم الإخفاق .. دع عنك حقيقة كون القيادة والقاعدة معاً قد استفادتا من المبادرات الجهادية السابقة التي أخمدت ، ، فنقدوها وفسروها مثلاً بما يصحح خطى المسيرة الراهنة ..

إن الأدلة النظرية عن ذلك كثيرة ولكن لا سبيل الى الوقوف عليها اليوم ، لأنها من تراث الثورة وأسرارها التي يحتفظ بها القادة ولسوف يكشفونها فيما بعد لتستفيد الأمة الاسلامية وشبابها من هذه التجربة الرائدة ..

والآن مع لمحات توحي الى مدى الحرص على التنظيم ، وقد سجلنا النص الخميني في أول الفصل ، وهو يعبّر عن تشدّد سماحة الإمام على الحكمة في المسيرة

الكبيرة . وهذه الحكمة تكمن بتنظيم الأمور تنظيماً جاداً وبمستوى المسؤوليات الثقيلة ..

« .. ويجب استخدام أية وسيلة تعطي الثورة تنظيماً ، وترصّ من صفوف الشعب » .

هذا مما جاء في نفس الخطاب السابق الذكر .. كما خطب بالنجف الأشرف في ٢٣ جمادي الثاني من السنة الفائتة ١٣٩٨ هـ موجهاً كلامه للحاضرين وللشعب بقوله :

« على مسؤولي الجماهير وكوادرها أن يوجدوا علاقات تنظيمية فيما بينهم » كما وفّق بين العلماء وقادة الاحزاب « .. على هاتين الفئتين أن تتعاونا وترتبطا معاً بعلاقات تنظيمية لكي تقودا الجماهير وتنظّماها » .. « ان العلاقات مع هؤلاء (أي العسكريين) يجب أن لا تكون علنيّة . بل يجب أن تكون سرية وخفيّة جداً [1] ... الخ ..

« ... على الاشخاص المهتمين الذين بيدهم المبادرة والذين تعهدوا العمل وتحملوا المسؤوليات أن يتجنبوا الكشف عن أنفسهم والاقتراب من دائرة الضوء » وأضاف سماحته بأن عليهم أن يتذكروا ، و « ان يعتبروا من الحوادث والتجارب السابقة ، ويبادروا إلى العمل في ظل الاسلام وأطر موازينه بدقة ، ويحذروا من الأشخاص الذين هم ليسوا في هذه الأطر مائة بالمائة .. » [2] .

وغير هذا كثير ومنذ سنوات لا من سنة ٩٨ ، و ١٣٩٧ هـ رغم ذلك فالبعض يرونها تلقائية لا ثورة منظمة ، كما سأل مراسل مجلة الهدف ، سماحة السيد الخميني بباريس ، فردّه وأخطأ كل من يذهب هذا المذهب الضعيف .

---

(١) دروس في الجهاد والرفض ـ ص ٣٤٣ .

(٢) من بيان للشعب في ٢٩ ذي القعدة ١٣٩٧ هـ . دروس ... ص ٢٢٤ .

« إن حركة الشعب الإيراني هي حركة إسلامية . ولذا فإنها ليست عفويّة . وهذه الحركة تتبع تتبّعاً كلياً المقاييس الاسلامية ... » .

« وقد أعطينا الإرشادات الضرورية في كل مرحلة بحسب حاجاتها . وبسبب نضال المسلمين ومقاومتهم فإن نظام الشاه أصبح محطماً الى درجة أنه بات يفتقد لأيّ نوع من التنظيم ..
« وعندنا أمل كبير بسقوط هذا النظام وبإنتصار حركتنا الإسلامية »[1] .

فللحركة عقول تخطّط وأيدي تبرمج وتضع المناهج لكل مرحلة مقبلة .. لكن بعض الصحفيين والمثقفين لا يقدّرون ذلك ، فهذا صحفي لا يرى للحركة برنامجاً ، وهو يلتقي بالمجاهد الشيخ حسين علي منتظري ، فيقول ذلك ثم يذكر أن البعض يراهنون على حدوث انقسامات بعد النصر نتيجة افتقار الحركة لتنظيم وبرنامج .. فيتكلم المجاهد منتظري .

« لا يمكن إفشاء كل شيء ، والادلاء بكل المعلومات « فما كل ما يعلم يقال ، ولا كل ما يقال يكتب في الأوراق ، ويبثّ في الآفاق » (قال الإمام منتظري هذا المثل بالعربية) . ولا يُعقل ان لا يكون للحركة برنامج » .

« اذ كيف يمكن أن يقع كل ما يحدث في إيران ، وخاصة في قطاع النفط ، من دون برنامج تؤمن به الجماهير ويدفعها للنضال من أجل تحقيقه .. »[2]
وسبق أن وزعت « حركة التحرر الاسلامية في ايران » منشوراً جاء فيه :

« إن هناك ثورة حقيقية عميقة الجذور ، أصيلة الفكر سليمة التخطيط ... إنها ثورة الشعب المسلم ضد قوى الظلم والاستعباد ، موجةٌ من ثورة أكبر ، هي ثورة شعوبنا المضطهدة على امتداد ساحة المواجهة الاسلامية ضد العدو .. » .

---

(١) الخميني القائد ـ مجلة الهدف ـ عدد ٤١٧ ص ٦٠ .
(٢) صحيفة السفير ـ عدد ١٦٩٠ ص ١٠ .

هناك لجان منظّمة تتبنى استلام نداءات الخميني القائد وتوزّعها بكل أنحاء ايران فيستغرق ذلك أياماً عديدة ، وقلّت المدة حتى أصبحت ساعات قليلة، فراهن البعض على فشل الثورة لجهله بجهودها ، وأثناء مقابلة صحفية مع السيد حسين الحسيني ـ أمين سر حركة « أمل » بلبنان ، قال رداً على تلك المراهنة .

« انها ثورة منظّمة على أروع طرق التنظيم ، كان تصريح الامام الخميني يطلق وبعد ٣ ساعات بالتحديد يكون قد وزّع هذا التصريح خطياً على مليون نسخة في طول البلاد وعرضها » .

« هذا المثل يعطينا فكرة عن دّقة التنظيم وفاعليته ، فضلاً عن أننا عندما نرى الاتحاد السوفياتي الذي يضم أكثر من ٢٠٠ مليون نسمة ، وعدد أعضاء الحزب الشيوعي فيه لا يتجاوز ٥ ملايين ، بينما الثورة الايرانية قد انخرط في صفوفها تنظيماً أكثر من ٧٠ ٪ من الشعب الإيراني .. بحيث لا تجد مكاناً في إيران إلاّ ويشكل مجموعة لها ارتباطها التنظيمي في مجموعات أخرى [١] .

٣ ـ طبيعة الممارسات الثورية ... الأدلة العملية :

أكثر تلك تعتبر أدلة نظرية صادرة عنا نحن ، وهذا خلاف منهج تأكيد الحقيقة وإعلاء الحق ، فربّ قائل يقول : إننا نريد أدلّة وافية من غيركم لا منكم أنتم كمسلمين عرب تتعاطفون مع القضية فتريدون لها الجلال والجمال والشأن الرفيع ...

والواقع أنها ثورة تفرض شأنها على الجميع وترغم الكل بما لها من جلال وجبروت يدكّ صرح الطاغوت ، إنها بفعاليتها التي نعيشها تقدّم زخماً من البراهين وحشداً من الأرقام كتدليل عملي على أنها غير تلقائية أو اعتباطية .. وقد تأكد

---

(١) صحيفة اللواء ـ عدد ٢٨٨٦ ص ٣ .

للكثير من غيرنا هذا المعنى فراحوا يقولونه .. وفيما يلي أقوالهم كمبالغة منا وامعاناً في تقديم ما هو حجة قاطعة ..

ولنقسّم الأدلة الى قسمين ، أولها اعترافات عربية بمبلغ دقّة التنظيم .. وثانيها الاعترافات الأجنبية بعظمة العمل التنظيمي الاسلامي داخل إيران ... وقبل أن نستطرد يجدر بنا أن نؤكد كون التنظيم لا يمكن لأي ثورة أن تستغني عنه كما يحضرني قول «ج رفيل» [١] عن عموم الثورات ..

«لا تقوم الثورة في ظروف ارتجالية ... والروح الثورية الحقيقية تسير وفق استطلاعات مسبقة ، حيث يكون التطبيق دائماً دقيقاً ، وعلى درجة عالية من الكفاءة الفنية .. » .

٤ ـ إعترافات عربية :

« لقد أثبتت المعارضة الدينية أنها لا تسيطر فقط على الشارع ، وإنما أكّدت قدرتها أيضاً على تنظيم وتنسيق التحرك الشعبي على الرغم من الأحكام العرفية، وعشرات الألوف من عملاء «السافاك» الذين يقودهم ضباط درّبتهم وكالة المخابرات الأميركية وزوّدتهم بأحدث معدات التجسس والتعذيب الإلكترونية» [٢]
« إن حجم النضال وأساليب العمل يؤكّد وجود قوى سياسية منظمة بشكل دقيق، وخبيرة بوضع سلطة الشاه .. » [٣] .

« تتمتع بخبرة نضالية طويلة وتملك قدرة على خوض جميع أشكال الاحتجاج الممكنة .. تظاهرات ، توزيع مناشير ، مهاجمة الدوائر الرسمية ، إحراق المصارف، تصفية العناصر العميلة للسلطة . وتستند في تحركها الى جماهير عريضة تثق بها، وخاصة بعلماء الدين المناضلين مثل الخميني والطالقاني » [٤] .

---

(١) كما أشار له مالك بن نبي بكتابه (مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي) ص ١٦٢ ، ١٦٣ .
(٢) مجلة الوطن العربي ـ عدد ٨٠ ص ٤٠ .
(٣) مجلة فلسطين الثورة ـ عدد ١٦ ص ٣٠ .
(٤) مجلة الدستور ـ عدد ٣٧٥ ص ١٤ .

« على أن حركة المعارضة الايرانية دقيقة التنظيم وعميقة الجذور في الأوساط تتحرك ضمنها . وما أن يُلقى القبض على عدد من عناصر التنظيم حتى يبرز يحل محلهم خلال فترة محدودة .. كما أن أشكال مواجهتها للشرطة الايرانية والأهداف التي تركّز على ضربها ، تعزّز الانطباع بوجوه برنامج سياسي شامل حَدّد مسبقاً مطالبه المرحلية والبعيدة المدى . » .. « وبمعنى آخر نضوج تكتيكات واستراتيجية متكاملة لا تملكها عادة إلاّ الأحزاب العقائدية .. » [1] .

« والشرق ، مذهول لأنها حركة شعبية جماهيرية لم يسبق لها مثيل . وهي ، مع ذلك ، منتظمة الإيقاع بطريقة لم يحقق مثلها أي حزب عقائدي دارس لكل طرق وفلسفات « التنظيمات » و « الخلايا » و « الاتصال بالجماهير » [2]

« وبالمقابل (مقابل القوى الدينية التقدمية المنظمة عقائدياً) فإن فصائل القوى الوطنية والتقدمية والديمقراطية ، هي قوى منظمة ومجرّبة في المجتمع الايراني ، ولها من الخبرات السياسية والتنظيمية ما يجعلها تكمّل زخم الحركة الدينية الوطنية ، وترفدها بعوامل ذاتية » [3] .

والواقع يكشف أن الكتل والقوى الوطنية أضحت صغيرة الشأن متقزّمة أمام عظمة القوة الدينية الإسلامية ذات الأبعاد الأممية ، وليس مجرّد « وطنية » كما عبّر النص .. إن الاحزاب الأخرى تحوّلت شخصيتها الى أقزام كما يوضح النص التالي :

« وتشير التقارير أن الأحزاب السياسية المنظمة ، تحتمي بالمظاهرات التي يقوم بها رجال الدين » [4] فسلّموا بالأمر الواقع ليحملوا صور الخميني القائد .

« ومنذ مطلع هذا العام والشاه يبحث عن أفضل السبل لعدم تحوّل الانتفاضات

---

(١) نفس المجلة ص ١٢ .

(٢) مجلة المستقبل ـ عدد ١٠٤ ص ١٠ .

(٣) مجلة الحرية ـ الصادرة بلبنان ـ عدد ٨٨٩ ص ٣٥ .

(٤) مجلة المجالس ـ الصادرة بالكويت ـ عدد ٣٩٩ ص ٤٣ .

الجماهيرية التي بدت منتظمة ، ومنظمة وطويلة النفس ، إلى مجابهة رئيسية مع حكمه ... » [1] . « إن السافاك والمخابرات الأميركية التي فوجئت بالتنظيم الدقيق لهذه المظاهرات . إندسّ رجالها بين المتظاهرين بهدف أكتشاف المنظّمين الحقيقيين لهذه الاحداث . إلاّ أنها رغم الاعتقالات الكثيرة التي قامت بها لم تتمكّن من الوصول الى الرأس أو ما يسمّى بالعقل المدبّر للحركة » [2] .

« ما هو سر هذا التنظيم الذي يكفي فيه ان يعطي الخميني أمراً باجراء تظاهرة في يوم معين حتى يكون مليونا شخص ، أكثر ، أو أقل ، قد نزلوا الى الشوارع في الموعد المضروب يهتفون كلهم بنفس الهتافات ، ويحملون يافطات متجانسة من حيث الشعارات ويسيرون معاً في طريق واحد الى هدف واحد [3]

هذا بالرغم من تقليد بعض المجلات للمنطق الاستعماري بأن المخابرات المركزية الأميركية هي التي صنعت الثورة إلاّ أنها عطفت بعد ذلك فأعجبت بالثورة الرهيبة ، حيث فوجيء العالم « بالتنظيم الذي لا مثيل له في تطور الأحداث هذا التنظيم الذي سبق الاعداد له سنوات طويلة » [4] ، ولنكتف بهذا المقدار من هذه الاعترافات .

٥ ـ الاعترافات الأجنبية :

أما الإعترافات هذه فشوبة بالحيطة والحذر ، بل لم يهمل الأجانب التلميح إلى كونها حركة منظمة سوفياتياً كما صرّح المدعو . « هنري كيسنجر » .. أو الزعم بأن التنظيم جاء متأخّراً فيما بعد كما ترى .

« في البداية كانت حركة الإضراب هشّة ودون تنظيم ، لأن الايرانيين يفتقرون لأي تجربة نقابية في السابق » [5] .

---

(١) مجلة الهدف ـ عدد ٤٠٣ ص ٣٤ .
(٢ و ٤) مجلة المجالس المذكورة ..
(٣) مجلة المستقبل ـ عدد ١٠٤ .
(٥) لونوفال اوبسرفاتور ـ ترجمة صحيفة الوطن ـ عدد ١٥٨٢ ص ٩ .

لربما هناك شيء من الصحة بصدد العبارة الأولى . وعلى كل حال . فذلك ما كان في « البداية » ولكن لم لا يجهر بالقول بما يجري الآن أو النتيجة في النهاية ..

مصدر آخر يأخذه العجب لما للمنظمات الاسلامية الشابة من دور هام ونشيط داخل أحياء المدن وضواحيها « غالباً ما قام أعضاء هذه المنظمات بتنظيم لجان أحياء بالغة الدقة والتنظيم . وذلك بالتعاون مع رجال الدين .. »[1]

« ويقول أحد أطباء مستشفى بهلوي عن دور هذه اللجان : إنه دورنموذجي ، لقد علّمونا ماهية الفضائل الاسلامية وعلى رأسها التضامن »

فالتضامن هو رأس الفضائل الاسلامية كما في النص . وأنه أحد أكبر الأوامر الاسلامية ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى** ﴾ قرآن كريم .. وإذا تعلّم البعض هذا فقد تعلّم كيسنجر غير ذلك حينما وصف الإضرابات بأنها

« لم تكن لتحدث بدون تنظيم مركزي .. سواء كان ذلك التنظيم من قبل الاتحاد السوفياتي أو من قبل أشخاص درّبوا على أيدي السوفييت »[2] ولو شخّصهم بقوله كالخميني لزال الغموض والابهام . لكنه لم يشخّصهم ولعل في ذلك حكمة كيسنجرية فضلاً عن العلم الكيسنجري الأميركي بالمغيّبات ..

عقّب محرر المجلة المذكورة بقوله : « منطق مرّ عليه الزمن وأثبت الواقع بطلانه » ..

أجل « تنظيم مركزي » ومعقّد متقن كما نراه يقول معتقداً لا متيقناً .

« أعتقد بأن الأنواع المعقدة المدروسة من الاضرابات التي تحدث بشكل واسع ، في أجزاء متباعدة جداً عن بعضها البعض داخل إيران ، ويكون لها

---

(١) الاكسبرس ـ ترجمة صحيفة الوطن ـ عدد ١٥٨٠ ص ١٣ .

(٢) التايم ـ بمقابلة صحفية ، ترجمتها مجلة الظفرة الصادرة بأبي ظبي ـ عدد ١٧٢ ص ٢٧ .

مثل هذه الفعالية . حتى أن الناس عندما يعودون الى العمل لا يعملون على زيادة الانتاج أبداً .. ما كانت لتحدث دون تنظيم مدروس مركّز .. » [1]

وعليه فإن هناك قيادة عليا . قيادة جماعية فذّة . تتكفل عملاً جهادياً واسع النطاق متشعب المهام متفرّع الاختصاصات كهذا الذي نشهد .. وكسينجر بتصريحه أعلاه قد رد بلا قصد على الملاحظة الأجنبية التالية :

« ولا بدّ من ملاحظة هنا ، بأن الشيعة ، لا تملك « هيرارشية » ، أو سلطة رسمية يمكنها أن تمثل قيادة جماعية ، أو بنية تنظيمية لحركة سياسية معينة ، حيث الزعماء الدينيون من ذوي المقام العالي ، يملك كل منهم أنصاره الذين يشكّلون رعيته الخاصة ، كل في نطاق المنطقة التي يقيم فيها » [2]

على الكاتب أن يبحث عن دليل آخر غير هذا لإثبات الافتقار الى القيادة الجماعية . عليه أن يجهد للبحث ـ وصولاً الى اليأس ـ ، فليس ذلك بمسعف لرأيه ولا ينهض بموقفه فالاسلام العظيم أوسع من أن يحوّل رجاله وعلمائه الأعلام الى المستوى الذي وصفهم الكاتب بالتفرقة والتشرذم ، ولو تذكّر الكاتب أن كل الأحزاب والقوى والفصائل الوطنية إنضوَت واحتمَت تحت راية الإسلام المرفرفة الخفّاقة بيد الإمام القائد روح الله الخميني ، لما تشبّث بما عرفه من قليل ناقص « قل للذي يدعي بالعلم معرفة ، حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء » .

« يبدو ضرورياً وضع علامات استفهام حوَل الدقّة في مثل هذا التقييم للأوضاع في الصحف والمجلات .. » ثم يستطرد الكاتب بصراحة .

على أن الأحداث ، في الواقع ، انتصرت وتغلّبت على هذه العفويات في الأحكام والتقارير . إذ بعد أسابيع من المسيرات المتّسمة بالعنف حتى حدود بذل الدم والروح . والتصدّي لعسكر الشاه بالصدور والسواعد ، عمت الاضرابات

---

(١) التايم أيضاً بنص ترجمة صحيفة الرأي العام ـ عدد ٥٤٥ـ ص ١٦ .

(٢) فاينننشل تايمز . نفس الصحيفة ـ عدد ٥٤٧٢ ص ١٦ .

البلاد كلها ، عبر عملية تصعيد محكمة التنظيم ، وبصورة لم يسبق لها مثيل . » [1]

وأخيراً فإن خير رد أيضاً فضلاً عن كل ذلك ـ هو ما قاله الاسرائيلي ، البروفسور المدعوّ ، موشيه شارون ، مستشار رئيس وزراء إسرائيل للشؤون العربية ، حول خطورة الاسلام في التنظيم والاستقطاب الشعبي ، ولعله أذكىٰ من ذلك الكاتب في « التايمز » وحتى من كسينجر حينما قال :

« ما من قوة في العالم تضاهي قوة الاسلام ، من حيث قدرته على اجتذاب وإثارة الجماهير ، وهو يشكل القاعدة الوحيدة للحركة الوطنية الإسلامية » [2] ولنقنع بهذا المقدار « والفضل ما شهدت به الاعداء » .

٦ ـ أهي عفوية أو عملية استقطاب مدروسة ـ نتيجة الشعور بالانتماء :ـ

لكيلا تفوت الفرصة مع ختم هذا الفصل ، لا بد من مراعاة العوامل والظواهر الداعية للقول بالعفوية بلا رويّة ، فلنقف على ما يلي وباختصار :

أ ـ **العمليات المغرضة** : حينما تقع بعض السلبيات أثناء المسيرات أو خلال أي نشاط ما ، يتوهم البعض فيظنّ أنها صادرة من ذات الحركة التي هي عفوية عندهم بحكمٍ مسبق ، في حين أن اعداء الله والاسلام وأعداء الثورة هم الذين يقومون بذلك ، وقد مرّ بنا كيف سعى نظام الحكم بالكثير من المساعي دون ادّخار لوقت أو بخل بطاقة لصنع عمليات تسيء لسمعة فعاليات الثورة . وفي آخر الأيام وحيث صمم القائد الكبير على العودة وتعرقلت عودته ثم خطّط مجدداً لتصميمه ، وفيما كانت قلوبنا وقلوب الشعوب المسلمة تخفق بتطلّعها لإيران الحبيبة « وقعت أعمال محدودة من العنف ، كان رجال السلطة هم الذين يفتعلونها ، وقد ضمت نسبياً جماعات صغيرة من الشباب .. » [3] وهـذا مثال فقط ..

---

(١) هيرالد تريبيون ـ ترجمة الرأي العام ٥٤٦٣ ص ١٦

(٢) صحيفة ـ يديعوت أحرونوت ـ الاسرائيلية ـ عن صحيفة القبس ـ عدد ٢٤٠٨ ص ١٧ .

(٣) فايننشال تايمز ـ ترجمة الرأي العام ـ عدد ٥٤٧٢ ص ١٦ .

ب ـ **مبادرات اليسار** : إذ توجد لليساريين منظمات ولجان بادرت بالقيام ببعض الأنشطة غير المنسقة مع القيادة الاسلامية داخل ايران رجاء السبق لستجيل خدمات تملأ قائمتها ، مما جعلها تعكس صورة عن الثورة بالذات ، وصورة غامضة توحي بفقدان وحدة العمل . هذا وثمة مقولة للشيوعيين مثلاً وهي . « أن جميع عناصر المعارضة في البلاد قد التحمت في حركة واحدة عفوية ضد النظام » [1] . فهم يطلقون لفظ العفوية هنا ويريدون به كيفية إسهامهم وانضمامهم هم وتسليمهم لأمر الثورة الواقع ، وإلاّ فإن هناك سابق اتفاق مع عدة عناصر معارضة ، ونحن نلمس سابق صلة قوية بين الجبهة الوطنية والقيادة المرجعية .

ج ـ **التوجه وحضور القصد** : حيث أن الأدلة غير قليلة وهي ما تزال تتجلى متتابعة ، على حصول التوجه من قبل القيادة وحضور القصد لتدعيم التلاحم بين مختلف المنظمات بل ومجمل القطاعات ونقاباتها .. وهذا من أوضح معالم حقيقة التنظيم لهذه الثورة ، فالإنتفاضة الإسلامية « تتحرّك من خلال عمل تنظيمي دقيق وبتوجيه من زعامات دينية وسياسية وفكرية ونقابية معروفة ومحددة الاتجاهات » [2] .

د ـ **سعة نطاق الاستقطاب نتيجة هوية الثورة** : فإيران إقليم مسلم والشعب كله مسلم ـ عدا الأقليات الصغيرة ـ أما هوية الثورة فهي هوية مسلمة قرآنية الطابع ، وقادتها أعلام الفكر الاسلامي ، بالتالي فإن عواطف المسلمين هنا وفي العالم الاسلامي ،وإن مشاعرهم وجوارحهم قد تغيرت فلم تستقرّ على حالها ، ويودّون أن يسهموا مع الثوار هناك بل يطمعون بالقيام ضد الجائرين الذين لا يبالون بما يجري ولا يدعمون الثورة وهم منها خائفون .. فلما كان كل مسلم سمع بالثورة إنتفض وأرهف أذنه ليسمع عنها نتيجة ما لديه من رصيد روح الشعور بالانتماء الذي يربطه روحيّاً بقمّ قلب إيران وباقي جسدها ، وإذا كانت الشعوب الاسلامية تعيش التطلّع بشوق وحرارة نتيجة هذه الآصرة الخطيرة ، فكيف

---

(١) مجلة المجالس ـ عدد ٣٩٨ ص ٢٧ .

(٢) مجلة الكفاح العربي ـ عدد ٢٢ ـ ٧٠٥ ص ٨ .

بمجمل مسلمي إيران الذين سمعوا بقمّ تتفجرّ وتنادي كل من يسمع نداء الثورة والثأر الكبير .. وبهذا فهل تعني تلبية الملايين ضرورة التشكيك بتوفر تنظيم من المؤمنين والوطنيين الموزعين في كل انحاء ايران الجريحة ؟!. إن الكلام بأنها عفوية بكل معنى الكلمة ، كلام إرتجالي غير مدروس .

هـ ــ **مظاهرة الحشود البشرية الرهيبة وعدم السيطرة** : فنتيجة لما سبق ذكره من تجاوب شعبي بشريّ هائل بفضل الشعور بالانتماء ، فإن المنظمات واللجان الإسلامية ، ذات التنظيم القديم المحكم لا تبقى على ما هي عليه ، وإن كانت تضع في حساباتها هذه السيول المنهمرة من الجماهير الثائرة ، فلا بدّ من القول بأن الضوابط لا تضمن السيطرة تماماً وإن لم يفلت منها زمام الأمر ، إلاّ أن بحر الملايين يصعب صنع سد أو وضع حدّ لنقمته ، فلا ضابط ولا كابح ولا أي وسيلة تشفع للظهور بمظهر تنظيمي مائة بالمائة في غمرة غضبة شعب ذي جسد كثيف الجراح ..

ولعل القول بالعفوية جاء بفعل صور عشرات الآلاف والملايين المتدافعة ، وما توحيه من أنها خرجت بلا حساب ولمجرد عواطف في حين كانت القيادة والمنظمات تشرف وتهيمن على الوضع وإن كان بصعوبة ملحوظة .. ولطالما ندعو البعض كيلا يقيسوا هذه الثورة بغيرها من الثورات التي يصفونها بأنها منظمة ، لا لشيء إلاّ لأنها لم تلق هكذا زحف يساندها ويؤيدها فيغطّي على تنظيمها ، فأي ثورة شيوعية أو غير شيوعية حصلت على هذا المدّ الدائم التليد بحيث بلغ حداً أوهم الناظرين بفقدان برنامج ومناهج معدّة ؟!. والحق أنه لولا سابق إعداد وإدراج لحساب الملايين التي ستظهر ، لتعرقل المسعى نسبياً، لكن الحسابات كلها جاهزة منذ زمن تلك الثورات . وبعد فالعفوية بما لها من معنى ، قول ملقى على عواهنه ..

و ــ **معنى التنظيم عند غيرنا** : عند الأحزاب اليسارية واليمينية ، يأتي التنظيم ليبتني على أرض خالية جرداء ، أي بين أفراد يحتاج كل منهم إلى أتعاب ومشاقّ تستغرق زمناً طويلاً مثقلاً بتلقين المؤيدين والأنصار تعاليم الحزب ...

كما ليس للحزب تأييد كامل الشعب ، وبالتالي فالدعم العاطفي مفقود ، **وهو** دعم ضروري هام الى الجانب الفكري الأهم .

بعد مرحلة تلقين التعاليم الحزبية التي تعتبر أكبر وأخطر مرحلة ، تأتي مرحلة التنظيم للمارسات الثورية السياسية .. ومهما يبلغ الحزب من التقدم في السعي فإنه لا يبرح إطاره الخاص . والعدد المحدد مهما كبر . فالكمية محصورة بأرقام القوائم والسجلات ، أما النوعية فمن حيث التعاليم الحزبية يرثى لها ، أما من حيث المواقف السياسية الملقّنة فقد تبدو النوعية ذات أصالة توهم بأن يستمد كل فرد موقفه من وعيه .. والواقع أن النوعية المطلوبة حزبياً معدومة ، وأكثر ما يتجلى ذلك بين صفوف الشيوعيين الذين لا تنطبق نوعية كل منهم على التعاليم الماركسية ، بقدر ما تنطبق على تلقينات الحزب المتأثرة بمواقف الكرملن السياسية ذات الطابع اللافكري ، المتنصلة عن الماركسية الهزيلة ...

ز ـ **معنى التنظيم عندنا .. المؤمن منظّم بالفعل وبالقوة** : لا شك أن المجتمع الاسلامي يحتوي على مؤمنين متقين ملتزمين شديدي الإنتماء ، فثمة رجال وشباب يملكون ثقافة وفكراً وعقيدة فضلاً عن التواجد القيادي ـ العلماء وطلاب العلوم الاسلامية ـ وعليه فالتنظيم الحزبي اذا كان يعني التنظيم الثقافي « والعقائدي » والمرحلة التي لا بد منها أن تجري على أرض خالية ، فإن هذا حاصل سلفاً لدينا ، فكل مؤمن مُعِدّ ومُشيد نفسه وبان لشخصيته ، فالأرضية خصبة مثمرة تستغني عن التلقين ، وما علينا إلاّ أن نوسِّع هذا الوجود المنظم على مستوى الإعداد العقائدي ، ولا يحتاج هذا التنظيم السابق إلاّ لتنظيمٍ لاحق يتمثّل بجمع الشمل ولَمّ الشعث ثم توزيع المهام استعداداً للمبادرة .

وذلك أمر متوفر بكل الشعوب الاسلامية ، ففيها كثير من المؤمنين ينتظرون التكتل والتجمع المسؤول ، وهنا يكمن الخطر وهنا بيت القصيد الذي يخشاه الاستعمار فكراً وعملاً من المسلمين عالمياً .

أما قاطبة الشعب وأغلبيته الساحقة فنراها حاملةً عواطفها وحماسها حاشدةً

طاقاته بلوغاً لما يرسمه المنظّمون المؤمنون .. فتنظيم المسلم . وبالأخص المؤمن تحت لواء حركة هادفة ، ليس كتنظيم أي فرد في أي حزب . لذا ندعو أن لا نقاس بالآخرين .. فالمؤمن منظم وتنتظمه الحركة الاسلامية الصادقة بالقوة لأنه عضو منظم بالفعل .

حـ ـ **أماكن الانطلاق** : للسنة الثانية والثورة تخطو على الأرض بملايين الأرجل ، وبأقدام الملايين ، رغم هذا يقولون ببراءة وبتعمد ، أنها تلقائية ، أو أن هؤلاء الذين يملأون الشوارع والساحات والميادين يخرجون عفوياً ، ويكفي رداً ما قلناه .. اما الآن فلنكشف عما يُظنّ أنه عادة عفوية .

دور المسجد الجامع والحسينيات : فلو قيل بأنهم يخرجون بتظاهراتهم من النوادي أو المقرّات الحزبية ومباني الاتحادات الطلابية أو النقابية . أو من الأوكار السرية أو ... الخ .. لقيل أنها منظمة بإتقان . أما والثورة تتخذ الجوامع منطلقاً لها فإن البعض يتجهم من ذلك مستوحياً من تلك المباني ضعف دورها التنظيمي جاهلاً دور الجامع الجزائري والجامع العراقي والجامع المصري وغيرها من الجوامع التي منها حملت المشاعل المحرقة لبيارق كل عدو مستعمر أو عميل منافق .

« أما الشكل الذي كانت تتخذه هذه الانتفاضات المتتالية فكان يتم انطلاقاً من تجمع الناس في جامع من الجوامع . حيث يستمعون الى خطبة أحد الأئمة أو المشايخ . وتتضمن هذه الخطب عادة نقاطاً سياسية محدّدة . ومطالب اقتصادية واجتماعية تشكل قاسماً مشتركاً يلتف حوله أغلبية الحاضرين » [١] .

ثم ينطلقون من الجامع نحو الخارج ليمتلكوا الشوارع . يعلنوا فيها عن كل شيء ... أليست طريقة الانطلاق المسبوق بخطاب ثوري . واحدة من معالم التخطيط والتنظيم ؟.

---

(١) مجلة الدستور ـ عدد ٣٩٤ ص ١١

ط ـ **الفعاليات الهادفة** : حتى توجيه الضربات المدّمرة لبعض المباني الحكومية يأتي منظماً ، وليس كذلك فحسب ، فالغاية والعطاء منه يوحي لك بمدى الاهتمام بتنظيم المجموعات ، خصوصاً الاسلامية منها والتي تختار « أهدافاً محددة تضرم فيها النار ، أو تحطمها أو تدمّرها . ويبدو جليّاً أن هذه الأهداف لا يقع الخيار عليها عشوائياً ، ولا تتم مهاجمتها نتيجة غضب جماهيري فوضوي أو يتّسم باللاوعي ، بل هي تمثّل بأجمعها رموز النفوذ الاستعماري والتسلط والاستغلال والفساد الداخلي ، مثل الشركات الأجنبية والمصارف . والملاهي والمراكز الثقافية [١] البهلوية وبنوك الأسرة الحاكمة والسينمات المخصصة لفن الدعارة والثقافة الجنسية ، وتذكّر ما شئت وما قدرت عليه .

كل ذلك يكون عطاؤه هو الايحاء لعموم الناس بما تمثله تلك المباني والنقاط ، ويكشف عن تلك الرموز وماذا تعني ، فهو عطاء مفاهيمي ملحوظ ، و « مادة ثقافية حيّة » كما تنصّ هذه الفقرة .

« وكان تركيز الهجوم على هذه الأهداف يقدّم للجماهير مادة ثقافية حيّة حول أعدائها الحقيقيين ، ويعرض أمامها نموذجاً للتصدّي المباشر لهم » .

ي ـ **شعبية أهداف الثورة وشمولها الواضح** : وهنا أروع معالم التنظيم وأوضح علامة لبرنامج الثورة ، فالأهداف بسيطة وغير معقدة ، مما كسب أبسط الناس وأقلّهم وعياً ، وهكذا فالمسألة ليست صعبة الفهم فالقيادة الواعية :

« هي التي خلقت ذلك التيار ، وخلقت من قبل ذلك التنظيم الفاعل القوي المتغلغل في كل ناحية من نواحي النشاط الشعبي .. وقبل ذلك وأهم ، كان هناك التجاوب بين القيادة والشعب .. ولا يكون ذلك التجاوب إلاّ حين تكون الأهداف المعلنة واضحة وبسيطة .. ولا تغوص في الفذلكات والشروح » [٢] .

---

(١) نفس المصدر ص ١٠ .

(٢) صحيفة الرأي العام ـ عدد ٥٤٨٥ ص ١٧ .

أليست الاستراتيجية متقنة إذاً ؟ أليست الهدفيّة ظاهرة جليّة ؟ . أليس القصد ومكان الرمي ملحوظاً ؟. أليسوا هم الذين حققوا ـ بتوجيه آية الله ـ أوامر الله ؟. فطوبى لمن حققها .. وطوبى لمن يفكّر بتنظيم الأمور .. وللذين يسعون للتنظيم الموحد الواحد ..

﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلىٰ الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون ﴾[1] .

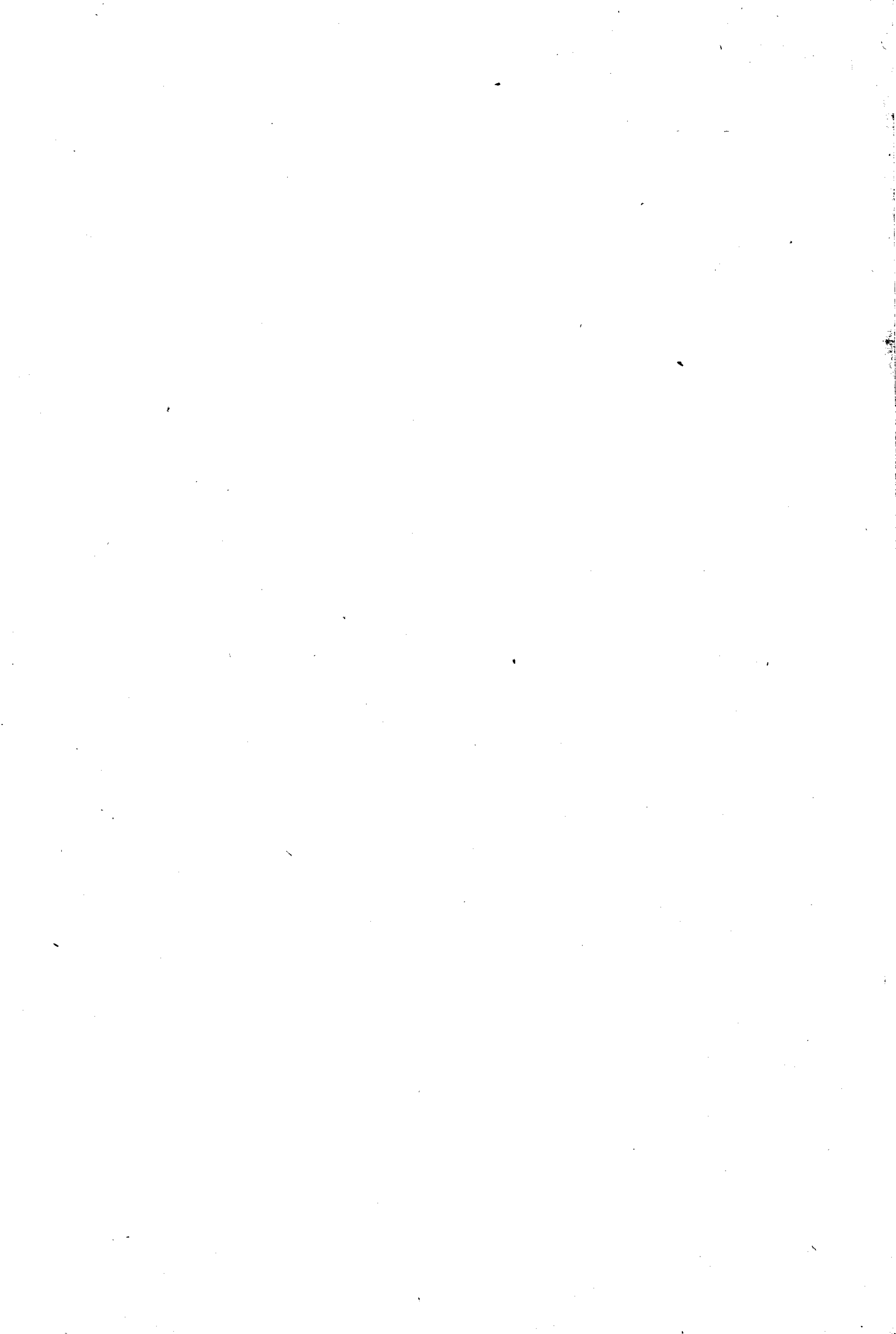
﴿ ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص ﴾[2] .

---

(١) القرآن الكريم ـ سورة آل عمران ٣ ـ آية ١٠٤ .
(٢) القرآن الكريم ـ سورة الصف ٦١ ـ آية ٤ .

الفصل الثاني عشر

الاعجاب العالمي بجهاد ايران الاسلامية



الإهمال العالمي وظاهرة اللامبالاة :

لا خلاف على أن هذا القرن الأخير هو أكثر القرون إمتلاءاً بمزاعم الاهتمام بالانسان والادّعاء بالحرص على رقيّ الإنسانية ، والدفاع عن حقوقها المشروعة، إنه عصر الكذب على الإنسانية بأسرها ، عصر الافتراء من أجل اعتصار طاقات البشر ، وامتصاص دماء الشعوب ، مع استنزافها بالكامل أما اذ تألمت وتضوّرت فلملمت متبقّيات قدراتها كي تخطو وتخطو فتنطلق بحركة ثائرة ، فنصيبها السحق والقمع ، وويل لمن يهرب أو ينجو ..

كل ذلك يحدث وباقي الناس من أقطاب « عصر الكذب » يقفون كالمتفرجين بل هم متفرجون فعلاً ، فينسون في غمرة مشاهدة المسرحية المسلّية والرهيبة على مسرح إيران الدامي ، ينسون أنهم كانوا سابقاً يصيحون كالحمير وينعقون بأنهم دعاة الحرية ، دعاة الانسانية ، من زاعمي حقوق الانسان .. ينسون ثم لا يحتملون أنهم هم سوف يكونون من أمهر مخرجي المسرحيات الدامية على البقاع التي هم عليها يقفون ..

فدم الانسان .. دماء الانسانية ، جرح الانسان ، جراح الانسانية أشلاء جثث الشعب تصبغ الشوارع . والبيوت تضجّ بأنين الثكالى .. وكلّ الدعاة أقطاب حقوق الانسان وساسة الدول كلهم نيام بل في سبات يلتحفون بالحقوق ويحتكرونها لهم ، ولغيرهم الرصاص والقنابل المسيلة للدموع والدماء .. لغيرهم القبور يلتحفون بالثياب والتراب ، بلا غسل بلا أكفان ، إنها موجز عملي لحقوق الانسان .. مقررات عملية لا نظرية ..

إذا كانت الدول الكبرى ساكتة في البداية ، فما بال الدول الصغرى والحكومات المجاورة ؟. لم تطق الدول الكبرى فأعلنت وأخبرت ، وهكذا الحكومات الصغيرة والمجاورة .. وللدول الكبرى منهج للتشوية ، كذلك هي الصغرى ، أساءت الدول الكبرى للقائد روح الله الخميني كذلك الحكومات الصغرى « حذو النعل بالنعل » .

وما أن فرضت الفعاليات عظمتها الاسلامية ، حتى سقطت الدول الكبرى

في أسر الذهول والحيرة ، كذلك هي الصغرى .. فمنها من عدّلت مواقفها ومنها من تركتها نفسها ، وهكذا هي الحكومات الصغرى ، حتى بلغ من هذه الحكومات الصغيرة ، أنها ظلت تتجاهل مهملة غير مبالية في الظاهر ، خائفة منهزمة النفس والمعنوية ..

شاء الأعداء طمس الحقائق وعدم تعظيمها ولا حتى تقديرها النسبي .

وشاء الله سبحانه وتعالىٰ أن يدفع الحق عالياً جداً مع فضيحة الأعداء وخزيهم .

فقد أحدث الشعب العظيم هزّة عنيفة في هذا الكوكب الكبير ، أحدث ضجيجاً مدوياً ، ولكن ليس بقوة القنابل ، ولا بهدير الطائرات ، أو أزيز الرشاشات ، كلا . وإنما بقوة القلوب ، وهدير الجموع الغاضبة ، وأزيز الأصوات والصرخات من ملايين الحناجر ، المنبعثة بصدق وإخلاص من أعماق القلوب بقوة دفـع الروح ، وعلوّ معنويات ومن صميم الفؤاد المجروح .

إذاً لا قيمة للمفرقعات الكيمياوية ، والمتفجرات الفتاكة ، ان ما أحدثوه وسيحدثوه هو مما تعجز عن القيام به أشدّ القنابل دوياً وانفجاراً ، إن حرارة القلوب الحسينية وسخونة الأجساد الاسلامية أخطر من أي كمية موادكيمياوية.. للشاه سطوته وسلطانه وكبرياء لترسانة سلاحه وطغيانه ، لكنه طرد كما يطرد « الجراد » وسحق كسحق الحشرات المضرة .

«لم يعرف العالم حركة هزّت نظاماً في قوة الشاه ، وأزعجت دولاً مثل الولايات المتحدة ، مثل الانتفاضة الإيرانية فهي قد فعلت ذلك ، حتى الآن على الأقل ، دون أن تلقي قنبلة ، ودون أن تعلن حرب عصابات» .

ولما اكتفينا بشيء قليل من الشواهد في الفصل السابق ، فلنكتف ببعض الشواهد على الإعجاب العالمي الذي لم يكن ليطول به الكبت والصمت ، فظهر على العرب وعلى الأجانب بشكل يدعو الى العجب بذاته .. إنه تقدير وإجلال وتقييم نسبي للثورة الجارية ولقاعدتها وقيادتها ..

الإعجاب بذات الثورة :

الثورة الشاملة المتسعة المتحركة .. « في إيران ينبغي أن ينظر إليها على أنها إحدى غرائب العصر الحديث .. وذلك لأن أمواجاً من الجماهير غير المسلحة استطاعت أن تفرض إرادتها على امبراطور .. ديكتاتور ، يستمد قوته من إحدى أقوى الجيوش في العالم » [1] .. « التظاهرات لم يسبق لها مثيل في الشرق الأوسط كله في ملايينها وفي وحدتها وإجماعها على هتاف : الموت للشاه .. إمامنا الخميني » [2]

بعض المراقبين الأوربيين يتطلّعون ـ وكل الدنيا تتطلع ـ ويتبارون في تشبيه الثورة الاسلامية ـ رغم فقدان التشبيه ـ فشبهها بعضهم « بثورة الطلاب الأوربيين» والفرنسيين في أيار عام ١٩٦٨ م ، وذهب آخر الى أبعد من ذلك زماناً « فردّ عليهم أحد المعارضين بل هي ثورة ١٤ تموز ١٧٨٩ الباريسية التي ستهدم كثيراً من « الباستيلات » ..

بيد أن الخميني القائد يذهب الى أبعد من ذلك زماناً وأقرب مكاناً وأشد ربطاً فكرياً بما لها من أصالة ، حينما يجعلها ثورة حسينية ، تستمد كفاءتها من كربلاء عبر أربعة عشر قرناً ..

« ولعل الحق هو أن ما أتى وما سيأتي ليس أياراً وليس تموزاً ، ولكنه طريق ثالث : إنه الثقافة الشعبية التي تتحول الى أداة عنف وتغيير ، وتُرعِب الدول العظمى وتؤلف بين المتخاصمين منهم ..

« والخميني يسميها : المسيرة الكربلائية .. » [3] .

« المظاهرات التي شهدتها المدن الايرانية خلال الأسابيع الأخيرة ، والتي جاءت ذروتها في العاشر من محرم ، هي من أضخم المظاهرات في العصر

---

(١) الأوبزرفر ـ ترجمة صحيفة القبس عدد ٢٤١٠ ص٨ .
(٢) مجلة الكفاح العربي عدد ٢٩ ـ ٧١٢ ص ٤٣ .
(٣) مجلة الكفاح العربي عدد ٢٢ ـ ٧٠٥ ص١٠ .

الحديث .. » [1] .. « وتعتبر الثورة الايرانية من أقوى الثورات في العالم ، وأعمقها جذوراً ، حتى أكثر بكثير من الثورة الليبية نفسها » [2] .

بل إن « ثورة الشعب الايراني تفرض نفسها على حركات التحرر الوطني في العالم كحركة سياسية غنية بتراث أربعة عشر قرناً من النضال الفكري والسياسي والاجتماعي الاسلامي ، وتثري هذه الحركات بتجربة جديدة على طريق مصارعة أعتى الامبراطوريات بالصدر المكشوف والإيمان بالقضية .. مضافاً إليه الإيحاء بالحل الاسلامي كحلّ لمشكلات العصر السياسية والاقتصادية والاجتماعية .. » [3] .

« ولا شك أن المسألة تستحق الاهتمام ، فلأول مرة منذ دخول فرسان الرسول العربي الكريم محمد بن عبد الله (ص) الى بلاد فارس ، يدخل الاسلام منتصراً الى إيران دون أن يواجه أية قوة معارضة وسيكون المنتصر الوحيد الذي سيتسلم زمام السلطة في طهران .. وحينذاك ستبدأ تصفية الحسابات .. » [4] .

« أحداث إيران ليست منعطفاً عارضاً ، أو فورة مفاجئة سطحية الجذور ، محدودة الانعكاسات ، لكنها بركان تفجرت معه كل عوامل السخط في الشارع الإيراني .. وهي أيضاً وبكل المقاييس ، عبرة للعديد من الحكام ، قبل فوات الأوان .. » [5] .

لا عذر للشاه كما ينسب الأجانب أسباب الثورة إلى أخطائه ، مع إعجاب بالثورة ..

« ارتكب أخطاء تراكمت عبر ستة وعشرين عاماً من حكمه ، حتى تفجّرت

---

(١) صحيفة الوطن عدد ١٥٥١ ص ١٨ .

(٢) هذا النصّ لمسؤول ليبي ـ وزير الأعلام ـ نشرته صحيفة الرأي العام عدد ٥٤٧٠ ص١٨ .

(٣) صحيفة السفير عدد ١٧١٠ ص ١١ .

(٤) الفيغارو ـ ترجمة صحيفة القبس عدد ٢٤٠٣ ص١٠ .

(٥) صحيفة القبس ـ عدد ٢٣٨١ ص١ .

في مثل هذه الصاعقة الهائجة التي لا ترحم ولا تميّز . وعدم التمييز . دائماً . من صفة الصواعق والزوابع .. » [١] .

الإعجاب بقاعدة الثورة :

« إن متظاهرين كانوا يهتفون « الموت للشاه » و « الله أكبر » ثم يقتربون ويتحرّشون بالجنود المتوتري الأعصاب ، ويحثّونهم على إطلاق النار . على إعطائهم فرصة الشهادة .. » [٢] .

« ها هو الوضع في إيران يشهد تحركاً جماهيرياً عارماً . متصاعداً يوماً بعد يوم باتّجاه التغيير . باتّجاه الثورة . تحرّك جماهيري في أفضل حالاته وأندرها . هزّ ركائز أعتى نظام استبدادي وأشرسه . ووضع الشعب الإيراني على أبواب المستقبل .. » [٣] .

« وفي الوقت الذي كانت تنشر فيه الصحف الغربية المعادية لحركة الجماهير الإيرانية صورة « المظاهرة » المؤيدة للشاه . كانت تنشر أيضاً التقارير والمقالات التي تعترف فيها بأن « مناوئي الشاه قد أظهروا خلال الأيام العشرة الأخيرة (واليوم ١٤ كانون أول ١٩٧٩) أنه حتى المراسيم والأوامر العليا لحكومة عسكرية مدعومة بأحدث الأسلحة من مصانع بريطانيا والولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي . لا تستطيع أن توقف زخم احتجاجاتهم .. » [٤] .

« إن الأسواق الإيرانية (وخصوصاً بعد مجزرة قمّ) قد أغرقت بكاسيتات تخاطفها الجمهور مُسجل عليها خطاب من آية الله الخميني يدعو الجماهير إلى التحرك من أجل إقامة حكم عادل وإنهاء حكم الفساد ..) [٥] كما « وأصبحت هذه الكاسيتات مع كاسيتات أناشيد ندب شهداء قمّ من أروج السلع في السوق

---

(١) هيرالد تريبيون ــ ترجمة صحيفة الرأي العام عدد ٥٤٦٤ ص١٦ .
(٢) نيوزويك ــ ترجمة مجلة الهدف عدد ٤١٧ ص٦٤ .
(٣) صحيفة اللواء عدد ٢٨٧٨ ص١١ .
(٤) نيويورك تايمز ــ مجلة الهدف عدد ٤١٨ ص ٥٣ .
(٥) مجلة الوطن العربي ــ عدد ٦٦ ص ٢٢ .

السياسية السرية في إيران .. وحملت أساليب البوليس في مصادرتها ، الجماهير على التنافس على اقتنائها والأستماع إليها .. » [١] .

« مجموعات من المتظاهرين قد طافت شوارع العاصمة تحمل تسجيلات لمظاهرات صاخبة ،ووضعت المسجلات على أسطح المنازل .. » [٢] .

والحقيقة التي لا مناص من قولها هي أن الأشرطة « الكاسيت » ، أدت مهاماً واسعة النطاق بشكل مذهل ، إذ كان الإمام القائد يتصل بشكل رائع مع شعبه الشجاع عن طريق هذه الأشرطة التي طبع الكثير منها بلبنان » ، فـ « الواقع أن عشرات الألوف من أشرطة التسجيل تتضمن نداءاته » [٣] .

« وبالتأكيد فإن الخميني هو أول من استعمل هذا السلاح الجديد في الحرب النفسية ، أي سلاح المسجل ، كاسيت » [٤] .

وإذا فرضت الحكومة حظر التجول تحسباً لتفجير تظاهرات ، فإن هذا الحظر كفيل بخلق ما تخشاه الحكومة وتتجنبه ، حيث يصعد أفراد شعبنا إلى سطوح منازلهم ليتفقوا منها علناً ولينزلوا إلى الشارع . فمرّة كان خطاب بختيار سخيفاً جداً وكان حظر التجول مفروضاً بنفس الوقت ، فصعد الجميع أعالي بيوتهم بطهران ليردّدوا « الله أكبر .. الموت للشاه .. يعيش الخميني » . « وتعالت الهتافات بصوت مرتفع وبحدّةٍ بالغةٍ ، علامة على استياء الشعب من خطاب بختيار .. » [٥] . ثم نزلوا من السطوح فملأوا شوارع طهران وملكوا فيها كل ساحة وميدان ..

« انتفاضة الشعب الايراني ، ليست الجديدة ، فتاريخه كله انتفاضات ضد نظام الحكم الامبراطوري القائم .. ولأن الشعب الايراني البطل متمرّد كما

---

(١) نفس المصدر .

(٢) صحيفة السياسة عدد ٣٧٤٨ ص ١٦ .

(٣) و(٤) لوفيغارو ـ ترجمة صحيفة الوطن عدد ١٥٨٥ ص ١١ .

(٥) صحيفة الوحدة عدد ١٦٣٦ ص١٢ .

في تحركه من أجل التغيير ، لذلك بنى النظام الامبراطوري نفسه بناءً قمعياً شرساً [1] ... الخ .. ﴿ **ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** ﴾ [2] .

الإعجاب بقيادة الثورة :

شمل إعجاب العالم أولئك القادة الكبار ، وعلى رأسهم سماحة السيد روح الله الخميني الذي استأثر باهتمام العالم بطلعته البهية ، ومواقفه الشجاعة ، وأساليب إجاباته الهادئة .

« صوت خفيض ناعم ،ولكنه قويّ كفاية حتى أنه تمكّن من اختراق المسافات الشاسعة والآفاق المترامية والجدران الكثيفة مما أدّى الى تقويض العائلة الامبراطورية المالكة منذ ٥٣ سنة » [3] .

ولو وقفنا لنرى أوّل إعجاب ظهر على صعيد الصحافة الغربية لرجعنا الى أول مقابلة مع السيد القائد من قبل مراسل صحيفة اللوموند الفرنسية الذي تمكّن من الدخول للعراق فالنجف حتى ولوج الباب المتواضع لمنزل السيد القائد وكان ذلك سرّاً ، إذ لم يستطع أي صحفي أن يصل الى السيد نتيجة المنع ، ثم تكاثر عددهم خصوصاً بعدما أثار فضولهم صاحبهم الفرنسي الذي كتب مندهشاً .

« ... ولقد تحدث الإمام الخميني طوال ساعتين بكلمات شجاعة وبنبرة متحدّية ، وحتى حينما كان يذكر « ويكرر » بأن ايران يجب أن تناضل في سبيل التخلص من مخالب الشاه ، وحينما كان يشير إلى استشهاد إبنه ، لم تكن تظهر في صوته نبرة الهيجان والاضطراب ولم تكن تظهر أية تغيّرات في ملامح وجهه، كان سلوكه رصيناً وقدرته على ضبط أعصابه عظيمة .. » . « فكان الإمام الخميني يستخدم ـ بدل الضغط على الكلمات أثناء حديثه لاشعار المستمع بعمق إيمانه واعتقاده ، يستخدم نظراته النافذة ، وحينما كان الموضوع يصل الى نقطة

---

(١) صحيفة اللواء ـ عدد ٢٨٧٧ ص١١ .
(٢) القرآن الكريم /سورة الأنفال ـ آية ٣٠ .
(٣) التايم ـ ترجمة صحيفة الرأي العام عدد ٥٤٦٧ ص١٦ .

حسّاسة ورئيسية ، كانت نظراته تصبح حادّة وغير قابلة للتحمّل .. » .

« إن الإمام الخميني يتمتع بعزم راسخ ، وهو لا يفكر بقبول أيّ نوع من المصالحة والتنازل .. إنه مصمم على التقدم في نضاله ضد نظام الشاه حتى نهاية الشوط .. » [١] .

« آية الله ، ينطق ويصدر الأوامر والتعليمات ، والشعب الايراني ينفّذ ويجسّد الكلمة في فعل .. وحين طلب الإمام من الإيرانيين أن يحموا الاسلام بدمائهم ، خرجوا لابسين الأكفان وسقطوا برصاص جيش الشاه . فآية الله هو من القلائل الذين استطاعوا تحويل الكلمة إلى فعل .. » [٢] .

« العقيدة هي أساس كل شيء . فعندما اتّحد الشعب الإيراني بقيادة رجل ثابت على مبدأ لا يحيد عنه ، تغيّر كل شيء في إيران وتلخبطت المعادلة السياسية في المنطقة كلها ، ووقف زعماء العالم مشدوهين أمام الصرخات المدوية .. » [٣] .
« وشعرت إسرائيل ، ربما لأول مرة ، بالخوف الحقيقي ... » [٤] .

ذلك هو حجة الحرية الانسانية حجة الثوار وكل الأمة ، بسيط الملبس والمأكل والمسكن ، ينهض صارخاً ، « ليثبت أنه من هذا المنطلق ، استطاع أن يشعل أحد أبرز الثورات في عالمنا المعاصر.. » [٥] . عقيدته كلمة الله التي نادى بها . صارخاً لتطبيق حكم الرحمان ومقررات القرآن ، وارادة الاسلام كنهج ونظام .. ذلك الاسلام ، « الذي سينتج عنه بلا شك ، الدستور الأول للجمهورية الأولى في البلاد التي صنع شعبها فقط ، كل الثورة » [٦] ودونما دعم أو إسناد ما ، دون مساعدة مهما كانت .. لأنه شعب شديد القدرة على تحمل مسؤولياته وثقل قضاياه وحده ، وهكذا تعوّد عبر التاريخ ..

---

(١) صحيفة اللوموند الفرنسية ، ترجم أكثر من مرّة لأهميّته ولأولوية المقابلة وأسبقيتها أما هذا النص فمن كتاب ـ دروس في الجهاد والرفض إرجع إليه . ص٣١٣ ـ ٣٢٥

(٢) كلمة للدكتور رالف رزق الله ـ صحيفة السفير عدد ١٦٨٦ ص١١

(٣) و (٤) صحيفة الرأي العام عدد ٥٤٦٣ ص٢٠ .

(٥) و (٦) مجلة الموقف ـ الصادرة بلبنان عدد ١٦٧ ص٢٦ .

شعب فيه الكوادر الكفوءة والشبيبة النشيطة ، والإتجاه الفكري الأصيل ، الذي لا يفتأ يثري الثورة بدفعات خطيرة تخطو بها مسافات بعيدة ، فكل منهم مسلم وحسيني ثائر بطبعه رافض للحكم المنحرف الذي يذكّرنا دوماً بيزيد وعشّاقه أو نظرائه عبر التاريخ ..

يقول الدكتور رالف رزق الله « وإذا أردنا أن نبحث عن « نقطة الارتكاز » الأساسية لتحرك الجماهير الإيرانية الثورية ، لا بد من عودة إلى التراث الشيعي ، أو الثقافة الاجتماعية الشيعية » .(1)

القيادة والقاعدة لا يمكن ان تنعزلا عن الماضي الأمجد ، الذي يتكفّل الدفع المستمر نحو الأهداف السامية العليا .. فالخطوط الاسلامية الحسينية ملحوظة غير خفية .. وإذا كانت كربلاء الثورة قد أذهلت الدنيا بأسرها ولحدّ الآن ، فقمّ الثورة ما برحت تثير العجب بما عملت وحققت من خطر على الدول الكبرى وحساباتها ، يربو على خطر القنابل الكيماوية ومجمل الأسلحة التكنولوجية .. الخ .. إذ ان الاسلام والقرآن يهزّان ما قد لا تهزه القنابل ..

« المتظاهرون الذين قدّرت أعدادهم بالملايين ، الذين مشوا في مسيرات هائلة بمناسبة ذكرى استشهاد الإمام الحسين منذ ١٣٠٠ عام ، طالبوا برئاسة الإمام آية الله الخميني » (2) .

كثيراً ما يقارن أئمة المساجد الإيرانية ضحايا المظاهرات بشهداء معركة كربلاء (حيث ثورة الامام الحسين (ع)) فقد أثّرت هذه الواقعة على كل الفكير الشيعي ، مما جعل أصدقاء الشاه يصرّحون بأن الشيعة عاجزون عن تصوّر أنفسهم سياسياً إلاّ ضمن المعارضة .. » (3) .

فتحية لكم أيها الشهداء وسلام عليكم أيها الاحياء ، سلام الله ورحمته

---

(١) صحيفة السفير عدد ١٦٨٦ ص١١ .

(٢) الأوبزرفر ـ ترجمة صحيفة الرأي العام عدد ٥٤٦٦ ص١٦ .

(٣) اللوموند ديبلوماتيك ـ ترجمة صحيفة الأنباء عدد ١٠٨٦ ص٨ .

وبركات تخصكم وتحفكم ، تحية لكم أينما كنتم ، وبأي مدينة تجاهدون وتعملون ، وسلام الله على قادتكم وقادتنا ، لا سيما سيدنا الأكبر الذي قادكم « ليصنع أوّل وأبرز ثورة جماهيرية مستقلة في عصرنا الحديث » [1] . تحية لكم وسلام عليكم بما صبرتم لله وبما ضمنتموه من نجاح ساحق وبأس شديد وقوة جنان وشكيمة وصمود وصرامة ، فكنتم كما قال سبحانه وتعالى ﴿ **لا يخافون في الله لومة لائم** ﴾ [2] . فأيدكم وسدّدكم بعدما أردتم له النصر وإقامة حكمه تعالى ، بإلحاح وتصميم تجلىًّ لكل الأبصار والبصائر ، حيث « استمرار تدفق الملايين الى الشوارع في أطول مسيرة تظاهرات مدنية عرفها العالم حتى الآن .. » [3]

﴿ **كنتم خير أمّة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله ...** ﴾ [4] .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

(١) مجلة الموقف - عدد١٦٧ ص٢٤ .
(٢) القرآن الكريم - سوراة آل عمران آية ١١٠ .
(٣) صحيفة اللواء - عدد ٢٨٨٠ ص١١ .
(٤) القرآن الكريم - سورة آل عمران - آية ١١٠ .

الفهرس

المقدمة ٥

توطئة ٧

القسم الأول : إجماع الجماهير كمّاً ونوعاً

الفصل الأول : تطلّع الشعب وتربّصه ١٣

الفصل الثاني : كل الشعب بشتّى القطاعات ٢٩

الفصل الثالث : التضافر الكبير والإنصهار ببوتقة القضية ٤٣

الفصل الرابع : إجماع كل القوميات . . . .

القسم الثاني : شعب مجاهد بالقوّة وبالفعل

الفصل الخامس : جهاد نساء الإسلام داخل إيران ٨٣

الفصل السادس : الجيش والترسانة العسكرية ١٠٣

الفصل السابع : النشاط الثوري الإيراني بعواصم العالم ١٣٣

الفصل الثامن : السافاك ... السجناء ... الشهداء ١٥١

القسم الثالث : العمل والإعلام المعادي للثورة

الفصل التاسع : مجمل التشويهات والتحرّك المضاد ١٧٥

الفصل العاشر : مجمل الشبهات والأخطاء والمغالطات ١٩٤

الفصل الحادي عشر : دقة التنظيم والإستقطاب نتيجة الشعور بالإنتماء . . ٢١٥

الفصل الثاني عشر : الإعجاب العالمي بجهاد إيران الإسلامية ٢٣٥

ايران

تم والحمد لله ..

ويليه الكتاب الثاني وعنوانه

[إيران في المخاض]